

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

معهد الترجمة



القصدية التواصلية في النص الساخر

وترجمتها إلى اللغة الإسبانية

دراسة تحليلية نقدية لترجمة "كتاب البخلاء" لسيرافين فانخول نموذجاً

رسالة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في الترجمة

الفرع: عربي. إسباني. عربي

إشراف: أ. د. صليحة بن عيسى

إعداد: زهية بوكاف

السنة الجامعية 2020/2019

إهداء

إلى من رافقاني طوال حياتي وكاننا سندا لي من كل مرحلة من مراحل
دراستي، والدي الكريمين. إلى من لهم في النفس منزلة إخوتي وأخواتي
وأصدقائي وزملائي.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

نحمده ونشكره عزّ وجلّ حمدا يليق بجلاله.

أتقدّم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى الأستاذة الدكتورة صليحة بن عيسى، التي

تفضّلت بالإشراف على هذا العمل ولم تبخل عليّ بالنصح والإرشاد.

أتوجه أيضا بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل، أعضاء لجنة المناقشة، الذين تكرموا

بقبول مناقشة هذه الرسالة، لتقويم اعواجها وسد ثغراتها.

كما أشكر صديقتي أمينة التي كانت تشجعني طوال سنوات البحث

ولا يفوتني أن أشكر زملائي في العمل خاصة سارة ياسمين موهاب وشنايت مفيدة

اللتين كانتا عوناً لي، بارك الله لهما وسدد خطاهما.

ولا يسعني إلا أن أشكر كل من رأى في هذا العمل عيباً أو خطأ فأرشدنا إلى تصويبه.

ونسأل الله أن يجنّبنا الزلل وأن يتقبل أعمالنا، ويجعل لها في صدور الناس منازل خير

وصدق.

الفهرس

01.....	مقدمة.....
	الفصل الأول: القصدية التواصلية وترجمتها في ظل النظرية التداولية
14.....	0.1. تمهيد الفصل.....
16.....	1.1. نشأة النظرية التداولية وتطورها.....
30.....	2.1. مفهوم التداولية.....
41.....	3.1. درجات التداولية.....
41.....	1.3.1. تداولية الدرجة الأولى.....
41.....	2.3.1. تداولية الدرجة الثانية.....
42.....	3.3.1. تداولية الدرجة الثالثة.....
42.....	4.1. مباحث النظرية التداولية.....
43.....	1.4.1. الإشارات.....
45.....	2.4.1. أفعال الكلام.....
58.....	3.4.1. متضمنات القول.....
58.....	1.3.4.1. الافتراض المسبق.....
61.....	2.3.4.1. الأقوال المضمرة.....
62.....	4.4.1. الإستلزام الحوارى عند "غرايس" -Grice-.....
70.....	5.1. نظرية الحجاج.....
75.....	6.1. نظرية المناسبة (الصلة) عند "سبيربر وولسن" -Sperber & Wilson-.....
82.....	7.1. القصدية في ظل النظرية التداولية.....
83.....	1.7.1. تعريف القصدية.....
90.....	2.7.1. أنواع القصدية.....
90.....	1.2.7.1. القصدية الإخبارية.....

91.....	2.2.7.1. القصدية التواصلية.....
94.....	3.7.1. تحليل المقاصد تداوليا.....
94.....	1.3.7.1. القصدية والتأويل التداولي.....
96.....	2.3.7.1. القصدية والتأويل التداولي في الترجمة.....
98.....	3.3.7.1. القصدية والسياق.....
103.....	4.3.7.1. السياق والترجمة.....
108.....	8.1. النظرية التداولية في الترجمة.....
113.....	1.8.1. الترجمة والافتراضات المسبقة.....
116.....	2.8.1. الترجمة وأفعال الكلام.....
118.....	3.8.1. الترجمة والاستلزام الحوارية.....
122.....	4.8.1. الترجمة ونظرية المناسبة (الصلة).....
124.....	9.1. مظاهر المقاربة التداولية في الترجمة.....
124.....	1.9.1. معيار القصدية.....
126.....	2.9.1. معيار المقبولية.....
129.....	10.1. الاستراتيجيات التداولية في الترجمة.....
130.....	1.10.1. التكافؤ التداولي.....
132.....	2.10.1. الإيضاح.....
138.....	3.10.1. التعويض.....
140.....	4.10.1. التضمين.....
140.....	11.1. خلاصة الفصل.....
الفصل الثاني: السخرية في النص وتجلياتها في الترجمة	
148.....	0.2. تمهيد الفصل.....
149.....	1.2. تعريف النص الساخر.....

173.....	2.2. السخرية واضطراب ترجمة المصطلح.
179.....	3.2. تأويل السخرية.....
181.....	1.3.2. مؤشرات تأويل السخرية.....
181.....	1.1.3.2. المؤشرات المصاحبة للكلام.....
181.....	2.1.3.2. المؤشرات النصية.....
182.....	3.1.3.2. السياق اللساني.....
182.....	4.1.3.2. السياق الخارج لساني.....
182.....	4.2. أنواع السخرية.....
183.....	1.4.2. السخرية السقراطية.....
185.....	2.4.2. السخرية الرومانسية.....
189.....	3.4.2. السخرية اللفظية.....
194.....	4.4.2. السخرية الموقفية.....
196.....	5.2. السخرية عند الجاحظ.....
201.....	1.5.2. السخرية الفكاهية.....
203.....	2.5.2. السخرية الانتقادية.....
204.....	6.2. خصائص السخرية عند الجاحظ.....
205.....	1.6.2. التصوير.....
205.....	1.1.6.2. التصوير الكاريكاتوري.....
208.....	2.1.6.2. التصوير النفسي.....
210.....	3.1.6.2. التصوير الواقعي.....
213.....	7.2. أساليب السخرية عند الجاحظ.....
214.....	1.7.2. التعريض.....
215.....	2.7.2. التورية.....

215.....	1.2.7.2. التورية المُجرّدة.
216.....	2.2.7.2. التورية المُرشّحة.
216.....	3.2.7.2. التورية المُبيّنة.
217.....	3.7.2. التهكم.
218.....	4.7.2. الحوار الجدلي.
218.....	5.7.2. القياس العقلي.
219.....	6.7.2. الرد بالمثل.
220.....	7.7.2. الدعابة.
220.....	8.7.2. التلميح.
221.....	9.7.2. الكناية.
221.....	10.7.2. المبالغة.
222.....	11.7.2. المغالطة.
224.....	12.7.2. الاستفهام الساخر.
225.....	13.7.2. المفارقة.
227.....	8.2. ترجمة السخرية.
233.....	9.2. خلاصة الفصل.
الفصل الثالث: دراسة تحليلية نقدية للنماذج المستقاة من المدوّنة	
238.....	0.3. تمهيد الفصل.
239.....	1.3. تعريف المدونة.
239.....	1.1.3. التعريف بالجاحظ.
241.....	2.1.3. التعريف بكتاب البخلاء.
243.....	2.3. التعريف بالمترجم.
244.....	3.3. منهجية تحليل النماذج.

- 4.3. دراسة تحليلية نقدية للنماذج المستقاة من المدونة.....244
- 1.4.3. نماذج عن السخرية بأسلوب المفارقة.....245
- 1.1.4.3. قصة محفوظ النقاش.....245
- 2.143.3. قصة الثوري.....248
- 3.1.4.3. قصة أبو جعفر الطرسوسي.....251
- 2.4.3. نموذجان عن السخرية بأسلوب التعريض.....252
- 1.2.4.3. قصة الحزامي.....253
- 2.2.4.3. قصة أبو عيينة.....256
- 3.4.3. نموذجان عن السخرية بأسلوب الدعابة.....261
- 1.3.4.3. قصة رجل من بني أسد.....262
- 2.3.4.3. قصة أبو عبد الله.....264
- 4.4.3. نموذج عن السخرية بأسلوب التورية.....267
- 1.4.4.3. قصة أبو الأسود الدؤلي.....267
- 5.4.3. نموذجان عن السخرية بأسلوب الرد بالمثل.....269
- 1.5.4.3. قصة الثوري مع الخليل السلولي.....269
- 2.5.4.3. قصة الجمّاز.....271
- 6.4.3. نموذجان عن السخرية بأسلوب المبالغة.....273
- 1.6.4.3. قصة صبي من أهل مرو.....273
- 2.6.4.3. قصة دجاجة أبو هذيل العلاف.....275
- 7.4.3. نموذجان عن السخرية بأسلوب الحوار الجدلي.....278
- 1.7.4.3. قصة عبد الله الحزامي.....279
- 2.7.4.3. قصة تمام بن جعفر.....281
- 8.4.3. نموذج عن السخرية بأسلوب التهكم.....284

285.....	1.8.4.3.قصة اسماعيل بن عزوان.....
288.....	9.4.3. نموذجان عن السخرية بأسلوب الاستفهام.....
288.....	1.9.4.3. قصة أحمد بن خلف.....
291.....	2.9.4.3. قصة المقلی والطُباهج.....
293.....	10.4.3. نماذج عن السخرية بأسلوب المغالطة.....
293.....	1.10.4.3. قصة زبيدة بن حُميد.....
297.....	2.10.4.3. قصة الخراساني.....
299.....	3.10.4.3. قصة الأصمعي مع جلسائه.....
302.....	11.4.3. نموذجان عن السخرية بأسلوب التلميح.....
302.....	1.11.4.3. التلميح عن طريق الكناية في قصة جبل وأبو مازن.....
	2.11.4.3. التلميح عن طريق الاستعارة في قصة الرجل البخيل وصدیق الجاحظ.....
306.....	
309.....	12.3. خلاصة الفصل.....
312.....	خاتمة.....
331.....	قائمة المصادر والمراجع.....
331.....	قائمة المصادر.....
331.....	قائمة المراجع باللّغة العربية.....
344.....	قائمة المراجع باللّغات الأجنبيّة.....
349.....	مسرد المصطلحات عربي - إسباني.....
353.....	مسرد المصطلحات إسباني - عربي.....
357.....	ملخص باللّغة العربية.....
358.....	ملخص باللّغة الإسبانيّة.....
359.....	ملخص باللّغة الإنجليزيّة.....

فهرس الأشكال البيانفة:

شكل بيانف 1: أنواع العبارات عند أوسفن -Austin-49

شكل بيانف 2: إزدواجفة الدلالة190

مقدمة

مقدمة:

إنّ الأدب صورة تعكس الواقع المعاش بجماله وقبحه، والأديب إنّما يعبر عن تجاربه وأحاسيسه وانفعالاته وأفكاره وخواطره بلغة دقيقة تتسم بالبراعة في التصوير، ومن الملاحظ عبر العصور أنّ للأدب توجهات مختلفة ومواضيع متنوعة، من بينها السخرية التي مثّلت منذ ظهورها كشكل فني وفكري آليّة يثور بها الأديب الساخر على الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي يعيشها، فالأديب الساخر يسخر إذا غضب ولا يستخدم السخرية للضحك والتهريج وإنّما لنقد السائد من الأفكار التقليدية السلبية في مجتمعه بطريقة لينة ولسان هزلي فكه.

إنّ براعة الأديب الساخر اللغوية والفكرية تجعله يميّز بقدره فائقة على أن يجسّد من خلال سخريته الحزن والألم ويجعل منهما إبداعا يرسم من خلاله البسمة على وجه القارئ رغم معاناته. وبالتالي تصبح سخريته وسيلة تبقي في النفوس انطبعا قويا وتؤثر عليها تأثيرا كبيرا. وما يميّزه أيضا أنّه يستطيع أن يأتي بالجدّ موضع الهزل وبالهزل موضع الجدّ، وهذه المخالفة في التعبير وإظهار الكاتب عكس ما يبتغيه تجعل من المعاني ضمنية ومن المقاصد خفية يستلزم الوصول إليها وفهمها سرعة بديهة ومملكة لغوية.

لطالما شكّلت النّصوص الأدبية موضوعا للنقاش حول أنسب طريقة لترجمتها، ففريق ينادي بضرورة انتهاج ترجمة حرفية لسانية محضة تكون فيها للصورة اللفظية وللسياق الضيق للنص الأولوية القصوى، وفريق آخر يدعو إلى إعطاء الأولوية للمعنى على حساب الشكل، لفسح المجال أمام المترجم لإنتاج نصّ جديد يتلاءم مع ثقافة القارئ الهدف ومع خصائص لغتهوبينيتها اللسانية.

ومن المعروف أنّ معنى الخطاب في النّصوص الأدبية لا يكون دائما مباشرا، أي أنّ البنى والتراكيب اللسانية فيه لا تحمل معاني صريحة وواضحة، فقد يلجأ الكاتب إلى تضمين أفكاره عمدا ويعتمد في إرسال مقاصده على السياق غير اللغوي، مثلما هو الحال مع النّصوص الأدبية الساخرة التي تكون العبارات فيها متكوّنة من بنية عميقة وأخرى سطحية تتناقضان في المعنى.

وبالتالي، فالتلميح الذي تتميز به النّصوص الأدبية الساخرة جعلنا نتساءل عن كيفية تعامل المترجم معها والتعرّف على السُّبُل التي ينتهجها لضمان نقل جميع معاني هذه النصوص ودلالاتها الضمنية والمقاصد التواصلية التي تحملها مع الإبقاء على الطابع الفكاهي الذي تتميز به.

ومع تطوّر الدرس اللساني، ظهر ما يُعرف باللّسانيات التداولية، وهي اتّجاه لغوي حديث يهتم بدراسة اللّغة في الاستعمال ويهتم بمقاصد المتكلمين وكيفية الوصول إليها من طرف المتلقّي، مع مراعاة سياق العمليّة التواصلية. ولقد أثّرت اللسانيات التداولية

في عملية الترجمة بشكل كبير، وأصبحت الدراسات التُرجمية الحديثة تولي اهتماما كبيرا للجانب التداولي، وذلك لأنّ الترجمة تعتمد على اللّغة في التواصل لهذا كان لابد من أن تسلّط الضوء على جانبيها اللساني والاستعمالي في آن واحد من أجل نقل أمثل لمعاني النّصوص ومقاصدها وتحقيق أثر مماثل في اللّغة الهدف.

وبعد البحث في موضوع السخرية والاطلاع على موضوع القصدية في التداولية، حسمنا أمرنا بأن نخوض في دراسة موضوع "القصدية التواصلية في النّص الساخر وترجمتها إلى اللّغة الإسبانية".

ولقد آثرنا أن تكون مدوّنة البحث كتاب البخلاء للجاحظ وترجمتها إلى اللّغة الإسبانية، وذلك لأنّ الجاحظ هو من أكبر أئمة الأدب في عصره، لأنّ هذه الرواية تعتبر مرجعا عريقا لفن السخرية والفكاهة منذ العصر العباسي، فهذه المدونة أدبية محضة، بحيث يفرض نصّها نفسه بأسلوبه الراقى وهو الأمر الذي أجمع عليه العديد من الباحثين وأكدوا على طابعه الساخر. ولقد اخترنا أن تكون دراستنا على ترجمة بخلاء الجاحظ "El Libro de los Avaros" لـ "سيفارين فانخول" -Serafín Fanjul- كونه الوحيد الذي قام بترجمة هذا الكتاب إلى اللّغة الإسبانية، على حد علمنا.

ولقد اعتمدنا في إنجاز هذه الرسالة على مراجع متنوّعة استقدينا منها بشكل مباشر لفك مغاليق هذا الموضوع، من أهمّها كتاب فن السخرية في أدب الجاحظ (العوبي، 2016) والذي ساعدنا بشكل كبير في تقسيم أساليب السخرية عند الجاحظ والتي

وظفناها في استخراج نماذج السخرية في الجانب التطبيقي؛ وكتاب التداوليات الاستدلالية (مرسي، 2018) الذي كان لنا عونا في توضيح اللسانيات التداولية ومفاهيمها الإجرائية؛ وكتاب نظرية الصلة أو المناسبة (سبيربر وولسن & Sperber، Wilson، 2016) الذي حدّدنا من خلاله القصدية التواصلية، وغيرها من المراجع التي ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في استكمال هذا العمل.

يعود السبب الأول في اختيارنا لموضوع الدراسة إلى شغفنا الكبير بالمؤلفات الساخرة واهتمامنا المتزايد بها. أما السبب الثاني فيمكن في قناعتنا بأهمية موضوع القصدية التواصلية في النص الساخر وذلك لما تحمله السخرية من دلالات إيحائية ولكثرة ما تؤديه من أغراض نقدية الهدف منها إصلاح المجتمع.

وعليه، تتمثل أهمية هذه الدراسة في أنها تلقي الضوء على الدور الذي يمكن أن تلعبه النظرية التداولية في الكشف عن قصدية المرسل من سخريته وتضمين أقواله، وهو أمر يفتح المجال أمام المترجم للإلمام بكل ما يُحيط بنصّه ظاهرا كان أم ضمنيا.

كما نهدف من خلال هذه الدراسة إلى المحاولة ربط هذا الموضوع بالترجمة ونقدّم ولو الشيء القليل في مجال السخرية والترجمة من أجل معرفة كيفية تعامل المترجم مع هذا الأسلوب في عملية الترجمة خاصة وأنه يحمل في طياته معاني ومقاصد خفية. كما نصبو إلى المساهمة في إيجاد طريقة مناسبة لترجمة النصوص الأدبية الساخرة، وذلك من خلال الإشارة إلى أهمية توظيف مباحث النظرية التداولية في تحليل النص المراد

ترجمته وتفكيكه والكشف عن السياق الذي أنتج فيه سواء كان لغويا أو غير لغوي. إضافة إلى التنويه إلى أن تطبيق استراتيجيات الترجمة التداولية تساعد المترجم على إنتاج نصّ مُترجم يتوافق تداوليا مع النصّ الأصلي وبهذا يحقّق التأثير المطلوب في اللّغة الهدف وبالتالي تحقيق عنصر التواصل.

وبناء على ما سبق ارتأينا أن نصوغ إشكالية هذا البحث على النحو التالي: هل يمكن المترجم من الحفاظ على القصدية التواصلية للنص الأصلي في النص المترجم؟ وهل

أبقى على نفس وظيفة النصّ الساخر؟

وانطوت الإشكالية على أسئلة فرعية تتمثل فيمايلي:

- هل ترجم المترجم السخرية بسخرية؟

- هل تجاوز المترجم المعنى الحرفي للكشف عن القصدية؟

- هل اخترق المترجم المسلّمات الحوارية عند قيامه بترجمة السخرية؟

إن دراسة موضوع ترجمة القصدية التواصلية في النصّ الساخر والإجابة على إشكاليته

يحتّم وضع عدة فرضيات قمنا بصياغتها كما يلي:

- حافظ المترجم على القصدية التواصلية في النصّ.

- أبقى المترجم على نفس وظيفة النصّ الساخر.

- ترجم المترجم السخرية بسخرية.

- تجاوز المترجم المعنى الحرفي وبحث عن مضامين القول للكشف عن قصدية العبارة اللغوية.

- قام المترجم باختراق المسلمات الحوارية عند ترجمة السخرية.

وللإجابة عن الإشكالية والتحقق من صحة أو خطأ الفرضيات، اعتمدنا على منهج التحليل والنقد من أجل التعرف على ظاهرة الدراسة، ووضعها في إطارها الصحيح، بحيث تطرّقنا من خلاله إلى دراسة موضوع السخرية في إطار تداولي أي عن طريق دراسة اللّغة في الاستعمال. وبهذا ستقوم هذه الدراسة على جانبين، الأول نظري، سنعرض فيها المادة التي تمثل الأساس الذي يقوم عليه بحثنا والمتمثلة في موضوع السخرية وتجلياتها في الترجمة والقصدية التواصلية وترجمتها في ظل النظرية التداولية معتمدين في ذلك على وصف المادة ثم تحليلها. أما الثاني فهو تطبيقي حاولنا جاهدين من خلاله تحليل ونقد مواضع السخرية والقصدية التواصلية منها واستراتيجيات ترجمتها إلى اللغة الإسبانية.

جاءت هذه الرسالة في شكل مقدّمة وثلاثة فصول وخاتمة، حيث يتعلق الفصل الأول والثاني بالجانب النظري، في حين خصّصنا الفصل الثالث للجانب التطبيقي. وقد يتعرّض هذا التقسيم إلى النقد من قبل الباحثين، لأنّ الأصل في منهجية البحث أن يكون الجانب النظري والتطبيقي متساويان من حيث تقسيم الفصول، إلّا أنّ ضرورة

البحث استلزمت أن يكون للجانب النظري فصلان والتطبيقي فصل واحد فقط، لكننا حاولنا قدر الإمكان الموازنة بين الفصول الثلاثة من حيث عدد الصفحات.

فيما يتعلّق بالجانب النظري، عملنا على أن تكون المعطيات والتفاصيل فيه محدّدة حسبما يخدم الدراسة التطبيقية، حيث تناولنا في الفصل الأوّل "السخرية في النّص وتجلياتها في الترجمة" وتتمثّل أهميّة هذا الفصل في أنّنا نرصد، من خلاله، مختلف الجوانب المتعلقة بأسلوب السخرية عامة وأسلوب السخرية عند الجاحظ خاصة، إضافة إلى ارتباط هذا الأسلوب بالترجمة.

قدّمنا في بادئ الأمر جملة من التعاريف المتعلّقة بأسلوب السخرية لأننا لا يمكن أن نتطرّق لأي موضوع دون الإلمام بمختلف الآراء حوله، ثم أشرنا إلى السخرية واضطراب ترجمة المصطلح وذلك لأننا صادفنا خلال البحث في مصطلح "Ironía" عدّة مقابلات في اللّغة العربية منها المفارقة والتهكّم والهزاء والهزل والمحاكاة الساخرة، لكننا ارتأينا، في آخر المطاف، أن نعتمد مصطلح السخرية مقابلاً لـ "Ironía" لأننا وجدنا أنّه المقابل الأنسب كون السخرية أعمّ من الأساليب التي ذكرناها وأنّ الكاتب الساخر يستخدم هذه الأساليب باختلافها لإنتاج سخريته. بعد ذلك تطرّقنا إلى أنواع السخرية، ووجدنا أنّ كلّ باحث ذكر أنواعاً مختلفة لأسلوب السخرية فقرّرنا أن نركّز على الأنواع الأكثر تداولاً وهي السخرية السقراطية والسخرية الرومانسية والسخرية اللّفظية والسخرية الموقفية. وبما أنّنا ندرس السخرية عند الجاحظ، خصصنا بعد ذلك

مبحثا يتناول السخرية عند الجاحظ من خلال التعرّض لأنواع السخرية التي وظّفها في كتاب "البخلاء" وهي السخرية الفكاهية والسخرية الانتقادية، لنذكر بعد ذلك خصائص السخرية عنده والمتمثلة في التصوير الكاريكاتوري والنفسي والواقعي. بعد ذلك تطرّقنا إلى أساليب السخرية عند الجاحظ لنعتمد عليها لاحقا في الدراسة التطبيقية، وهي التعريض والتورية والتهكم والحوار الجدلي والقياس العقلي والرّد بالمثل والدعابة والتلميح والكناية والمبالغة والمغالطة والمفارقة والاستفهام الساخر. وختمنا هذا الفصل بمبحث خصّصناه للإشارة إلى طريقة ترجمة أسلوب السخرية إلى لغة أخرى.

أما الفصل الثاني فهو يضمّ المفاهيم الإجرائية التي اعتمدنا عليها بالدرجة الأولى في رسالتنا هذه، حيث خصّصناه لدراسة القصدية التواصلية وترجمتها في ظل النظرية التداولية. ويحتوي هذا الفصل على تسعة عناصر، ولم يكن إدراجنا لمباحث هذا الفصل بهذا الترتيب عبثا وإنّما أدرجنا كل مبحث في مرتبة معيّنة، حسب ما يقتضيه موضوع بحثنا، حيث خصّصنا العنصر الأوّل للحديث عن نشأة النظرية التداولية وتطوّرها، للتعرف على جذور النظرية للتمكن من تحديد مفهومها الحقيقي وتفاذي الخلط مع نظريات ومذاهب أخرى. ثمّ تطرّقنا في العنصر الثاني والمتمثل في مفهوم التداولية، بحيث لا يمكننا أن نتقدم في أي بحث دون تحديد ماهيته. لننتقل بعد ذلك للعنصر الثالث المتعلق بدرجات التداولية، وأدرجنا هذا العنصر لتحديد أي درجة من درجات التداولية يعتمد عليها موضوع بحثنا. يليه العنصر الرابع الذي سردنا فيه

مباحث النظرية التداولية معتمدين في ترتيب المباحث على ترتيب درجات التداولية الثلاث، وتتمثل هذه المباحث في الإشارات ونظرية أفعال الكلام عند "أوستن" - Austin - وعند "سيرل" - Searle - ومتضمنات القول التي تتفرّع إلى افتراض مسبق وأقوال مضمرة، إضافة إلى نظرية الاستلزام الحوارية التي تناولنا فيها مبدأ التعاون ومسلماته، ونظرية الحجاج. وخصّصنا العنصر الخامس لنظرية المناسبة (الصلة) عند "سبيربر وولسن" - Sperber & Wilson - لأنّ هذه النظرية هي الأساس الذي تُبنى عليه القصدية، لهذا خصّصنا العنصر السادس لإدراج مبحث القصدية بالتفصيل لأنّه يُمثّل لبّ موضوعنا، ويشمل هذا العنصر تعريف القصدية وأنواعها، وتحليل المقاصد تداولياً من خلال التأويل التداولي والسياق، إضافة إلى علاقة القصدية والتأويل التداولي والسياق بالترجمة. وبعد التعرف على النظرية التداولية ارتأينا أن نتطرّق في العنصر السابع إلى النظرية التداولية في الترجمة من أجل الإلمام بعلاقة كل مبحث من مباحث التداولية التي ركّزنا عليها في بحثنا بالترجمة. ويضم هذا العنصر الترجمة والافتراضات المسبقة والترجمة وأفعال الكلام والترجمة والاستلزام الحوارية وكذا الترجمة ونظرية المناسبة. عقب ذلك خصّصنا العنصر الثامن لمظاهر المقاربة التداولية في الترجمة المتمثلة في القصدية والمقبولية. إنّ تطرّقنا للعناصر السابقة سيفتح لنا المجال للتعرف على الاستراتيجيات التداولية في الترجمة والتي يوظفها المترجم للحصول على ترجمة

سليمة، ولقد صغناها في عنصر تاسع وأخير في التكافؤ التداولي والإيضاح والتعويض والتضمين.

أما بخصوص الجانب التطبيقي فيحتوي، كما أشرنا سابقاً، على فصل واحد تحت عنوان الدراسة التحليلية النقدية للمدونة، ولقد قسمناه إلى ثلاثة عناصر، يشتمل العنصر الأول على تعريف مدونة البحث المتمثلة في كتاب البخلاء، وتعريف مؤلف المدونة وهو الجاحظ، وذلك لأنّ التعرف على كاتب المدونة أولاً ضروري للتعرف على السياق الذي جاءت فيه أحداثها. أما العنصر الثاني فيتعلّق بتعريف المترجم وهو "سيرافين فانخول" -Serafín Fanjul-. وفي الأخير خصّصنا العنصر الثالث للدراسة التحليلية النقدية للنماذج المستقاة من المدونة.

وأتمنا رسالتنا بخاتمة شملت حصيلة الدراسة ككل بقسميها النظري والتطبيقي، حيث قمنا بإدراج جميع النتائج المتوّصل إليها والإجابة على الإشكالية من خلال إثبات صحة الفرضيات المطروحة من عدمها.

وفي الأخير، أدرجنا قائمة المراجع التي اعتمدنا عليها في إنجاز هذه الرسالة والتي قسمناها إلى مراجع باللّغة العربية ومراجع باللّغة الأجنبية. وتجدر الإشارة إلى أنّنا أدرجنا، فقط، المراجع التي استعملناها في الرسالة.

ونتيجة لاعتمادنا على مراجع باللّغات الأجنبية خاصة الانجليزية والاسبانية، ونظراً لاختلاف ترجمة المصطلحات اللسانية من اللّغات الأجنبية إلى اللّغة العربية، ارتأينا

أن ندرج مسرداً للمصطلحات اللسانية المستعملة في الأطروحة يضم اللغات العربية والاسبانية والانجليزية.

واعتمدنا في التوثيق والإحالات المرجعية على الطريقة المعتمدة من طرف الجمعية الأمريكية لعلم النفس "APA" وفق الدليل الصادر سنة 2017، حيث تراوحت منهجية نقل الاستشهادات بين تنصيص وتلخيص واقتباس، حيث اعتمدنا التنصيص عند التأكد من أنّ ما سننقله من المرجع يمثل قيمة علمية هامة تستلزم نقله بنفس الصياغة الأصلية. أما الاقتباس فلجاناً إليه عند ملاحظة أنّ المفردات الأصلية واللغة المستعملة يصعب إدراكها من طرف القارئ، حيث قمنا بإعادة صياغة نفس الأفكار والمعاني بلغة بسيطة ومفهومة. أما بخصوص التلخيص فلقد اعتمدناه بكثرة في بحثنا لأنّ معظم المعلومات والأفكار التي أردنا توظيفها في البحث جاءت في شكل فقرات طويلة يؤدي نقلها كاملة إلى الإسهاب والحشو الذي نحن في غنى عنه.

كما تجدر الإشارة إلى أنّنا واجهنا بعض الصعوبات، أهمّها فوضى المصطلحات وعدم توحيدها، حيث كنّا نجد للمصطلح الواحد الأجنبي عدّة مقابلات في اللّغة العربية، إضافة إلى تداخل عدّة مصطلحات مع بعضها من حيث الدلالة. ومثال ذلك مصطلح (intencionalidad) الذي وجدنا له عدّة مقابلات مثل القصد والمقصد والقصدية والمقصدية؛ أو مصطلح (ironía) الذي تداخلت دلالاته مع المفارقة والهزاء والهزل والتهكم؛ ولا ننسى مصطلح (pragmática) الذي ترجم بالتداولية والبراغماتية والذرائعية

والوظيفية والسياقية، وغيرها من المصطلحات اللسانية التي ترجمها كلّ باحث حسب مفهومه، الأمر الذي أخذ منا جهداً كبيراً لاختيار المقابلات الأنسب والأقرب لموضوع الرسالة. إضافة إلى ذلك، واجهنا عقبة تتمثل في قلّة المراجع التي تناولت موضوع السخرية وترجمته بالبحث وتعذّر الوصول إليها في كثير من الأحيان حتّى وإن توفرت.

الفصل الأول:

القصدية التواصلية وترجمتها في ظل

النظرية التداولية

1. الفصل الأول: القصدية التواصلية وترجمتها في ظل النظرية التداولية

0.1. تمهيد الفصل:

سننظر في هذا الفصل إلى القصدية التواصلية وترجمتها في ظل المقاربة التداولية. وبما أنّ القصدية مبحث يدخل ضمن النظرية التداولية ارتأينا أن نطلق من العام إلى الخاص بحيث نستهل بحثنا بالحديث عن نشأة النظرية التداولية وتطورها من أجل التعرف على جذورها والتمكن من معرفة المراحل التي مرّت عليها هذه النظرية من أجل تحديد مفهوميها الحقيقي، لذلك سيكون من الضروري إدراج، بعد ذلك، جملة من التعاريف المرتبطة بالتداولية وذكر درجاتها الثلاث. عقب ذلك سنتناول مباحث التداولية المختلفة، ولقد عمدنا إلى الإشارة إلى مبحث الإشارات إشارة موجزة كوننا لم نركّز عليه في بحثنا. بعد ذلك أدرجنا المباحث التي سوف يقوم عليها البحث، حيث تطرقنا إلى نظرية أفعال الكلام عند "أوستن" -Austin- و"سيرل" -Searle-، في بادئ الأمر لأنها هي أساس ظهور النظرية التداولية. ثم نذكر بعد ذلك متضمنات القول ونظرية الاستلزام الحوارية وخصائصه عند "غرايس" -Grice- والمتمثلة في مبدأ التعاون ومسلّماته، والتي ستساعدنا على فهم القصدية من الكلام. لنمرّ بعد ذلك إلى نظرية الحجاج، وهي النظرية التي ستساهم في التعرف على المقاصد المبنية على الحجج. ثم سنتناول نظرية المناسبة (الصلة) عند "سبيربر وولسن" -Sperber & Wilson- في هذه المرحلة لأنها ستكون بمثابة التمهيد لمبحث القصدية.

وكخطوة ثانية من الفصل، سنتطرق إلى القصدية بحيث نتناولها بالتعريف أولاً ثم نذكر أنواعها المتمثلة في القصدية الإخبارية والقصدية التواصلية، بعد ذلك نقوم بالحديث عن تحليل المقاصد تداولياً بحيث نذكر في هذه النقطة مساهمة التأويل التداولي في تحليل القصدية في النص الهدف ثم في الترجمة، إضافة إلى مساهمة السياق في تحليل المقاصد وعلاقة السياق بالترجمة.

ثم ننتقل بعدها إلى النظرية التداولية في الترجمة بحيث سنشير علاقة النظرية التداولية بالترجمة ومدى مساهمتها في إنتاج ترجمة صحيحة وذلك من خلال التطرق إلى علاقة كل مبحث من مباحث النظرية التداولية بالترجمة، على النحو التالي، الترجمة والافتراضات المسبقة ثم الترجمة وأفعال الكلام والترجمة والاستلزام الحوارى لنختم بالترجمة ونظرية المناسبة (الصلة).

لنتطرق بعدها إلى مظاهر المقاربة التداولية في الترجمة المتمثلة في القصدية والمقبولية.

وفي آخر خطوة في هذا الفصل، وبعد التطرق إلى كل ما يحيط بالنظرية التداولية والترجمة، سنذكر الاستراتيجيات التداولية التي تساهم في الترجمة والمتمثلة في التكافؤ التداولي والإيضاح والتعويض والتضمين.

1.1. نشأة النظرية التداولية وتطورها:

لم تولد النظرية التداولية من العدم وإنما جاءت نتيجة لاتجاهات معرفية سابقة، فإذا حاولنا البحث في الجذور الأولى لهذه النظرية نجد أنّ لديها امتدادا طويلا للفلسفة التي أثرت فيها إلى حدّ كبير، ومن بين الاتجاهات الفلسفية التي ساهمت مساهمة فعّالة في ظهور النظرية التداولية -حسب الباحثين- ما يعرف بالفلسفة التحليلية، وهي اتجاه جاء ثورة على الفلسفة الكلاسيكية- التي اهتمت بالاتجاه الميتافيزيقي والطبيعي وأهملت الجانب اللغوي - ويركز موضوعه الأساسي على اللّغة.

ويقول صحراوي (2005، ص ص 20-21) أنّ الفلسفة التحليلية "أدارت ظهرها للمنهج الذي اتبعته الفلسفة الكلاسيكية (الميتافيزيقية والطبيعية)، [...] فأتخذت اللّغة موضوعا للدراسة باعتبارها أولى الأولويات في أيّ مشروع فلسفي يتوخى فهم الكون ومشكلاته فهما صحيحا.

وبهذا تكون اللّغة هي الأداة التي أعادت الفلسفة التحليلية من خلالها صياغة الإشكالات الفلسفية وتحليلها على أساس علمي. كما أنّنا لا يمكن أن نتجاوز فكرة أن اللّغة هي السبيل الأنجع لفهم علاقة الانسان بالعالم. ويقول "ستيوارت" - Stuart - (د.ت، ص 81) في ذلك: "إن جميع الحالات الموضوعية لشؤوننا، وجميع العلاقات الذاتية مع الأفراد ومع المجتمع، ومع تاريخ الجنس البشري قائم على أساس لغوي [...] فإلطابع اللّغوي مرتبط دائما وأبدا بالفهم، ما دام المعنى الذي تنقله لنا اللّغة لا

يصير ملموساً إلاّ على هذا النحو. فالوجود الذي يمكن أن يكون مفهوماً أولاً هو اللّغة".

نشأ هذا الاتجاه الفلسفي على يد "فريجه" -Frege-، وقد تأثر به عدد من الفلاسفة منهم "هوسرل" -Husserl- و"كارناب" -Carnap- و"فتجنشتين" -Wittgenstein- و"أوستن" -Austin- و"سيرل" -Searle- وغيرهم، وتجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسألة عامة مفادها "أنّ فهم الإنسان لذاته ولعالمه يتركز في المقام الأول على اللّغة، فهي التي تعبّر له عن هذا الفهم، وتلك رؤية مشتركة بين جميع تيارات الفلسفة التحليلية واتجاهاتها" (صحراوي، 2005، ص 21).

إنّ اتجاهات الفلسفة التحليلية متعددة ومتنوعة، ويقول في ذلك رشوان (1984، ص 153) أنّه " ليس من الخطأ أن نقول هناك "فلاسفة تحليليون" لا "فلسفة تحليلية"، إذ من الخطأ فيما يرى "أميريان" التحدث عن الفلسفة التحليلية كما لو أنّها من جنس واحد، ومن طينة واحدة، فليس هناك فلسفة وحيدة للتحليل [...] وكل ما هنالك أنّ لفظ "التحليل" هنا نستخدمه ليكون مجرد طريقة نجمع بها عدداً من الفلاسفة يتقاسمون اهتمامات وإجراءات معيّنة".

وبهذا نجد بعض الخصائص والمميزات التي تجمع بين الفلاسفة التحليليين، وتتمثل هذه المميّزات في الركائز التي اعتمدها الاتجاه التحليلي في دراسة القضايا اللّغوية

والفلسفية وهي في نظر "سكوليموفسكي" -Skolimowski- (سكوليموفسكي في
رشوان، 1984، ص ص 154-155) كالاتي:

- اعترافها بدور اللّغة الفعّال في الفلسفة، أو -بعبارة أخرى- ما يمكن أن نسميه اتجاهها
الشعوري المتزايد نحو اللّغة.

- اتجاهها إلى تفتيت المشكلات الفلسفية إلى أجزاء صغيرة لمعالجتها جزءا جزءا.¹

- خاصيتها المعرفية.²

- المعالجة المشتركة بين الذوات (أو بين ذاتية) لعملية التحليل.³

لقد قدّم الفلاسفة التحليليون دراسات مهمّة في كل من الجوانب الدلالية والتداولية للّغة،
ونتج عن هذه الدراسات أنّهم " تجاوزوا الفكرة القائلة بأنّ المشكل الفلسفي يكمن في
اللّغة ذاتها، إلى تحديده في الاستخدام السليم للّغة" (بوجادي، 2009، ص 50).
وهذا ما يؤكّده علفان (علفان في بوجادي، 2009، ص 50)، قائلا أنّهم كانوا " يّلحون
على وصف اللّغة في استعمالاتها دون تجريدتها من تداولها العادي، وحصروا المعنى
في الاستعمال".

1 - ويقصد بهذا التفتيت أن " يكونوا على معرفة تامة بالمسائل الصغيرة، التي تؤدي في نظرهم إلى الدّقة والإنقان.
(ختام، 2016، ص 29)

2- وهي حسب ما يوضحه رشوان، اتجاه الفلسفة التحليلية نحو الكشف عن العالم الخارجي، وذلك عن طريق
فحصه، لأجل اكتساب المعرفة، وليس لأجل أي سبب آخر. وهو ما دفع البعض إلى نعتها بالفلسفة العلمية (ختام،
2016، ص 29).

³ يقصد بالبين ذاتية هنا، أنّ الفلسفة التحليلية تستخدم نوعا من التحليل له معناه المشترك بين الذوات بالنظر إلى
اللّغة التي يتحقق فيها (ختام، 2016، ص 29)

وتنقسم الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية:

- الوضعانية المنطقية بزعامة رودلف "كارناب" - Rudolf Carnap -، حيث كان "كارناب" - Carnap - ينظر إلى أنّ تحليل اللّغة لابد من أن يكون منطقياً، وذلك للتمكن من الوصول إلى حلّ المشكلات الفلسفية، وذلك من خلال كتابيه "التركيب المنطقي" (1934)، وكتاب "الفلسفة والتركيب المنطقي" (1935)، حيث لاحظ "كارناب" - Carnap - أنّ اللّغة الطبيعية (العادية) تسيء إلى الواقع لاتصافها بالاعتباطية والغموض، وحتى التناقض في بعض الأحيان، لذلك لابد من استبدالها بلغة منطقية صارمة" (كارناب في بوخشة، د.ت، ص 06).

أما صحراوي (2005، ص 22) فينتقد هذا الاتجاه مشيراً إلى أنّ:

الوضعانية المنطقية بسلوكها المنهج الصوري تقصي القدرات التواصلية العجيبة التي تمتلكها اللّغات الطبيعية، بل تستبعد تلك اللّغات وتقصيها تماماً من نشاطها العلمي الدراسي، وتهتم ببناء لغات بديلة مقصورة على مجال تواصل في غاية المحدودية والرسمية والتخصص العلمي الضيق المحدود بينما لا تظهر القدرات التواصلية الحقيقية للّغات الطبيعية إلّا في استعمالها العادي، أي من قبل المتكلمين العاديين في الحياة الطبيعية العادية.

إنّ انتهاج فلاسفة الوضعانية المنطقية للمنهج الصوري المجرد وحصرهم التحليل الفلسفي في النطاق اللفظي واستبعاد العلاقة بين الفكر والواقع يؤدي إلى محدودية الفكر الانساني. وهذا ما جعل الفلاسفة التحليليون المعاصرون يثورون على هذا الاتجاه.

- الظاهرية اللغوية بزعامة "إدموند هوسرل" -Edmund Husserl-، وساهم هذا الاتجاه بشكل كبير في التنبّه إلى القصد من الكلام الذي يعد الحجر الأساس في النظرية التداولية. على الرغم من أنّ المنظور الظاهراتي لا يتبنى البعد الاستعمالي العادي للغات الطبيعية كمبدأ أساسي ومن ثمّ فهو اتّجاه غير تداولي، لكن هذا الموقف النقدي ينبغي ألاّ ينسينا أنّ الفلسفة الظاهرية قد جاءت بمبدأ إجرائي جد مفيد في اللسانيات التداولية وهو مبدأ القصدية" (صحراوي، 2005، ص 23)

- فلسفة اللّغة العادية على يد "فتجنشتين" -Wittgenstein-، وقوامها الحديث عن طبيعة اللّغة وطبيعة المعنى في كلام الرّجل (الإنسان) العادي. وأهم ما يميّز فلسفة فيتجنشتاين التحليلية بحثه في المعنى وذهابه إلى المعنى ليس ثابتاً ولا محدّداً، ودعوته إلى نقادي البحث في المعنى المنطقي الصارم (صحراوي، 2005، ص 20).

والمادة الأساسية للفلسفة عند "فتجنشتين" - Wittgenstein- هي اللّغة، حيث "طوّر فلسفته الجديدة التي توصي بمراعاة الجانب الاستعمالي في اللّغة، فالاستعمال هو الذي يكسب تعليم اللّغة واستخدامها" (صحراوي، 2005، ص 23). وبهذا نجد أنّ "فتجنشتين" - Wittgenstein- بدراسته للجانب الاستعمالي للّغة، تطرّق إلى أهم نقطة تركز عليها التداولية، والتي تتمثل في "دراسة اللّغة في الاستعمال".

ليست كلّ اتجاهات الفلسفة التحليلية تداولية، وإنّما اهتمت في دراستها باللّغة الطبيعية اليومية والاستخدام السليم لها، وساعدت في إظهار الأبعاد التي تقتضيها العملية

التواصلية، كما ساهمت في اكتشاف المباحث الأساسية في النظرية التداولية مثل
القصدية والجانب الاستعمالي للغة، الذي ركزت عليه فلسفة اللغة العادية.
إنّ فلسفة اللغة العادية هي التي مهّدت الطريق أمام ظهور أهم مباحث التداولية، ولقد
ظهرت هذه الفلسفة - كما سبق وأن ذكرنا على يد الفيلسوف "فتجنشتين" -
Wittgenstein -، ومادته الأساسية هي اللغة، حيث يعدّ "فتجنشتين" -
Wittgenstein - من الفلاسفة الأوائل الذين نظروا إلى الجانب الاستعمالي للغة،
بدءاً من أعماله الأولى في المنطق والفلسفة والمنتهية في (1918)، حيث ميّزتها
دراسة الوظيفة التمثيلية اعتداداً بمدى صحّة الملفوظات وخطئها (بوجادي، 2009،
ص51).

ويرى "فتجنشتين" - Wittgenstein - أن اللغة هي الفكر أي أن اللغة والفكر وجهان
لعملة واحدة وهذا ما أوضحته "أرمينكو - Armengaud -" (1987، ص22) مشيرة إلى
أنّ "لا وجود للغة خاصة بالفرد، وأنّ اللغة تركيبية عمومية يتّبع فيها الفرد القواعد في
إطار نشاط عمومي مراقب من خلال ممارسة التواصل"، ولقد ركز "فتجنشتين" -
Wittgenstein - على "ضرورة استبدال معنى التواصلية في اللغة، بالتعبيرية، على
أساس أنّ الوظيفة الأساسية التي تستند إلى اللغة ليست تمثيلاً للعالم وتعبيراً له بقدر
ماهي آلية للتأثير في الآخرين في إطار عملية التواصل" (واضح، 2012، ص78).

سار "فتجنشتين" - Wittengenstein - على المنحى الذي سار عليه "مور" - Moore⁴ واعتبر اللّغة هي الحجر الأساس في تحليلاته الفلسفية، ويهدف وراء تحليل اللّغة إلى "معرفة الحدود التي يجب أن تستخدم فيها بطريقة ذات معنى، وإلاّ كانت لغتنا مجرد لغو لا معنى له" (عزمي، 1973، ص 237) وكان يرى "فتجنشتين" - Wittengenstein - أنّ "المشكلات الميتافيزيقية تحلّ بالبحث في الطريقة التي تعمل بها لغتنا، أي بالتعرف على طريقة عمل اللّغة واستعمالها." (ختام، 2016، ص 36). واللّغة المقصودة هنا حسب فتجنشتين " - Wittengenstein - ليست اللّغة المنطقية الصورية، كما هو الحال مع "رسل" - Russell⁵، بل هي لغة الحديث اليومي. لذلك

4- جورج مور من رواد الفلسفة التحليلية و كان ينتمي إلى مدرسة كامبرج، ولقد اشتغل في إطار فلسفته التحليلية بالحس المشترك، و يقصد به الإدراك الفطري و التمثيل العفوي الذي يعبر عنه الإنسان البسيط بخصوص جملة من القضايا التي تستأثر باهتمامه [...]. كما أنّ اللّغة التي يعتمد عليها الحس المشترك هي لغة شفافة صادقة، تبتعد عن التجريد الذي يذبح لغة الفلاسفة [...]. كما أنّ اللّغة العادية عند مور، أداة لا غنى عنها لتجاوز كثير من القضايا الفلسفية الزائفة [...]. ويخلص مور إلى ضرورة إخضاع النصوص الفلسفية لتحليل لغوي لتبيان مدى انحراف لغة الفلسفة عن اللّغة العادية . (ختام، 2016، ص 31)

5- من أشهر رواد الفلسفة التحليلية، وهو ينتمي بدوره إلى مدرسة كامبرج، ومؤسس لما يعرف بالذرية المنطقية، واهتم بتقنين القضايا الفلسفية وكانت غاية "رسل" - Russell -، جعل الفلسفة أداة لفهم العالم وحلّ مشكلاته، ورفض بذلك الميتافيزيقا وعمل على اصطناع لغة منطقية مختلفة عن اللّغة الطبيعية. واتخذ اشتغاله باللّغة منحيين: التحليل الصوري للعالم من خلال تحليل الوقائع والقضايا من جهة، وتحليل اللّغة من خلال نظرية الأنماط ونظرية الأوصاف من جهة أخرى... واهتم رسل بتحليل اللّغة منطقيا، على اعتبار أنّ بيان خواصها يساعدنا على فهم العالم [...]. وذلك من خلال تحليل اللّغة البشرية. غير أنّه يؤكّد أنّ اللّغة الطبيعية المستعملة في حديثنا اليومي سبب في إثارة جملة من القضايا الفلسفية الزائفة. ويرجع هذا الزيف إلى مفرداتها وتراكيبها النحوية التي تسمح بانتشار تعابير فجة مثل "الجبل الذهبي" و "المربع الدائري". فالعبارة الأخيرة مثلا تؤدي صورتها النحوية إلى الاعتقاد بأنّها تتناول موضوعا، غير أنّها في الحقيقة لا تشير إلى موضوع محدد. ووظيفة التحليل الفلسفي أنّ يكشف لنا الصورة الصحيحة المنطقية للجملة (ختام، 2016، ص 31، ص 33)

فإنّ الفلسفة مدعوة إلى التخلي عن الاستخدام الميتافيزيقي للغة والعودة إلى لغة الحياة اليومية" (ختام، 2016، ص36).

ولقد أسّس فتجنشتين " - Wittengenstein - من خلال اهتمامه باللّغة العادية لما يعرف بألعاب اللّغة، التي كانت السبب الرئيس وراء ظهور ظاهرة الأفعال الكلامية، ويقصد بها بأنّ اللّغة في حد ذاتها لعبة ولها قواعد تحدّدها ولا يجوز مخالفتها، شأنها شأن الألعاب الأولمبية والشطرنج وألعاب الورق وغيرها ولكل لعبة قوانين تحكمها تختلف عن الأخرى. كما يرى فتجنشتين " - Wittengenstein - أنّ الألفاظ هي التي توضح معناها ضمن السيّاق الذي وردت فيه ويقول في ذلك: "كما يقال في الرياضيات، دع البرهان يوضح لك ما يمكن البرهنة عليه، فإننا نقول دع الألفاظ تعلمك وتوضح لك معناها" (ختام، 2016، ص37)، وبهذا لا تتوضّح معاني الألفاظ إلّا ضمن السيّاق الذي ترد فيه، وبالتالي فإنّ "اللفظ لا يستعمل للدلالة على صورة منطقية واحدة [...] وإنّما يعبّر عن معان كثيرة بحسب سياق الكلام. ذلك أنّ المعنى يختلف بين استعمال وآخر، لأنّ الكلمة ليست ماهية ثابتة، وإنّما يتحدد معناها من خلال المواقف الفعلية المختلفة" (ختام، 2016، ص37).

وميّز فتجنشتين " - Wittengenstein - بين المعنى المحصّل الذي يرتبط بالكلام، وبين المعنى المقدر الذي يرتبط بالجملة، والناطق في كل ذلك يتّبع قاعدة ويمثّل إليها،

وهي لا تعدُّ في رأي فتجنشتين " - Wittengenstein -كونها لعبة من ألعاب اللّغة"
(بوجادي، 2009، ص52).

بيّن فتجنشتين " - Wittengenstein -، من خلال ألعاب اللّغة، كيفية استخدام اللّغة في استعمالها العادي من قبل المتكلمين العاديين لها. حيث "أنّ فتجنشتين"-
Wittengenstein - كان مسؤولاً عن القول المشهور المميّز لنشاط فلاسفة اللّغة العادية
القائل: لا تسأل عن المعنى، بل اسأل عن الاستعمال" (رشوان، 1984، ص: 17).
وبهذا نجد أنّ الاستعمال هو الذي يحدّد معنى الألفاظ، ويكون ذلك داخل السياق الذي
استعملت فيه هذه الألفاظ، فيمكن للفظ الواحد أن يختلف معناه باختلاف السياقات التي
يرد فيها.

إنّ أعمال "فتجنشتين" - Wittengenstein - كانت بمثابة المرجع الذي استند إليه
"أوستن" -Austin- في فلسفته التي انبثقت عنها ظاهرة أفعال الكلام، وتبناها لاحقاً
"سيرل" -Searle- في دراسة القوّة الإنجازية.

لقد استطاعت الفلسفة التحليلية من خلال دراسة اللّغة العادية وتحليلها، وبابتعادها عن
الميتافيزيقا والمفاهيم الفلسفية القديمة، أن ترسم طريقاً واسعاً أمام ظهور النظرية
التداولية، خاصّة ظاهرة ألعاب اللّغة والتي لعبت بدورها دوراً فعّالاً في توصل التداوليين
إلى دراسة اللّغة في الاستعمال وفهمها، خاصّة إذا كان ذلك الكلام متضمناً لأفعال

مخالفة لمقتضى الظاهر وتحمل دلالات تتجاوز المعنى الذي يصرح به المخاطب أثناء العملية التواصلية.

ولقد اهتم رؤاد النظرية التداولية، الذين ينتمون، في الأصل، إلى مدارس الفلسفة التحليلية باختلافها، بتحليل كل ما له علاقة بالاستعمال اللغوي ونذكر بذلك، أفعال الكلام ومتضمنات القول والاستلزام الحوارية وغيرها من المباحث، حيث ساعد هذا الأمر على فهم العديد من قضايا التواصل البشري. وبما أنّ ظاهرة التواصل البشري ظاهرة معقدة في حدّ ذاتها وتثير تساؤلات كثيرة، كونها ذات صلة مباشرة بما يختلج المتخاطبين أثناء عملية التواصل وحالتهم النفسية وكذا الخلفيات المعرفية لديهم ومقاصدهم المختلفة من الكلام، فلقد سعى التداوليون إلى دراسة كل ما يحيط بالعملية التواصلية وهذا من خلال دراسة الأقوال ومتضمناتها وإدراك مقاصد المتخاطبين المعلنة والمضمرة، وفهمها في السياق الذي وردت فيه.

وليست الفلسفة التحليلية هي الوحيدة التي ساهمت في انبثاق النظرية التداولية، وإنّما كانت وليدة لعلوم أخرى كثيرة، لا يسعنا أن نذكرها كلّها في هذه الدراسة، لذلك نلاحظ ذلك التنوع والتشعب في قضاياها ومفاهيمها، وهذا ما يؤكده صحرابي (2005، ص 17، 25) قائلاً: "فمفهوم نظرية المحادثة قد انبثق من فلسفة بول غرايس في " مبدأ التعاون" ومسلماته الحوارية وأما نظرية الملاءمة فلقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي [...]".

يعود استحداث مصطلح التداولية -حسب الباحثين- إلى الفيلسوف الأمريكي "بيرس" -Pierce-، من خلال نشره لمقالة له تحت عنوان "كيف نجعل أفكارنا واضحة سنة 1878، ويعدّ بيرس من رواد السيميائية بحيث اهتم بدراسة العلامة، ويقول بوجادي (2009، ص55) أنّ "الدّرس التداولي يدين كثيرا إلى بيرس، فهو من الأوائل الذين اهتموا بدراسة العلامة انطلاقا من مفاهيمها الفلسفية ويعدّها أساس النشاط السيميائي، حيث أضحت عنده أوسع من مجالها اللّغوي إلى حد أنّ الانسان -حسب قوله- علامة وحين نفكر فنحن علامة".

والتداولية حسب بيرس هي "أداة مهمّة يمكن من خلالها نقل الواقع، كما يمكن اعتبارها وسيلة من وسائل المعرفة والاتصال ومنهجاً لجميع ميادين المعرفة، ويظهر ذلك جلياً في إطار إرجاعه تحديد العلامة اللّسانية بتحديدتها التداولي الاستعمالي في تنسيق مع علامات أخرى من طرف أفراد جماعة معيّنة" (واضح، 2012، ص85)

ترجع الجذور الأولى لتعريف التداولية، حسب ما أشار إليه العديد من الباحثين " إلى الفيلسوف الأمريكي "موريس" -Moris- " والذي استخدمه سنة 1938 دالاً على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السيمية (Semiotics)، وتتمثل هذه الفروع في علم التراكيب، وهو يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض، وعلم الدلالة الذي يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدلّ عليها أو تحيل إليها والتداولية التي " تهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسيها" (نحلة، 2002،

ص09). إنّ هذا التعريف "يجعل مفهوم العلامة يتجاوز مجالها اللّساني إلى المجال السيميائي ومجالها الإنساني إلى مجالات أخرى: المجال الحيواني والآلي والطبيعي" (بوجادي، 2009، ص56).

وفي إطار اهتمام "موريس" -Moris-⁶ باللغة ودراستها، خلص إلى أنّ اللّغة "نشاط تواصلية أساسا ذا طبيعة اجتماعية" (بوجادي، 2009، ص57). وبهذا لم يقص "موريس" -Moris- الجانب التواصلية للّغة الذي يعتبر الأساس الذي يركز عليه الجانب الاستعمالي في النظرية التداولية.

وهذا يعني أنّ التداولية تكتسب معانيها من خلال مظاهر استعمال اللّغة وهذه المظاهر تكون خارجة عن الإطار اللّغوي في حدّ ذاته وبالتالي فهي تتمثل في مجموعة من الحوافز النفسية والعناصر الطبيعية والاجتماعية والدينية والثقافية والتاريخية، بالإضافة إلى المتخاطبين وعلاقتهم ببعضهم البعض. ولقد أشارت كل من مولاي وبنوي (2014، ص03) في تحليل لما جاء به "موريس" -Moris- بأنّ التداولية لديه هي "كل ما يتعلق بمظاهر استعمال اللّغة وخصائصها والحوافز النفسية للمتكلمين، وكذا النماذج الاجتماعية، وموضوع الخطاب وغير ذلك، وهذا في مقابل المظهر التركيبي الذي يعنى بالعلاقات التركيبية الشكلية، والمظهر الدلالي الذي يعنى بالعلاقات القائمة بين مدلول الوحدات اللّغوية والواقع".

6- إنّ التداولية عند "موريس" -Moris- كانت "تقتصر على دراسة ضمائر التكلم والخطاب وظرفي الزمان والمكان (الآن، هنا) والتعبير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللّغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل. (ختام، 2016، ص20).

على الرغم من أنّ تشارلز موريس كان أوّل من أشار إلى التداولية باعتبارها جزءاً من السيميائية أوبالأحرى أحد الأسس التي تتركز عليها السيميائية، وأعطى لها أوّل تعريف، إلا أنّ مرسي (2018، ص29) يشير إلى أنّ تعريف موريس للتداولية:

لا يمكن الاكتفاء به؛ بالنظر إلى تطور العلم، خاصّة في سبعينيات القرن العشرين وثمانينياته، من ناحية، وتعدّد الاتجاهات فيه من ناحية ثانية، واختلاف المقاربات، إلى حدّ يصل إلى القطيعة المعرفية، مع مقارنة موريس، وخصوصاً فيما يتعلّق بالمتكلم ومقاصده وطبيعة القولات والتخاطب ومكوّناته، حيث نجد أنّ تعريف موريس، مع ريادته، ابن لحظته التاريخية؛ فهو يستخدم "العلامة" لا "القولة"، و"المؤول" دون أن يأتي على ذكر المتكلم، الذي أصبح فيما بعد، ومقاصده" بؤرة اهتمام التداولية.

عرفت العلوم تطوّراً حاسماً، بعد "موريس" -Moris-، خاصة العلوم اللسانية، وأصبحت بذلك التداولية تبحث في المتكلم ومقاصده من استعمال اللّغة وكل ما يحيط بها خارجياً وكذا المحيط الذي أنتجت فيه العملية التواصلية.

رغم الجهود الكثيفة التي بذلها الباحثون في الدرس اللّغوي إلا أنّ معالم وحدود التداولية لم تكتمل إلا بمحاضرات "أوستن" -Austin- حول فلسفة "ويليام جيمس" -William James- بجامعة هارفرد سنة 1955. وقد قدّم "أوستن" -Austin- من خلال هذه المحاضرات "محاولة لتفسير المعنى وسمّاها "بالفرضية الإنجازية"، "كيف نصنع الأشياء بالكلمات". وكان التركيز الرئيس في نقاشه على التمييز بين فعل القول وفعل

القصد بالقول" (مرسي، 2018، ص40). كما انبثق عن هذه المحاضرات مفهوم "أفعال الكلام" والذي طوّره بعده "سيرل" -Searle-.

كما أنّ جهود "غرايس" -Grice- لعبت دورا حاسما في رسم حدود الدرس التداولي من خلال "نظرية المحادثة"، وبيّن من خلال هذه النظرية أنّ "تأويل ملفوظ ما يعتمد على عاملين: معنى الجملة المتلفظ بها من جهة، وسياق التلفظ (سواء أكان لسانيا أو خارج لساني) من جهة أخرى" (ختام، 2016، ص21). كما أنّ "غرايس" -Grice- قد ميّز بين ضروب من المعنى عبر ثنائيتين: "الما قيل" و"المستلزم". والمعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي. ويعدّ الزوج الأوّل أساس نظريته في الاستلزام التخاطبي والثاني أساس نظريته في المعنى بوجه عام. وكان ذلك في سبيله إلى بيان كيف يتواصل المتكلم والمخاطب عبر إرساء المبادئ الخاصة بالتواصل للتمييز بين ما يقال حرفيا، والمعاني التي يقصدها المتكلم" (مرسي، 2018، ص40).

وتذهب آيت بوجمعة (2016، ص03) إلى أنّ "أوستن" -Austin- وتلاميذه "كانوا جميعا مهتمين بطريقة توصيل معنى اللّغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها، وكان هذا من صميم عملهم، ومن صميم عمل التداولية أيضا".

وبهذا أصبحت التداولية منهاجا يعتمد عليه تزامنا مع الأبحاث التي قام بها "أوستن" -Austin- وتلميذه "سيرل" -Searle- و"غرايس" -Grice-.

2.1. مفهوم التداولية:

قبل الخوض في المعنى الاصطلاحي للتداولية، كان لابد من أن نعرِّج على الجذور الأولى لهذا المصطلح، فمصطلح التداولية، حسب ما وجدنا في معظم الدراسات التي اعتنت بالتداولية، هو ترجمة للمصطلح الغربي (Pragmatique)، الذي يرجع بدوره للجذر اللغوي "Pragma" الذي يعني بالإغريقية القديمة "فعل العمل". (آيت بوجمعة، 2016، ص01).

وبالنظر إلى الدراسات التي اهتمت بالتداولية نجد أنّ هذا المصطلح انتقل إلى اللغة العربية عن طريق عدّة ترجمات منها البراغماتية والمقامية والوظيفية والسياقية والتداولية،

ويقول الطيّب دبة (دبة في مولاي وبنوي، 2014، ص 03):

إنّ مصطلح Pragmatique، يملك في كثير من الكتابات اللسانية والفلسفية مدلولين اثنين، ففي الأول يراد به مبدأ النفعية وهو مبدأ يتجلى في الأبحاث التي يصاحبها غرض نفعي، وفي الثاني يراد به خاصية منهجية هامة لأحد مذاهب علم اللسان الحديث (اللسانيات التداولية)، ويعتبر تداوليا في اللسانيات كل بحث يتحرى دراسة اللسان من حيث هو خطاب واقعي منجز في ظل سياق مقامي محسوس.

من خلال ما جاء به دبة كان لابد من مراعاة عدم الخلط مدلولي مصطلح Pragmatique، والذي يعني في الأول مبدأ النفعية الذرائعية وفي الثاني مذهب من علوم اللسان، وهو موضوع بحث هذه الدراسة. إلا أنّ ما نلاحظه من خلال ما جاء به دبة، أنّه أغفل أن المصطلح الذي يقابل مبدأ النفعية الذرائعية هو (Pragmatisme)

وليس (Pragmatique)، ولعل ما جعل الطيب دبةً يفصل بين مدلولين لمصطلح (Pragmatique)، هو اختلاف ترجمات المصطلح إلى اللغة العربية، كما سبق وأشرنا. رغم الاختلافات التي صادفناها في ترجمة مصطلح (Pragmatique) إلا أننا نجد، حسب ما مرّ علينا في الدراسة أنّ مصطلح التداولية هو الأنسب لأن لفظ "دَوْل" يعني في اللغة الحركة والتحوّل، حيث يقول ابن فارس (1979، ج2، ص314): "والدال والواو واللام في اللغة أصلام أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان إلى مكان." ولقد أشار مرسى (2018، ص ص 41-42) إلى أن أول من ورد عنده لفظ التداوليات استعمالاً وتنظيراً هو طه عبد الرحمان، وأنّ أحمد المتوكل (1981) قدّم تأصيلاً لمفهوم الاستلزام التخاطبي واصلاً بين ما قدّمته التداوليات الغربية وما قدّمه السكاكي، إلا أنّ المتوكل قد ركّز جهده فيما بعد في وصف ظواهر العربية وتفسيرها من منظور اللسانيات الوظيفية، وربط مقولاتها بترائنا اللساني العربي.

مع التطور الذي شهدته اللسانيات، أصبح الاهتمام بالتداولية كبيراً جدّاً، بعدما كانت تعتبر سلة مهملات اللسانيات، ويرى "ليفنسون" -Levinson- (1983، ص ص 35-36) أنّ هناك أسباب عدّة متقاربة أدّت إلى تزايد الاهتمام بالتداولية في السنوات الأخيرة، فبعض هذه الأسباب تاريخي في الأساس، إذ أنّ هذا الاهتمام كان عبارة عن ردّة فعل على معاملة "تشومسكي" -Chomsky- للغة على أنّها شيء مجرد، أو أنّها قدرة ذهنية يمكن فصلها عن استعمال اللغة ومستعملها ووظائفها. ويرى أيضاً أنّ هذا

التجريد استمدته "تشومسكي" -Chomsky- من ما بعد بنيوية "بلومفيلد" -Bloomfield- التي سادت مباشرة قبل القواعد التوليدية التحويلية.

ولقد استطاعت التداولية بهذا أن تفتح آفاقا واسعة في الدرس اللساني، لأنّ اللسانيات التداولية تدرس اللّغة من حيث الاستعمال في الخطاب وهو الجانب الذي فشلت اللسانيات البنيوية في دراسته. حيث عملت اللسانيات البنيوية، ورائدها "دي سوسير" - De Saussure-، على تحليل الظاهرة اللغوية في إطارها الشكلي ونسقتها الداخلي، واستبعاد المعنى وعلاقة اللغة بمستخدميها، وهذا ما يؤكّده "مونجونو" - Maingueneau (مونجونو فيبوجادي، 2009، ص31)، حيث يقول: "تمثل (البنيوية) قطعة بين النحوية واستعمالها في الواقع أو في النصّ الأدبي، ولا تهتم بالعلاقة بينهما. وهي المهمة التي ستضطلع بها التداولية وتسمح بملاحظتها"، فالتداولية تهتم بالجانب الاتصالي أي دراسة اللغة في الاستعمال آخذة بعين الاعتبار علاقة اللّغة بمستخدميها. وتعد هذه الدراسة تطورا في الجانب اللساني الذي كان يهتم بالقواعد النحوية والصرفية والتركيبية وأهمل كل ما هو خارج هذه البنية. وبهذا جاءت التداولية كحلقة مكملة للفراغ الذي تركته البنيوية والدراسات اللسانية السابقة التي كانت تنظر إلى اللّغة على أنّها نظام يمكن دراسته وتحليله بغض النظر عن كل العوامل الخارجية التي تساهم في تكوين البنية النصّية أو الخطابية.

إنّ ظهور قضايا ومشاكل جديدة في اللّغة جعل الباحثين يتوجهون إلى إيجاد حلول لهذه المشاكل، الأمر الذي جعل اللّغة تتطور من نظام لغوي إلى علم يبحث في الوظيفة الاتصالية للغة وكيفية استعمالها، وهذا هو لبّ موضوع التداولية. والتداولية هي امتداد لمعارف فلسفية ولسانية، كما سبق وذكرنا، وتتداخل فيها المجالات والميادين، كالاقتصادية والنفسية واللغوية، الأمر الذي جعل مهمة تحديد مفهومها صعبة وعسيرة.

ولقد أشار "مونجونو" -Maingueneau- (مونجونو في بوجادي، 2009، ص ص63-

64) إلى هذا الأمر، عند تطرقه للتداولية، قائلاً:

إنّه من الصعب الحديث عن التداولية، لأنّ هذا التعبير يغطيه العديد من التيارات من علوم مختلفة، تتقاسم عدد من الأفكار [...] واللسانيون ليسوا وحدهم المعنيين بالتداولية، بل تعني الكثير من علماء الاجتماع إلى المناطق، وتتجاوز اهتماماتها بمجموع الأبحاث المتعلقة بالمعنى- والتواصل، وتطغى على موضوع الخطاب لتصبح نظرية عامّة للنشاط الإنساني.

ويؤكّد "دايك" -Dijk- (2001، ص114) تداخل هذا العلم مع علوم أخرى قائلاً: "

البرجماتية، هذا العلم الذي بدأ تطوّره على نحو صحيح منذ السنوات العشرين الأخيرة

له خاصية التداخل مع عدّة تخصصات أخرى، وقد حفزته علوم الفلسفة واللّغة

والأنثروبولوجيا، بل علم النفس والاجتماع أيضا".

وتُقر "أرمينكو" - Armengaud (1986، ص03) بصعوبة تحديد مفهوم التداولية كونها تقع في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية واللسانية، حيث تقولان التداولية "درس جديد وغزير إلا أنه لا يملك حدودا واضحة".

رغم اتساع مجال التداولية وتداخله مع عدة تيارات ومجالات أخرى، إلا أن ذلك لم يمنع الباحثين من العمل على تحديد مفهومها وفقا للمجال الذي ترد فيه. ولقد تعددت التعريفات باختلاف الرؤى ووجهات نظر هؤلاء الباحثين، وأكثر التعريفات التي جاءت لتحديد مفهوم التداولية صنفتها على أنها دراسة اللّغة في الاستعمال في سياق معيّن وكذا تحقيق غرض تواصلية. وهذا ما أشار إليه كلّ من "ريبول وموشلر" - Reboul & Moeschler، بأنها:

يمكن أن تعرف بصفة عامة على أنها دراسة استعمال اللّغة، في مقابل دراسة النّسق اللّغوي الذي يدخل بصيغة صريحة في اختصاصات اللّسانيات. وعندما نتحدّث عن استعمال اللّغة، فإنّ هذا الاستعمال ليس محايدا. فالإشارات على سبيل الذّكر لا يمكن أن تؤوّل إلا داخل سياقها التلّفظي، كما أنّ الكلمات تدلّ في مناسبات كثيرة على معان تفوق ما ننوي التعبير عنه (ريبول وموشلر في ختام، 2016، ص 16).

وبهذا ربط "ريبول وموشلر" - Reboul & Moeschler- التداولية بالمجال اللساني وعدّوها من اهتمام اللّسانيات، وبالتالي لا يسع استعمال اللّغة ضمن التداولية أن يخرج عن السياق، لأنّ الكلمة الواحدة يمكن لها أن تحمل عدّة معان حسب السياق الذي ترد فيه، لذلك وجب على المتلقي الأخذ بعين الاعتبار هذا السياق حتى يتمكن من فهم قصد المرسل.

ونظرا لأهمية السياق في التداولية نجد "بيرنر" -Birner- تربط التداولية بالسياق وتصفها بأنها " دراسة استعمال الألسن في السياق" (بيرنر في مرسى، 2018، ص30)، ويذهب "بلايك" -Black- في هذا الأمر إلى "إعادة تسمية التداولية: ففي نظره عليها أن تسمى بالسياقية" (بلايك في أرمينكو، 1986، ص08).

ويقول دالاش (دالاتش في بوجادي، 2009، ص ص70-71): "إنه تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث"، فمجال اختصاص التداولية يتمثل في البحث في طريقة تأثر الوحدات اللغوية مع السياق للوصول إلى المعنى ومساعدة المتلقي من استنباط ما قصده المتكلم من الخطاب، وبالتالي يصبح المعنى الحرفي مجرد وسيلة للكلام.

نجد كذلك "يول" -Yule- (2010، ص19) قد أدرج جملة من التعريفات حاول من خلالها إظهار معالم التداولية ومجال اهتمامها، والتداولية عنده " هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم ودراسة المعنى في السياق ودراسة كيفية إيصال أكثر ما يقال". أي دراسة المعنى كما أراد أن يوصله المتكلم وكما يفسره المتلقي، لذا تتجاوز التداولية معنى الكلمات وتقوم بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم حسب سياق معين، كما تنتظر في كيفية تأثير السياق فيما يقال، وتدرس كذلك التلميحات والاستدلالات التي يصوغها المستمعون للوصول إلى فهم وتفسير المعنى الذي يقصده المتكلم. ولقد بين "يول"

-Yule- أنه حتى نتكّن من فهم لماذا اختصت التداولية بمجالات الدراسة السابقة الذكر كان لابد من البحث في علاقتها بمجالات التحليل اللغوية كالنحو وعلم الدلالة وتوصل إلى أنّ التداولية هي الوحيدة التي تتيح إشراك البشر في عملية التحليل وبالتالي تصبح التداولية "دراسة العلاقات بين الصيغ اللغوية ومستخدمي هذه الصيغ" (بول، 2010، ص 20).

بناء على ما سبق، تهتم التداولية بإيصال المعاني الضمنية التي تجول في ذهن المرسل وما يقصده من خلال كلامه وتهتم بالطريقة التي ينظم بها المتكلمون خطاباتهم وذلك بالنظر إلى المكان والزمان والظروف التي جاء فيها الخطاب، أي أنّ السياق هو الذي يحدّد تلك المقاصد وبهذا تصبح التداولية دراسة كيفية إيصال أكثر مما يقال ومقاصد المتكلمين خلال سياق محدّد، فالقصديّة تختلف باختلاف السياق الذي يرد فيه الخطاب.

ويقول "ليتش" -Leech- (ليتش في مرسي، 2018، ص 29)، في نفس المقام، أنّ التداولية " تدرس كيف يكون للقولات معان في السياقات المختلفة". ويقول أيضا أننا "لا يمكننا أن نفهم طبيعة الألسن فهما عميقا إلا إذا فهمنا التداوليات على أنّها "كيف تستعمل الألسن في التواصل" (ليتش في مرسي، 2018، ص 29)، حيث يؤكد "ليتش" -Leech- التداولية هي كيفية استعمال الألسن من خلال التواصل وأنّ السياق هو الذي يحدّد المعاني المختلفة للقولات.

ونجد "ماي" -Mey-(ماي في مرسي، 2018، ص32) يربط استعمال الألسن وفقا

لظروف المجتمع وما يفرضه من شروط على المتخاطبين حيث يقول:

يحدث التواصل في المجتمع عن طريق اللّغة، إلّا أنّ المستعملين، بوصفهم موجودات اجتماعية، يتواصلون ويستخدمون الألسن بناء على إكراهات المجتمع، حيث يتحكم المجتمع في استخدامهم الطرائق التواصلية واللّسانية. والتداوليات بوصفها دراسة طرائق الاستعمال في التواصل، تتركز على دراسة تلك المواضع والمحددات وكيفية تأثيرها في الاستعمال الإنساني. من ثمّ فإنّ التداوليات هي (دراسة استعمال الألسن في التواصل الإنساني كما تحدده اشتراطات المجتمع وظروفه).

ويعني هذا أنّ الظروف الاجتماعية والثقافية وكل الظروف التي ترتبط بالمجتمع هي من تحدد مختلف السياقات التي تستعمل فيها الألسن، وبهذا فهذه الظروف تؤثر على المتخاطبين وفي المقاصد التي يحملونها في خطاباتهم.

إنّ معظم التعريفات التي سبقت، تميّزت بكونها خصّت التداولية بدراسة اللّغة في الاستعمال أو دراسة اللّغة في السياق، لكن "توماس" -Thomas- لم تُقرّ بهذا التخصيص وتتنظر إلى التداولية من ناحية مغايرة، بحيث اعتنت بأدوار كل من المتكلم والسامع في تركيب المعنى، وأوضحت في دراستها أنّ تعريفات التداولية التي ظهرت في ثمانينيات القرن العشرين، تقتصر على المعنى في إطار الاستعمال والمعنى في إطار السياق إلّا أنّ هذه التعريفات رغم دقّتها فهي عامة وتتداخل مع علم الدلالة الحديث الذي يركّز هو الآخر على المعنى في إطار الاستخدام والمعنى في إطار

السياق، لهذا تجد "توماس" -Thomas- أن تعريف التداولية من هذا الباب غير مرضي. (توماس في مرسى، 2018، ص ص 17-18). وتذهب إلى أن:

علّة الإصرار على هذه التعريفات هي رغبة في الانضواء إلى أحد الاتجاهين: اتجاه معنى المتكلم، واتجاه تأويل القولات، فالتيار الأول يركّز على المتكلم وينحو منحى اجتماعيا، أمّا التيار الثاني فهو من ذوي التوجه العرفاني الذين يركّزون على آليات فهم القولات من قبل المخاطب.

وفي الحقيقة أنّ المنظور الاجتماعي الذي يركز على منتج الرسالة (معنى المتكلم) يجلب حقيقة أنّ هناك وجهين أو مستويين في المعنى الذي يقصده المتكلم، حيث يتمثل المستوى الأول في معنى المنطوق أي الجملة/القولة، أما المستوى الثاني فيتمثل في القصد من وراء هذا المنطوق. (توماس، 2010، ص 40)، أمّا المنظور الثاني أي المعرفي فيتمثل في التركيز على تفسير المنطوق من وجهة نظر السامع أي الاهتمام بمتلقي الرسالة وتجاهل القيود الاجتماعية التي تطرأ على إنتاج المنطوق، لكن بهذه الطريقة يصعب الوصول إلى القصد وتفسيره نتيجة عدم الإلمام بالسبب الذي يجعل المرء يتكلم بهذه الطريقة (توماس، 2010، ص ص 17-41). ورأت "توماس" -Thomas- أنه "لا يمكننا الفصل بين معنى المتكلم وقصده من ناحية ومعنى القولات من ناحية أخرى، لأنّ تأويل القولات يعتمد على المتكلم والمخاطب معا" (توماس في مرسى، 2018، ص 35). ومن هذا الباب ارتأت "توماس" -Thomas- أن تعرف التداولية على أنّها "دراسة المعنى في التواصل" (توماس في مرسى، 2018، ص 35)، بحيث لا يكون المعنى شيئاً مقتصرًا على الكلمات فحسب، ولا ينتج بواسطة المتكلم

وحده ولا السامع وحده كون صنع المعنى عملية ديناميكية تقتضي إسهام المتكلم
والسامع وسياق المنطوق والمعنى المحتمل للمنطوق⁷. (توماس، 2010، ص41)

لا يمكن لما قدمناه من مفاهيم للتداولية أن يلم بجميع الآراء التي قدمها الباحثون حول
تعريف التداولية لأن مجالها شاسع متشعب لا يمكن حصره، فارتباطها بتخصصات
متنوعة مثل الفلسفة واللسانيات وعلم النفس المعرفي وعلوم التواصل جعل إيجاد تعريف
دقيق شامل لها شبه مستحيل، حتى أن "بلانشيه" - Blanchet (2007، ص19)
ذهب إلى أنه "لا وجود للتداولية بصيغة المفرد والأصح أن نسميها بالتداوليات".

ومما زاد من شساعة التداولية تزامنها مع مقاربات أخرى، نهلت منها، كالمقاربة
التداولية للفاعلية التواصلية لـ "هابرماس" - Habermas - بألمانيا، والسياقية الوظيفية
ببريطانيا والتي عرف بها "فيرث" - Firth - وطورها بعده "هاليداي" - Halliday -،
ونظرية التلفظ التي تحدث عنها "باليه" - Bally - ووسّعها بعده "بنفينسنت" -
Benveniste - . ورغم تنوع قضايا البحث التداولي في هذه المقاربات إلا أنها تعاملت
مع اللّغة وأثارت قضية الاستعمال في التواصل، وبهذا نتوصل إلى أن التداولية هي
دراسة اللّغة كظاهرة خطابية والاهتمام باستعمالها من طرف المتخاطبين للتواصل، مع
التركيز على الظروف المحيطة بالخطاب.

⁷ - يقصد بالمعنى المحتمل للمنطوق، المعنى الكامن في المنطوق (الجملة) نفسه (مرسي 2018، ص35).

ويمكن من خلال ما سبق، أن نلخص مهام التداولية، حسب ما جاء به صحراوي (2005، ص ص 26-27) كما يلي:

- دراسة اللغة في الاستعمال وهو أمر غفلت عنه البنيوية اللغوية، بحيث تدرس التداولية اللّغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها "كلاما محدّدا" صادرا من "متكلم محدّد" وموجّها إلى "مخاطب محدّد" بـ "لفظ محدّد" في مقام تواصلية محدّد لتحقيق غرض تواصلية محدّد.

- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات

- بيان أن الطريقة المثلى للتواصل تتم من خلال المزج بين أنموذج التشفير والأنموذج الاستدلالي

- بيان أن العلاقة بين اللغة والتواصل والإدراك والعلوم المعرفية لا بد منها لتحقيق تواصل كفاء

- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي. لكن مع ظهور التداولية المعرفية عند سبيربر وولسن أصبح من الضروري دراسة التواصل المباشر وغير المباشر على حد سواء.

ونظرا لانتساع الدرس التداولي قُسمت التداولية إلى ثلاث درجات بغية توحيد مباحثها.

3.1. درجات التداولية:

عمد "هانسون" -Hanson- (1974) إلى تقسيم التداولية إلى ثلاث درجات تتفاوت فيما بينها، ونلخصها حسب "أرمينكو-Armengaud-" (1987، ص 38-73)، كالآتي:

1.3.1. تداولية الدرجة الأولى:

هي دراسة التعابير المبهمة، والتي تتمثل في الرموز الإشارية، ضمن ظروف استعمالها أي في سياق تلفظها، وسياق هذه الدرجة وجودي (إحالي) يتمثل في الموجودات، أو محدّدات وهي: المتخاطبون ومحدّدات الزمان والمكان. وتدخل دراسة الإشارات لـ "بنفنيست" - Benveniste - (1966) في هذه الدرجة.

2.3.1. تداولية الدرجة الثانية:

تتمثل في دراسة كيفية إرتباط القضايا المعبر عنها بالجملة المتلفظ بها. ولا بد أن تتميز القضية المعبر عنها عن الدلالة الحرفية للجملة، ويتمثل السياق في هذه الدرجة في المعنى الموسّع وذلك لعدم ارتباطه بمحدّدات الزمان والمكان ويمتد إلى حدس المتخاطبين ونفسياتهم. ويدخل فيه سياق الأخبار والاعتقادات التي يتقاسمها المتخاطبين. ويدخل في هذه الدرجة الحجاج عند "ديكرو" -Ducro- والمعنى الحرفي

والسياقي عند سيرل Searle ومتضمنات القول والافتراضات المسبقة التي سنفصل فيها لاحقاً.

وتتدرج ضمن هذه الدرجة، نظرية الاستلزام الحواري لـ "غرايس" - Grice - القائمة على مبدأ التعاون (بوجادي، 2009، ص 79).

3.3.1. تداولية الدرجة الثالثة:

هي نظرية أفعال الكلام ويدخل فيها ما قدّمه "أوستين" Austin -- و"سيرل" - Searle -، وهي تدرس كيفية إنجاز وتأثير الأفعال في التواصل. "ولا يتحدّد الفعل الكلامي إلاّ من خلال السياق الذي يتكّفل بتحديد جدّية التلقّظ أو الدعابة أو إنجاز فعل معيّن (بوجادي، 2009، ص 81).

ومنه تم تقسيم التداولية إلى درجات مختلفة نظراً لتشعب مباحثها. كما أنّ هذا التفاوت بين درجاتها راجع لقوّة ودرجة السياق. إلاّ أنّنا سنركّز، حسبما يخدم دراستنا، على تداولية الدرجة الثانية والثالثة مع "غرايس" - Grice - و"أوستن" - Austin - و"سيرل" - Searle.

4.1. مباحث التداولية:

إنّ التداولية هي نقطة التقاء عددٍ مُهمّ من التيارات المعرفية تشترك كلها في بعض المسائل الرئيسية، لذلك تعددت مجالات البحث فيها، وفيما سيتقدم سنحاول الوقوف عند بعض قضايا التداولية التي ساهمت في الوصول إلى المعاني والمقاصد.

1.4.1. الإشارات (Deícticos):

سميت بالإشارات لأنها مقترنة بفعل الإشارة مثل "أنا، هذا وذلك وهناك وهنا [...]"، وهي ملفوظات لا تحيل على مدلول معيّن لأنها "موجودة في المعجم الذهني دون ارتباطها بمدلول ثابت" (الشهري، 2004، ص79)، وهي علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، فبالرغم من ارتباطها بمرجع، إلا أنه مرجع غير ثابت (حمادي، 2016، ص64). أي أنّها لا تكتسب معناها إلاّ من خلال السياق الذي وردت فيه، فعندما نقول "هذا" يظل هذا اللفظ خاليا من المعنى إن لم يقترن بسياق يعرفه كلا المتخاطبين عند التلفظ. ويسوق لنا نحلة (2002، ص16) مثلا يبين لنا فيه مدى أهميّة السياق في تحديد المرجع الذي تدلّ عليه بعض الإشارات، حيث يقول:

سوف يقومون بهذا العمل غدا"، هي عبارة شديدة الغموض لأنها تحتوي على عدد كبير من العناصر التي يعتمد تفسيرها على السياق المادي الذي قيلت فيه، ومعرفة المرجع الذي تحيل إليه، وهذه العناصر هي: واو الجماعة وضمير جمع الغائبين هم واسم الإشارة هذا، وظرفا الزمان غدا، والآن، وظرف المكان هنا، ولا يتّضح معنى هذه الجملة إلاّ إذا عرفنا ما تشير إليه هذه العناصر.

ومعرفة ما تشير إليه هذه العناصر مرتبط بسياق لا بد أن يكون معلوما لدى المتخاطبين وإلا فشلت العملية التواصلية.

ويشير "لفنسون" -Levinson- إلى أنّ "الإشارات تذكر دائما للباحثين النظريين في علم اللّغة بأنّ اللّغات الطبيعية وضعت أساسا للتواصل المباشر بين الناس وجها لوجه

وتظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنّا ما تشير إليه فيسود الغموض ويستغرق الفهم" (ليفنسون في نحلة، 2002، ص ص 16-17)، ومعناه أنّ التواصل عن طريق اللغة يستدعي وجود إشارات تحدّد من خلالها المرجع الذي نحيل إليه في طرفي الخطاب، وإن لم يتحدد مرجع الإشارة استحالة الفهم.

وتنقسم الإشارات إلى ثلاثة أنواع (نحلة، 2002، ص ص 17-21):

- الإشارات الشخصية (Deícticos personales)، وهي الإشارات الدالة على شخص، وهي الضمائر الدالة على المتكلمين مثل (أنا ونحن)، والضمائر الدالة على المخاطب مفرداً أو مثني أو جمعا، مذكراً أو مؤنثاً. وضمائر الحاضر تكون دائماً عناصر إشارية، لأنّ مرجعها يعتمد تماماً على السياق الذي تستخدم فيه. أما ضمائر الغائب⁸ فتدخل في الإشارات إذا لم يعرف مرجعها في السياق اللغوي، فإذا عرف مرجعها خرجت من الإشارات. كما يدخل في الإشارات الشخصية "النداء" لأنّه لا يفهم إلاّ إذا اتّضح المرجع الذي يشير إليه.

- الإشارات الزمانية (Deícticos temporales)، وهي كلمات تدلّ على زمان يحدّده السياق بالقياس إلى زمان المتكلم، فزمان المتكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع، فقولك

8- ويرى بنفنيست Benveniste أنّ "ضمير الغائب ذو طبيعة موضوعية، لأنّه لا يحيل إلى واقعة كلامية معيّنة، كما أنّ المرجعيات في هذا النوع من الضمائر لا دلالة لها لأنّها تقتزن سياقاً كلامياً محدّداً. لذلك يدرج بنفنيست Benveniste ضمير الغائب ضمن ما يُطلق عليه اللاشخص non-personne، ويستدلّ على ذلك من خلال استعماله لهذا المثال pierre est malade, il a la fièvre، وفي بعض الأحيان الإحالة على وقائع خارجية مثل il pleut (ختام، 2016، ص 79).

مثلا "لنتقي الساعة العاشرة" فزمن التكلم وسياقه هما اللذان يحددان المقصود بالساعة العاشرة صباحا أو مساء من هذا اليوم أو اليوم الذي يليه.

- الإشارات المكانية (Deícticos espaciales)، وهي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قريبا أو بعدا أو جهة، بحيث لا يمكن للناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل هنا وهناك ونحوها إلا إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه. فقولك "أحب أن أجلس هنا" فأنت تريد بذلك الكرسي، الأريكة، الحديقة، على الأرض... إلخ، حيث أن كلمة هنا تعبير إشاري لا يمكن تفسيره إلا بمعرفة المكان الذي يقصد المتكلم الإشارة إليه.

2.4.1. أفعال الكلام (Actos de habla):

تعد أفعال الكلام التي أرسى أسسها الفيلسوف "أوستن" - Austin - وطورها بعده تلميذه "سيرل" - Searle -، الهيكل الأساس للنظرية التداولية وتشكل "جزءا أساسيا من بنيته النظرية، بتصريح العلماء الغربيين المؤسسين للتداولية أنفسهم"، (صحراوي، 2005، ص 06)، بل إن التداولية "في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلامية" (نحلة، 2002، ص 41). وبهذا نجد أن الاستعمال اللغوي " ليس إبراز منطوق لغوي

فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معيّن أيضا في الوقت نفسه" (دايك، 2001، ص118)، بحيث أنّ الكلام يتحوّل إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية وتكون ضمن معطيات سياقية معيّنة.

انطلق "أوستن" -Austin- من مبدأ أنّ "الوحدة الدنيا للتواصل الإنساني ليست الجملة ولا أي تعبير آخر، بل هي إنجاز لبعض أنماط الأفعال" (أرمينكو، 1987، ص60)، حيث ينظر "أوستن" -Austin- إلى اللّغة بوصفها "فعلا"، وبناء على هذا يصبح الفعل الكلامي "وحدة التحليل الأساسية في دراسة الاستعمال اللّغوي لا "الجملة" فالمتكلم يؤدي أنواعا معيّنة من الأفعال مثل الإخبار والاستخبار، والطلب، والوصف، والتفسير، والاعتذار، والشكر، والتهنئة... الخ" (مرسي، 2018، ص177)، تكمن الوظيفة التواصلية للغة في تأدية أفعال معيّنة، تحمل قوة إنجازية خاصة، فعبارة "أطلق عليه النار" لا تخبر بشيء ما وإنّما هي جملة إنشائية تحمل فعلا إنجازي يتمثل في فعل الأمر "أطلق"، كما أنّها تتجاوز كونها جملة إنشائية فقط وإنّما تحمل قوّة إنجازية⁹ تتمثل في إنهاء حياة شخص معيّن.

جاءت هذه النظرية كثورة على الفكرة السائدة في الفلسفة حول مبدأ تصديق وتكذيب الجملة الخبرية، فكان مقياس الصدق والكذب¹⁰ هو الشرط الوحيد الذي تقاس عليه

9- تتمثل القوّة الإنجازية في القصد الذي ينويه المتكلم.

10- أطلق "أوستن" -Austin- لفظ "المغالطة الوصفية" (Descriptive Fallacy) على وظيفة اللغة المقصورة في وصف العالم الخارجي وتمثيله بالصدق أو الكذب، كون الفلاسفة المنطقيين كانوا يذهبون إلى أنّ اللّغة ماهي إلا أداة لوصف العالم الخارجي، ويكون الحكم على هذه الجمل، صادقة إذا طابقت الواقع الخارجي وكاذبة إن لم

دلالة الجملة، ويحكم على صدقها أو كذبها بمدى مطابقتها للواقع، وبهذا تنبّه أوستن إلى أنّ الجملة في اللّغة العادية ليست بالضرورة إخباراً، وأنّ القصد من الكلام هو تبادل المعلومات، مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته مما ينتج عنه تغيير في وضع المتلقي، والتأثير في مواقعه، وبهذا تقاس الجمل بمدى الإخفاق والتوفيق¹¹. (بوجادي، 2009، ص ص 89-90)

بما أنّ العبارات عند "أوستن" -Austin- لا تحتل كلّها الصدق والكذب، قسم أوستن العبارات إلى نوعين، يتمثل الأول في العبارات الخبرية (الوصفية) (Constatifs) وهي عبارات واصفة ينطبق عليها معيار الصدق والكذب، أما النوع الثاني فيتمثل في العبارات الإنجازية (Performatifs)، حيث ركز اهتمامه على النوع الثاني من العبارات لأنها ليست خبرية (وصفية)، وبالتالي لا يمكن أن نحكم عليها بالصدق والكذب، "فكذب أو صدق الأخبار لا يعتمد على دلالة مبنى فعل الكلام فحسب، بل على الفعل الذي نقوم بإنجازه والظروف التي يتم فيها الإنجاز" (مرسي، 2018، ص 180)، فالعبارة التي تقال في الكنيسة في مراسيم الزواج "أقبل أن تكون هذه المرأة زوجتي الشرعية" (أوستن، 1991، ص 16)، لا تذيع خبراً ولا تصف حقيقة ما، بل أنّ المتكلم يقوم بإنجاز فعل معيّن وهو فعل "القبول".

تطابق، وإن لم تطابق الجملة الواقع فلا معنى لها. ولقد عدل أوستن على لفظ "الوصف" واختار بدله لفظ "خبرية" للإشارة إلى العبارة الوصفية، وتصبح بذلك "العبارة الخبرية" بدل وصفية، كون العبارات الصادقة أو الكاذبة ليست كلّها دالة على الوصف. (أوستن، 1962، ص ص 1-3).

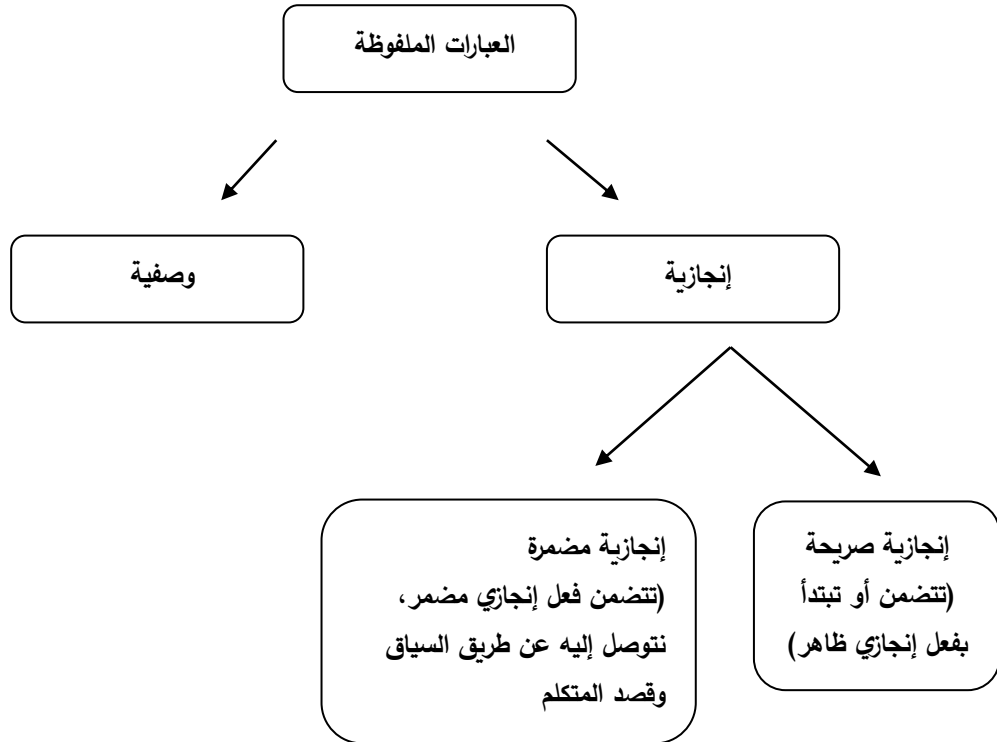
11- يقصد بالقياس بمدى الإخفاق والتوفيق مجموعة الشروط التي وضعها أوستن لتأكيد إنجازية العبارة.

أضاف "أوستن" -Austin- أنّ تأكيد إنجازية العبارات لا يتمّ إلاّ بعد توفر جملة من الشروط وعدم التقيد بها يؤدي إلى الإخفاق. ولقد لخصّ أوستن هذه الشروط فيما يلي (أوستن في نحلة، 2002، ص ص 44-45):

- وجود إجراء عرفي مقبول، وله أثر عرفي معين كالزواج مثلا أو الطلاق.
- أن يتضمن الإجراء نطق كلمات محددة ينطق بها أناس مُعيّنون في ظروف معينة.
- أن يكون الناس مؤهلين لتنفيذ هذا الإجراء.
- أن يكون التنفيذ صحيحا.
- أن يكون التنفيذ كاملا.

لكن سرعان ما تخلى "أوستن" عن هذا التقسيم لأنّ النُّطق بالعبارة هو "إنجاز لفعال أو إنشاء لجزء منه (أوستن، 1991، ص 16)، كذلك نجد أنّ كثيرا من الأفعال "تنطبق عليها شروط الأفعال الأدائية وهي ليست منها، وأنّ كثيرا من الأفعال الإخبارية تقوم بوظيفة الأدائية" (نحلة، 2002، ص 45)، وبناء على هذا أضاف "أوستن" - Austin - أنّ العبارات الخبرية (الوصفية) تحمل قوّة إنجازية مضمرة، ذلك كون الفعل الإنجازي فيها غير ظاهر، وتوصّل بذلك إلى أنّ العبارات الإنجازية تنقسم إلى عبارات إنجازية صريحة (explicit performatives)، وعبارات إنجازية مضمرة (implicit performatives)، بحيث تكون الأولى "متضمنة لفعل إنجازي مثل "أعدك"، أما الثانية فلا تتحدد إلاّ عن طريق السياق الذي استعملت فيه" (مرسي، 2018، ص: 179)، ومثال ذلك، العبارة من قبيل "رياح قويّة آتية" ليست خبرية رغم ظاهرها الوصفي، وإنّما هي إنجازية لأنّها تحمل فعلا إنجازيا مضمرا يتمثل في "أحذرك من

قدوم رياح قويّة". ويمكننا أن نقترح تلخيص فكرة "أوستن" -Austin- في أنواع العبارات في الشكل الآتي:



- شكل بياني 1: أنواع العبارات عند "أوستن" -Austin--

حُص "أوستن" -Austin-، بعد عزله للفعل الإنجازي، إلى إعادة النظر في أفعال الكلام من خلال الإجابة على السؤال التالي: "كيف ننجز فعلا حين ننطق قولاً؟" (نحلة، 2002، ص45)، ففعل الكلام يتكوّن، أساساً، من ثلاثة أفعال، فعل قولي وفعل إنجازي وفعل تأثيري (نحلة، 2002، ص45):

- الفعل القولي (Locutionary Act)، وهو يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه. أي الفعل المنجز جراء التلفظ ببعض الكلمات.
- الفعل الإنجازي (Illocutionary Act)، وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي.

- الفعل التأثري (Perlocutionary Act)، ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع، كالأقناع والعدول والخوف وغير ذلك، وغالبا ما يكون الفعل الإنجازي والتأثري متفقان.

كرّس "أوستن" -Austin- جهوده على الفعل الإنجازي أكثر من الفعل القولي والفعل التأثري، باعتباره أساس النظرية، لأننا حين ننطق بعبارة ما، هذا لا يعني أننا أنجزنا فعلا، ولا تكتسب العبارة صفة "الإنجازية" إلا حين يرتبط الفعل فيها "بقصد المتكلم ورغبته في إحداث تأثير وتغيير في الواقع الخارجي" (مرسي، 2018، ص 180). وهذا يعني أننا حين نتكلم، نتوجه بالخطاب لسامع معين، بحيث تكون العبارات صحيحة نحويا ودلاليا وصوتيا وتركيبيا، وتدخل في سياق تواصل محدد، كما لا بد أن تكون العبارة حاملة لقصد ما، وباتحاد هذه الشروط نحدث في السامع أثرا خاصا بحيث نقنعه أو نحذره... الخ، بأمر معين. ويمكن أن نسوق المثال التالي لتوضيح الفوارق الموجودة بين الأفعال الثلاثة: "لا تقد السيارة ليلا"، تتضمن هذه العبارة فعلا قوليا نستنبطه من مجموع الألفاظ المكوّنة للعبارة، يخضع لقواعد اللغة. أما فعل الإنجاز فيتمثل في المعنى المقصود، ويتمثل في "التحذير من القيادة ليلا"، ويتمثل الفعل التأثري في الأثر الذي يحدثه المتكلم في السامع فيدفعه للاستجابة.

انطلاقا مما تقدم اقترح "أوستن" -Austin- (1962، ص 150-153) نمذجة (tipología) للفعل الإنجازي مميّزا لخمس أصناف رئيسية تأخذ بعين الاعتبار القوة الإنجازية (fuerza ilocucionaria) للعبارات.

وتتمثل هذه الأصناف في مايلي:

- الأفعال الحُكمية (verbos judicativos)، وهي الأفعال التي تشتمل على إصدار

أحكام، وتكون من طرف جهة عليا، القاضي مثلا؛

- الأفعال التنفيذية (verbos ejercitativos)، وتتعلق باتخاذ القرارات وممارسة السلطة

مثل: إصدار أوامر كالطرد والتعيين والتوجيه؛

- الأفعال الوعدية (verbos compromisorios)، وتتمثل في تعهد المتكلم بفعل أمر

معين، مثل الوعود والالتزامات... الخ؛

- الأفعال السلوكية (verbos comportativos)، وتتعلق بتصرفات وسلوكيات معينة

مثل: الإعتذار والشكر والتعاطف والانتقاد... الخ؛

- الأفعال العرضية (verbos expositivos)، وتستعمل لتبيين الآراء وتوضيح وجهات

النظر في الحوارات مثل: الاعتراض والموافقة والاستشهاد والتشكيك... الخ.

تأسيسا على ما آل إليه "أوستن" -Austin- في عرضه لنظرية أفعال الكلام، نستنتج

أنّ النظرية الأوستينية مرّت بمرحلتين، تمثلت الأولى في رفض معيار الصدق والكذب

للحكم على العبارات والتمييز بين العبارات الخبرية (الوصفية) والعبارات الإنجازية، أما

الثانية فتؤكد أنّ كل قول، ما هو إلاّ إنجاز لفعل معين، حتى الإخبار (الوصف)

يتضمن فعلا إنجازيا مضمرا، وخلص إلى أنّ كل فعل إنجازي هو في الحقيقة مجموعة

أفعال، فعل قولي وفعل إنجازي وفعل تأثيري، وركّز أوستن اهتمامه على مقاصد

المتكلمين التي يتضمنها الفعل الإنجازي، بحيث أصبح فعل الإنجاز مقيداً بشروط معينة تحكم بدرجة توفيقه وإخفاقه، وبهذا يكون "فعل الإنجاز ناجحاً إذا استجاب المخاطب، واقتنع بمقاصد المتكلم، كما قد يكون فاشلاً حين يعجز المتكلم عن التأثير في المخاطب، ولا يقدر على دفعه نحو التصرف والفعل" (ختام، 2016، ص 91).

إنّ ما قدّمه "أوستن" - Austin - لم يكن كافياً "لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية" (نحلة، 2002، ص 47)، لكن تحديده للمفاهيم الرئيسية لمقاربة أفعال الكلام، فتح المجال أمام الباحثين لإعادة مراجعتها وإرساء قواعدها المحكمة. ويعتبر "سيرل" - Searle - أول من أعاد النظر في هذه المقاربة ووضع أسسها المنهجية كونه كان تلميذاً لأوستن، فعمل بدوره على شرحها أكثر بتقديمه شروط إنجاز كل فعل، إلى جانب بيانه شروط تحوّل فعل من حال إلى حال أخرى، وآليات ذلك، وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود" (مانجونو في ختام، 2009، ص 98).

انطلق "سيرل" - Searle - من فرضية أنّ اللّغة ليست وسيلة للتواصل فقط وإنّما هي وسيلة لصنع أحداث العالم، وبناءً على هذا ركّز على فعل الإنجاز وعلى القوّة الإنجازية التي تتمثل في المقاصد، على اعتبار أن الفعل الإنجازي هو " الوحدة الصغرى للاتصال اللّغوي، وأنّ للقوّة الإنجازية¹² دليل يسمى دليل القوّة الإنجازية يبيّن

12- انبثق عن نظرية الأفعال الكلامية سواء عند أوستن أو سيرل مفهوم القوّة الإنجازية والتي سبق وأن أشرنا إلى أن معناها يتمثل في مقاصد المتكلم، إلّا أن الاختلاف بين سيرل وأوستن في تحديد القوّة الإنجازية يكمن في أنّ سيرل جعلها ضمن تفسير المستمع للمنطوق، أما أوستن فربطها بتحقيق مقصد المتكلم تحقيقاً ناجحاً" (العبد في

لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة، كما أن الفعل الكلامي مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي ولا يقتصر على مراد المتكلم" (نحلة، 2002، ص47).

وفي إطار تحليله للقوة الإنجازية التي يتضمنها الفعل الإنجازي، ميّز "سيرل" - Searle - بين المحتوى القضوي (contentidoproposicional)¹³ وبين القوة الإنجازية (fuerza ilocutiva)، فالعبارات تتضمن محتوى قضوي وقوة إنجازية، إذ عندما يقول الشخص "أعدك أن أجتهد أكثر" فالمحتوى القضوي يتمثل في " أن أجتهد أكثر" أما القوة الإنجازية فتتمثل في الفعل "أعدك". ونتج عن هذا التمييز مراجعة تقسيم أفعال الكلام الثلاثة لأوستن وإعادة صياغتها، بالإضافة إلى تحديد شروط المحتوى القضوي، بحيث تأتي الصياغة الجديدة لأفعال الكلام عند سيرل على النحو الآتي (Searle، 1994، ص ص33-34).

- الفعل القولِي، ويقصد به التلفظ بالعبارات

- الفعل القضوي، وينقسم إلى فعل إحالي وفعل إسنادي

- الفعل الإحالي، وتكون فيه الإحالة إلى أشخاص وأماكن وأشياء ويربط بين المخاطب والمخاطب.

يجي، 2017، ص136)، وبهذا فإننا ننظر إلى المقاصد من وجهة نظر السامع لأنه يمكن ملاحظتها من خلال السياق الذي وقعت فيه وقعت فيه الكلمات التي تلقاها المخاطب.

13-المحتوى القضوي نسبة إلى القضية التي تقوم على متحدث عنه أو مرجع أو متحدث به أو خبر، والمحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية. (جلولي، 2011، ص58)

- الفعل الإسنادي، يتمثل في "نسبة الإسناد للموضوع المسند إليه" (يحي، 2017، ص135)

- الفعل الإنجازي، مثل ما جاء به "أوستن" -Austin-.

-الفعل التأثيري، مثل ما جاء به "أوستن" -Austin-.

بعد أن أضاف "سيرل" - Searle - الفعل القضوي، وضع شروطاً جديدة للفعل الإنجازي وتتمثل في (نحلة، 2002، ص49):

1. شروط المحتوى القضوي، وتتحقق بأن يكون للكلام معنىً قضوياً، ويتحقق شرط المحتوى القضوي في فعل الوعد مثلاً إن كان دالاً على حدث في المستقبل يلزم به المتكلم نفسه
2. الشرط التمهيدي، ويتحقق إذا كان المتكلم قادراً على إنجاز الفعل، لكن لا يكون من الواضح عند كل من المتكلم والمخاطب أن الفعل المطلوب سينجز في المجرى المعتاد للأحداث أو لا ينجز
3. شروط الإخلاص، ويتحقق حين يكون المتكلم مخلصاً في أداء الفعل فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع.
4. الشرط الأساسي، ويتحقق حين يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل.

لم يكتف "سيرل" - Searle - بالتقسيم الثلاثي للفعل الإنجازي بل قدّم تصنيفاً جديداً وجعله في خمسة أصناف، ويرى خلافاً لـ "فتجنشتين" - Wittgenstein -¹⁴ أن هذا

14- يرى "فتجنشتين" - Wittgenstein - في ألعاب اللغة أنّ هناك عدد لا متناه من الأفعال الكلامية، أو بعبارة أخرى عدداً لا متناهياً من الاستعمالات اللغوية (usos lingüísticos) (Vicente Vide، 1999، ص119).

التصنيف الخماسي لأفعال الكلام يكفي لنمذجة (tipificar) مختلف الأفعال

الإنجازية¹⁵، وتتمثل هذه الأفعال حسبه (سيرل، 1999، ص ص 148-150) في:

- الإخباريات (التقريريات) (asertivos)، وتتمثل الغاية منها في وعد السامع بصدق

القضية، وهي أفعال وصفية تخضع لمعيار الصدق والكذب، ويكون اتجاه المطابقة

(dirección de ajuste) فيها من الكلمة إلى العالم، (Palabra-Mundo) ويكون شرط

الإخلاص فيها التصديق، لأن كل فعل إنجازي إخباري هو تعبير صادق عما يحدث.

- التوجيهات (directivos)، وتهدف إلى جعل المستمع يتصرف وفقا للمحتوى القضوي

للفعل التوجيهي، ومن أمثلتها: الأوامر، الطلبات، الالتماسات، ويكون اتجاه المطابقة

(dirección de ajuste) فيها، دائما، من العالم إلى الكلمات (Mundo-Palabra)،

وشرط الإخلاص فيها هو الرغبة.

- الالتزامات (compromisorios)، وغايتها إلزام المتكلم بالإجراء المتمثل في المحتوى

القضوي، ويكون اتجاه المطابقة (dirección de ajuste) فيها من العالم إلى الكلمة

(Mundo-Palabra)، وشرط الإخلاص فيها هو القصد، ومن أمثلتها: الوعود والنذور

والعقود والضمانات.

15- بحيث يقول سيرل (سيرل في Villanueva، 2005، ص 476):

Si adoptamos el objeto ilocucionano como noción básica sobre la cual clasificar los usos del lenguaje, entonces existe un número muy limitado de cosas básicas que nacemos con el lenguaje: decimos a la gente cómo son las cosas, intentamos conseguir que hagan cosas, nos comprometemos a hacer cosas, expresamos nuestras creencias o actitudes y damos lugar a cambios mediante nuestras emisiones y, a menudo, hacemos más de una de estas cosas a la vez en la misma emisión.

- التعبيرات (expresivos)، والهدف منها التعبير عن شرط الإخلاص في فعل الكلام، وأمثلتها: الاعتذار والشكر والتهنئة والترحيب والتعزية، كما يخلو المحتوى القضوي في الأفعال الإنجازية التعبيرية من اتجاه المطابق (dirección de ajuste)، لأن حقيقة المحتوى القضوي أمر مسلم به، لكن يتغير شرط الإخلاص في هذا النوع من الأفعال حسب تغير الفعل.

- التصريحيات (declarativos)، والهدف منها إحداث تغيير في العالم من خلال تمثيله، على قدر تغيره، إنّ الأفعال الإنجازية التصريحية هي الوحيدة التي تحدث تغييرا في العالم، ويكون هذا بمقتضى الأداء الناجح لفعل الكلام فحسب، ويكون اتجاه المطابقة (dirección de ajuste) في هذا النوع من الأفعال مزدوج، من العالم إلى الكلمة Mundo-Palabra ومن الكلمة إلى العالم (Palabra-Mundo). وأحسن مثال على هذا النوع هو "أعلنت الحرب" أو "أعلنكما زوجا وزوجة" فإذا نجحت في إعلان الحرب وإعلان شخصين زوج وزجة، فإن حالة فعلية لم تكن موجودة من قبل في العالم، تصبح موجودة.

مفاد تقسيم "سيرل" - Searle- للأفعال الإنجازية على هذا النحو هو إظهار الاختلاف في خصائص كل فعل، وهذه الخصائص تتمثل في الغاية وشروط الإخلاص واتجاه المطابقة، بحيث أنّه من المهم فهم الاختلاف في العلاقة بين الكلمات والعالم، لذا يسمح اتجاه المطابقة بالتمييز بين الأفعال الكلامية الإنجازية المتشابهة.

ويقترح "سيرل" -Searle- مثالا لتوضيح مفهوم اتجاه المطابقة يتمثل في:

Supón que un hombre va a un supermercado con una lista de compras que le ha dado su mujer en la que están escritas las palabras "habas", "mantequilla", "bacón" y "pan": Supón que, mientras él anda por allí con su carrito seleccionando esos elementos en seguida por un detective que escribe todo lo que él coge. Cuando salen de la tienda, comprador y detective tendrán listas idénticas. Pero la función de ambas listas será completamente diferente. En el caso de la lista del comprador el propósito de la lista es, por así decir, llevar al mundo a encajar con la palabra[...]. En el caso del detective el propósito de la lista hacer que las palabras encajen con el mundo. (Searle como se cita en Guadaño, 1999, p. 574)

لنفترض أن رجلاً ذهب إلى السوق مع قائمة المشتريات التي قدمتها له زوجته، بحيث تكون الكلمات الأتية "الفاصولياء" و "الزبدة" و "لحم الخنزير المقدد" و "الخبز" مذكورة في القائمة. لنفترض أنه، أثناء تجوله مع عربة التسوق الخاصة به قام باختيار تلك العناصر متبوعاً بمحقق يدون كل ما يأخذه. وعندما يغادر كل منهما المتجر، سيكون لدى المشتري والمحقق قوائم متطابقة. لكن وظيفة كلتا القائمتين ستكون مختلفة تماماً. فبالنسبة لقائمة المشتري، سيكون الغرض منها، إذا جاز التعبير، جعل العالم يطابق الكلمة [...]. أما في حالة، يكون الغرض من القائمة هو جعل الكلمات تطابق العالم.

[ترجمتنا]

كثيراً من الأحيان يستعمل الأشخاص عبارات تحمل معاني غير مباشرة، الأمر الذي جعل سيرل يتوجه إلى وضع نموذج آخر لأنواع الكلام، حيث ميّز فيه بين الأفعال الكلامية المباشرة، التي يتطابق فيها ما يقصده المتكلم مع معناها، وبين الأفعال الكلامية غير المباشرة التي لا يتطابق معناها مع مقصود المتكلم، وتكون الجملة في الفعل الكلامي غير المباشر تحتوي على بنيتين، تتمثل الأولى في البنية السطحية في الجملة المفوطة، أما البنية الثانية وهي البنية العميقة فيكون المعنى المقصود فيها

متضمنًا. وقد ركّز "سيرل" - Searle - في دراسته لأفعال الكلام غير المباشرة على الخطاب التخيلي عامة والاستعارة على وجه الخصوص.

3.4.1. متضمنات القول (implícitos):

تعتبر متضمنات القول أحد المفاهيم الرئيسية التي تقوم عليها النظرية التداولية. ويجد المتتبع للدرس التداولي أنها تدخل في جميع المباحث التداولية، حيث تطرّق إليها كلّ من "أوستين" - Austin - و"سيرل" - Searle - من خلال الفعل الإنجازي وتناولها "غرايس" - Grice - من خلال الاستلزام الحواري، ويعرف صحراوي (2005، ص 30) الفعل المتضمّن في القول بأنّه "مفهوم إجرائي يتعلّق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وحقّية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامّة كسياق الحال وغيره"، حيث يلجأ المتكلّمون، في كثير من الأحيان، إلى تضمين المعاني من خلال التلفظ بعبارات غير مباشرة، وعلى المتلقي التعرّف على هذه المعاني من خلال معرفة مسبقة بالسياق ومن خلال الاستدلال. وتتفرع متضمنات القول إلى نوعين:

1.4.3.1. الافتراض المسبق Presuposición:

وهو عبارة عن معلومات ذهنية غير مثبتة يفترضها المخاطب قبل النطق بالكلام، ويعرّفه "يول" - Yule - (2010، ص 51) بأنّه "شيء يفترضه المتكلّم يسبق النقوّه بالكلام، أي أنّ الافتراض المسبق موجود عند المتكلّمين، وليس في الجمل" حيث يعتمد نجاح الخطاب في تأدية وظيفة التواصل على ما سيتمّ التوصل إليه من نتائج لما

افتراضناه، وتسمح الافتراضات المسبقة "بالقول دون القول بمعنى تمرير أشياء دون تحمّل مسؤولية ذلك بشكل صريح. ومن هذا المنظور لا تمثّل الافتراضات المسبقة إلاّ طريقة ضمن أخرى لتضمين المعنى" (حمو الحاج، 2013، ص172).

وأشار "سرفاتي وبافو" - Sarfati&Paveau - (2012، ص380) في إطار دراستهما للتداولية المدمجة لديكرو Ducro¹⁶ بأنّ هذا الأخير يرى أنّ "الافتراض المسبق جزء لا يتجزأ من معنى الجملة إذ لا أحد يمكن أن يتكلّم دون أن يكون لكلامه افتراضاً، إلى درجة أنّ فعل الافتراض يشكّل الفعل الأساسي للكلام [...] والاعتراض عليه يكون مثيراً للجدل لأنّه يحطّم الإطار المسبق للتواصل". وتبيّن "أوريكيوني" -Orecchioni- (2008، ص49) ماهية الافتراض المسبق قائلة: "نصنّف في خانة الافتراضات كل المعلومات التي، وإن لم تكن مقررة جهراً (أي تلك التي لا تشكّل مبدئياً موضوع الخطاب الكلامي الحقيقي الواجب نقله)، إلاّ أنّها تنتج تلقائياً من صياغة القول التي تكون مدوّنة فيه بشكل جوهريّ، بغض النظر عن خصوصية النطاق التعبيري الأدائي".

¹⁶ - يعد ديكرو Ducro (1970) كم مؤسسي التداولية اللسانية في فرنسا، وأسهم كثيرا في انتشار ما يدعى بالافتراض المسبق، وبالخصوص في كتابه directnepasdire الذي نشره سنة 1972. (حمو الحاج، 2013، ص172)

ويمكن أن نسوق المثال الآتي لتوضيح الافتراض المسبق: "أخيرا، اتخذت الجزائر التدابير اللازمة لمواجهة فيروس كورونا" وتتمثل الافتراضات المسبقة في هذا المثال فيما يلي:

- يوجد فيروس اسمه كورونا

- هذا الفيروس خطير

- هذا الفيروس يهدد حياة الأشخاص

- هناك تدابير لابد أخذها لمواجهة

- الجزائر لم تتخذ الإجراءات اللازمة لمواجهة الفيروس من قبل

ويتمثل الافتراض المسبق في أن الشخص حين تلفظه بعبارة "أخيرا اتخذت الجزائر التدابير اللازمة لمواجهة فيروس كورونا" يفترض مسبقا بأن المخاطب لديه معلومات حول فيروس يسمى كورونا وهو خطير.

كما لخصت "أوريكيوني" -Orecchioni- (2008، ص 57) فائدة الافتراض المسبق في ثلاث نقاط تتمثل في مايلي:

أولا، إنها تشكل بالنسبة إلى الخطاب نوعا من أنواع قواعد البناء التي تبنى عليها المحتويات المقررة.

ثانيا، إنها تؤمن، بفضل "الغطاء الافتراضي"، تماسك الخطاب وإطنابه الداخليين، في حين تتكفل المحتويات المقررة "بتدرجه".

ثالثا، إنها تُكوّن، على مستوى تفاعلي أوسع، نوعا من "اللحمة الاجتماعية"، أي منطقة من "التوافق" بين المتكلمين المتفاعلين.

وتكمن أهمية الافتراض المسبق في أنه وسيلة فعّالة لدراسة تفسير الظاهرة اللغوية في التواصل، ويرى "مانجونو" -Maingueneau- (2005، ص 81 [ترجمتا]) أنّ الافتراض المسبق "متعلق، وبوضوح، بمبادئ الاقتصاد في الكلام، فإن لم نفترض مسبقاً، امتلاك قدر معيّن من المعلومات، يمكن من خلالها تشكيل معلومات أخرى، فقد يستحيل التواصل".

2.4.3.1. الأقوال المضمرة (Subyacentes):

هي كتلة من المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث" (أوريكيوني في صحراوي، 2005، ص 32). تكون الأقوال المضمرة في الملفوظات لكن لا يصرح بها المخاطب، وإنّما يلمح لها عن طريق العبارة المُصرّح بها، ويعتمد تأويل المضمرة على الكفاءة اللسانية والخارج لسانية والتداولية للمخاطب. ويكمن الفرق بين الأقوال المضمرة والافتراضات المُسبقة في أن الأولى، تتعلّق بالمخاطب أمّا الثانية فهي تتعلّق بالمتكلم، وقد أشار "بافو وسرفاتي" -Paveau & Sarfati- (2012، ص ص 380-381)، إلى هذا الأمر عند تدقيقهما في الفرق بين الافتراض المسبق والأقوال المضمرة مصرّحين بأنّ:

المستفاد¹⁷، أولاً، وخلافاً للمتضمن، يُستخلص من معنى الملفوظ، فهو لا يستنتج من دون سياق. ثانياً، إن إنتاج المستفادات sous-entendus غير محدودة قبلياً، بينما

¹⁷ - تجدر الإشارة إلى أن مترجم كتاب Paveau & Sarfati قد اختار لفظ المتضمن مقابل لفظ *présupposé* والذي يعني الافتراض المسبق، واختار لفظ "المستفاد" كمقابل لـ *Sous-entendus*، والذي نرّمز إليه في بحثنا بعبارة الأقوال المضمرة.

المتضمنات محدودة العدد. ثم أخيراً، وخلافاً للاقتصاد التضمني الذي يعتمد كلياً على المتكلم، فإن تمييز المستفادات يُترك كلياً لتقدير المتلقي. في الواقع يمكن للمتكلم، أمام تأويل معين لمفوضه، إما أن يتفق مع المتلقي [...]. أو أن يختلف معه [...]. وباختصار من وجهة نظر تلفظية، فالمتضمن ضمني مرتبط بالانتاج، بينما المستفاد ضمني مرتبط بالتلقي.

ولتوضيح الأقوال المضمرة يمكن أن نُورد المثال التالي: "أن يقول المتكلم الجالس في غرفة ما، "الطقس حار، اليوم"، وبهذا فقد يعتقد المتلقي أن المتكلم يريد "أن يشعل المكيف" أو "الذهاب لشاطئ البحر"، أو "أن الطقس حار على غير العادة من هذه الأيام" وغيرها من الأقوال المضمرة.

أشارت "أوريكيوني" - Orecchioni - (2008، ص ص 37-38) إلى أن الفضل في تصنيف مختلف المحتويات المضمرة التي نرصدها في الأقوال، يرجع مبدئياً إلى "غرايس" - Grice¹⁸ الذي فرّق بين المحتويات الظاهرة (البيّنة) والمضمرة، بحيث تكون المحتويات الظاهرة معلنة، أما المحتويات المضمرة فهي متضمنة وتتمثل في الاستلزمات الحوارية.

4.4.2. الاستلزام الحوارية (Implicatura conversacional) عند غرايس - Grice :-

وهو من أهم مباحث الدرس التداولي "لأنه يشكّل عنصراً في معنى الكلام، بحيث يؤسس جانباً في قصد المتكلم دون أن يكون طرفاً فيما يقال" (كروم، 2013،

¹⁸ - ذهبت "أوريكيوني" - Orecchioni - بعد نقدها لتقسيم غرايس Grice إلى إعادة صياغة المحتويات في نوعين: محتويات بيّنة ومحتويات مضمرة بحيث تُساوي المضمرة الاستدلالات وتنقسم إلى افتراضات ومتضمنات. (أوريكيوني، 2008، ص 39)

ص 639)، ويعرّفه "يول" - Yule - (2010، ص 51) بأنه "شيء ينبع منطقياً مما

قيل في الكلام. أي أنّ الجمل هي التي تحوي الاستلزام، وليس المتكلمون".

تعود نشأة الاستلزام الحوارية إلى الفيلسوف البريطاني "غرايس" - Grice -، وهو من

"فلاسفة أكسفورد المتخصصين في دراسة اللّغة الطبيعية" (نحلة، 2002، ص 32).

اتضح معالم هذه النظرية في المحاضرات التي ألقاها "غرايس" - Grice - في

جامعة هارفرد سنة 1967، بعنوان "Logic and conversation"، حيث "قدّم فيها

بإيجاز تصوّره لهذا الجانب من الدّرس والأسس المنهجية التي يقوم عليها" (يول في

نحلة، 2002، ص 32).

إنّ منطق "غرايس" - Grice - في بلورة أفكار هذه النظرية يكمن في أنّ الجمل لا

تدلّ على معاني صريحة فقط، وإنّما تدلّ على معاني ضمنية أخرى يحدّد السياق

دلالاتها، حيث أنّ النّاس "أثناء حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر ممّا

يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون" (نحلة، 2002، ص 33)، الأمر الذي جعله

يميّز بين "ثنائيتين" "الما قيل" (lo dicho) وما هو "مستلزم" (lo implicado) "مرسي،

2018، ص 40). فما يقال هو "ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللّفظية، وما يستلزم

هو ما يريد المخاطب أن يُبلّغه للمخاطب على نحو غير مباشر، اعتماداً على أنّ

المخاطب قادر على أن يصل مراد المخاطب بما يتاح له من أعراف الاستعمال

ووسائل الاستدلال" (نحلة، 2002، ص 33).

بناء على ما سبق ذهب "غرايس" -Grice- (غرايس في نحلة، 2002، ص33) إلى التمييز بين نوعين من الاستلزام، الأول عرفي (convencional)، وهو قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللّغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب. أما الثاني فهو حوارِي (conversacional)، وهو متغير دائما بتغير السياقات التي يرد فيها. ويقوم الاستلزام الحوارِي على مبدأ التعاون (principio de cooperación) الذي يبيّن نيّة وقصد المتكلم، بحيث لا يعتمد تأويل الكلام على معاني العبارات فحسب بل يركز أيضا على تعاون طرفي الخطاب لإنجاح عملية التواصل بطريقة منسجمة. ويعرّفه "غرايس" -Grice- بأنّه:

Nuestras conversaciones no son habitualmente sucesiones de observaciones inconexas, y no sería racional que así fuese. Hasta cierto punto, son esfuerzos cooperativos de forma característica. Cada partícipe de que hay en ellas, en alguna medida, un propósito común o un conjunto de propósitos comunes, o al menos una dirección se apercibe mutuamente aceptada. [...] Cabría formular entonces un principio general aproximado que, puede esperarse, las partes implicadas observarán: a saber, haga usted su contribución a la conversación tal y como lo exige, en el estadio en que tenga lugar, el propósito o la dirección del intercambio que usted sostenga (Grice como se cita en Valdés-Villanueva, 2005, p.524).

عادة لا تكون محادثاتنا سلسلة من الملاحظات غير المرتبطة، ولن تكون منطقية إذا كانت كذلك.

إلى حد ما ، فهي جهود تعاونية مميزة. فكل طرف مشارك في هذه الجهود يكون هو نفسه بشكل أو بآخر، هدفا مشتركا أو مجموعة من الأهداف المشتركة. [...] وقد يقتضي الأمر صياغة مبدأ عام تقريبي تتم ملاحظته من قبل الأطراف المشاركة في الحوار، ويمكن أن يكون متوقعا: أي أن تُقدّم مساهمتك على النحو الذي يتطلبه الهدف من الحوار وذلك أثناء القيام به [ترجمتنا]

ويحتوي هذا المبدأ على أربعة مُسلّمات نذكرها كالاتي (Reyes، 2007، ص40
[ترجمتنا بتصرف]:

- مسلّمة الكميّة (Máxima de cantidad)، وتتعلق بكمية المعلومات التي لابد أن
تتوفر في الكلام:

▪ أن تكون مساهمتك تتضمن معلومات حسب غرض المحادثة

▪ ألا تكون مساهمتك تتضمن معلومات أكثر من المطلوب

- مسلّمة الكيفية (Máxima de cualidad)¹⁹، ومبدأها الأساسي:

- أن تكون مساهمتك صادقة: وتنطوي هذه المسلّمة بدورها على قاعدتين:

▪ لا نقل شيئاً نعتقد أنّه خاطئ

▪ لا نقل سوى ما نستطيع إثباته

- مسلّمة الملاءمة (العلاقة) (Máxima de pertinencia o de relación)²⁰،

▪ أن تكون مساهمتك ملائمة pertinente

¹⁹- يوضح "غرايس" - Grice - أنّ هذه القاعدة الأخيرة يمكن تنفيذها لأنّ توافر كم كبير من الألفاظ لا يخرق مبدأ التعاون، وإنّما هو مضيعة للوقت فقط. فإذا تضمّن نصّ ما تفاصيل كثيرة، فإنّ ذلك يهدد التواصل بالانسياق خلف بعض الجزئيات غير الضرورية. (غرايس في ختام، 2016، ص101)

²⁰- يؤكّد "غرايس" - Grice - أنّ هذه المسلّمة تخفي جملة من الإشكالات من قبيل: ما هي مختلف أصناف الملاءمة الممكنة؟ كيف تتعدل خلال عملية التبادل الكلامي؟ وما هي الإجراءات الطبيعية التي تساعد على تغيير موضوع المحادثة بطريقة مقبولة؟ (غرايس في ختام، 2016، ص102)

- مسلّمة الطريقة (الجهة) (Máxima de manera)، كن واضحا، وتتنص هذه المسلّمة على القواعد الآتية:

▪ اجتنب اللبس في العبارة

▪ اجتنب الغموض

▪ كن موجزا وتجنب الإطناب غير المجدي

▪ اجعل كلامك مرتبًا

إن الهدف وراء وضع هذه المُسلّمات يكمن في ضبط العملية التواصلية، حيث أشار كل من أدواري (2011، ص ص 100-101) وختام (2016، ص ص 102-103) أنّ هذه المُسلّمات تستهدف من وجهة نظر "غرايس" - Grice - مبتغى واحدًا يتمثل في ضبط مسار الحوار، وأنها تضمن فعالية عالية للتبادل الكلامي، وأنّ احترام هذه المُسلّمات هو السبيل الوحيد الذي يجعلنا نبلغ مقاصدنا، حيث يفضي كلّ خروج عنها، أو عن إحداها، إلى اختلال العملية الحوارية. كما أنّ ظاهرة الاستلزام "تتولّد من خلال خرق إحدى هذه المُسلّمات وعدم احترام مبدأ التعاون" (نحلة، 2002، ص 35)، فإذا تمّ الخرق تصبح المعاني التي ينقلها المتكلم ضمنية كأن تقول "الجو بارد جدًا هنا" وأنت تريد أن يقوم المخاطب بإشعال المدفئة. كما لم يتوقف "غرايس" - Grice - عند تحليل الخطابات اليومية وإنّما "وسّع دائرة اهتمامه لتشمل الخطابات الأدبية التخيلية، معتمدا على مسلّماته الأربعة، حيث أوضح أنّ المتكلم يخرق قاعدة الكيفية عندما يعمد إلى

السخرية (Ironía) أو الاستعارة أو المبالغة" (ختام، 2016، ص104)، فعندما تقول للبخيل "ما أجودك" أو للكسول "إنك مجتهد" فإنك بذلك تخرق مسلمة الكيفية التي تُص على أن يكون المتكلم صادقاً في كلامه.

يعود الفضل إلى "غرايس" - Grice - في إرساء مبدأ تقوم عليه العملية التواصلية وفق قواعد معيّنة، إلا أن طه عبد الرحمان (1998، ص233) يعترض على أمر واحد وهو أن:

مبدأ التعاون والقواعد المتولدة منه لا تضبط إلا الجانب التبليغي من التخاطب، أما الجانب التهذيبي منه، فقد أُسقط اعتباره إسقاطاً، ولا يفيد كثيراً في دفع هذا الاعتراض أن يقال: إن غرايس قد أشار إلى هذا الجانب في عبارته التي جاء فيها: "هناك أنواع شتى لقواعد أخرى، جمالية واجتماعية وأخلاقية من قبيل "لتكن مؤدباً" التي يتبعها عادة المتخاطبون في أحاديثهم والتي قد تولد معاني غير متعارف عليها". فعلى الرغم من ذكر غرايس لجانب التهذيب من المخاطبة في هذه الإشارة، فإنه لم يُقم له كبير وزن، وذلك لأنه لم يفرد بالذكر [...] ولم يبيّن كيف يمكن أن نباشر وضع القواعد التهذيبيّة [...] ولم يتقطن إلى أن الجانب التهذيبي قد يكون هو الأصل في خروج العبارات عن إفادة المعاني الحقيقية أو المباشرة.

أهمل "غرايس" - Grice - الجانب التهذيبي رغم أهميته في التخاطب، لكن هذا الإهمال فتح الباب أمام الباحثين لإعطاء هذا الجانب حقه من البحث والدرس، وقد أشار ختام (2016، ص106) إلى أن "لاكوف" - Lakoff -، تمكّنت "من تسليط الضوء على مبدأ التأدب وانطلقت من حديث "غرايس" - Grice - المقتضب عن التهذيب المفترض إظهاره أثناء التفاعلات الكلامية، لتتوسع في دراسة هذه الظاهرة".

وضعت "لاكوف" - Lakoff²¹، قاعدتان هما: "كن واضحا وكن مؤدبا" وحددت مجموعة من القواعد التأديبية، سنحاول أن نُلخّصها، حسب ما جاء في كل من طه (1998، ص ص 240-241) وختام (2016، ص ص 107-108) عن "لاكوف" Lakoff مثل ما يلي:

- قاعدة التأدب²²، ومفادها "لا تفرض نفسك على المخاطب" (No impongas)، وهي تُوجب على المتكلم ألا يستعمل من العبارات إلا ما يمكنه من حفظ مسافة بينه وبين المخاطب، أي تجنّب كل ما يعطي الانطباع بأنه يُكرهه على ما لا يريد قوله أو فعله. كما لا يجب أن يستعمل المتكلم أفعالا تحمل دلالة وجدانية.

- قاعدة التشكك، ومقتضاها "لتجعل المخاطب يختار بنفسه" (Da opciones)، وهي تُلزم المتكلم تجنب أساليب التقرير ويأخذ بأساليب الاستفهام كما لو كان مشككا في مقاصده، ولا يحصر المخاطب في لائحة محدودة من الخيارات، بحيث يترك له مبادرة اتخاذ القرارات.

- قاعدة التودد، ومقتضاها "تتظهر الود للمخاطب" (Haz sentir bien elinterlocutor)، وهي توجب على المتكلم الأخذ بمبدأ المعاملة بالمثل في حوار مع

²¹- ليست "لاكوف" -Lakoff- وحدها من تطرقت لهذا المبدأ، حيث نجد كل من "براون وليفنسون" - Brown & Livenson (1987: 60-95) قد تطرّقا إليه من خلال محورين يتمثلان في الوجه والمعقولية (Face and rationality)، إضافة إلى "ليتش" - Leech (1983، ص 132) الذي تطرّق إليه من خلال ثنائية الجهد والفائدة (Cost-benefit).

²²-أشار طه (1998، ص 240) إلى أنه فضّل مصطلح التعفف بدل التأدب كترجمة للفظة الأجنبية (formality)، وإن كان المقابل الحرفي هو "التأدب بالأداب العامة"، وذلك لما في مصطلح "التعفف" من معنى عدم الإلحاح على الغير.

المخاطب، ولا تُقيد هذه المعاملة إلا إذا كان طرفا الخطاب متساويان في المرتبة أو إذا كان المتكلم أعلى مرتبة من المخاطب، كما تُوجب هذه القاعدة على المتكلم استعمال صيغ اللباقة في الحديث لتقوية علاقة الصداقة والتضامن لزيادة الثقة.

يرى طه (1998، ص ص 241-242) في نقده لمبدأ التأدب عند "لاكوف" - Lakoff- أن قواعد التأدب تدرج في القوة، فقاعدة التشكك أقوى من قاعدة التأدب وأن قاعدة التودد أقوى من قاعدة التشكك، وقد يسقط القيام ببعضها عمل البعض الآخر بسبب ذلك. كما يرى أن القواعد الأدبية هذه قد تتعارض مع قواعد مبدأ التعاون التي وضعها "غرايس" - Grice - .

إنّ نظرية "غرايس" - Grice- في الاستلزام الحواري قد ساهمت، رغم إغفالها لبعض شروط العملية التواصلية، بفعالية في إتاحة الفرصة للباحثين لتقديم نظرة جديدة في تفسير الظاهرة التواصلية مثل "ليتش" -Leech- و"بروان وليفنسون" -Brown&levinson- و"لاكوف" -Lakoff-، إضافة إلى "سبربير وولسون" -Sperber&Wilson- (2016) اللذين تطرّقا إلى نظرية المناسبة في التواصل والإدراك إنطلاقاً من تقديمهما لنظرية المعنى لـ"غرايس" - Grice -، حيث يصرّح الباحثان (2016، ص 52) بأنه يمكن أن نستعمل تحليل "غرايس" - Grice- كنقطة انطلاق نحو نموذج استدلالى للتواصل". ونجد كذلك "هورن" -Horn- قد قدّم "مبدأ الكم" الذي اشتهر بـ Q-Principle (هورن في مرسي، 2018، ص 41).

5.1. نظرية الحجاج:

ينتمي الحجاج إلى التداولية المدمجة، ووضِع أسسه النظرية والمنهجية، اللغوي الفرنسي "ديكرو" -Ducro- (1973) الذي قام "بتطوير أفكار أوستن، واقترح إضافة فعلين لغويين هما فعل الإقتضاء وفعل الحجاج" (العزاوي، 2006، ص15).

ويعتبر الحجاج آلية تقوم على الأدلة والبراهين تعتمد عليها التداولية في دراسة اللغة في الاستعمال من حيث القصد ودرجة التأثير، فنحن حين نتكلم عامة نقصد التأثير في المتلقين، حيث أن اللغة "تحمل بصفة ذاتية وجوهرية، وظيفة حجاجية، أي أن هذه الوظيفة مؤشّر لها في بنية الأقوال نفسها، وفي المعنى وكلّ الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية" (العزاوي، 2006، ص08). وبهذا يتعلّق الحجاج بالمتكلم الذي لا بد له أن يتزوّد به حتّى يثبت أفكاره ويقنع المتلقين بها. والقصد من الحجاج جذب المتلقين، حيث يذهب "بريلمان وتيتيكا"- Perelman&Tyteca- إلى أنّ الحجاج "هو طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تُعرض عليهم أو زيادة درجة تلك الاستمالة" (بريلمان وتيتيكا في العبد، 2014، ص146)، أي ترتبط درجة استمالة المتلقين بقوة البراهين التي تركز عليها، وعليه تكمن مميّزات الخطاب الحجاجي في "التأثير والاقناع"، وهو ركيزة النصوص الموجهة المتضمنة للقصدية والنقاش والجدل" (بخولة، 2013، ص168).

يرتبط الحجاج بالعملية التواصلية، ولقد وضع طه (1998، ص ص 265، 254)،

اعتماداً على ما تقدّم به "أوستن" - Austin - و"سيرل" - Searle - و"غرايس" -

Grice-، على النظرية الإعلامية، ثلاثة نماذج تواصلية للحجّة نلخصها فيما يلي:

- النموذج الوصلي للحجّة ويقوم على:

-حو الوظائف الخطابية، أي أنّ الأدوار الخطابية للمتكلّم والمستمع تدلّ عليها في

الحجة أدوات لغوية مثل أسماء الإشارة وأسماء الضمائر، فيلجأ النموذج الوصلي إلى

أن يستبدل بهذه الأسماء السياقية والمقامية أسماءً وأوصافاً للمتكلّم والمستمع تغني عن

الحاجة إلى الرجوع إلى أي سياق أو مقام.

-إظهار المعاني المضمرة، إن الحجّة الطبيعية تلجأ إلى الإضمار لوجود معارف

مشتركة بين المستدلين بها، فيعمد النموذج الوصلي إلى التصريح بجميع ما تتبني عليه

الحجّة من هذه المعاني المطوية، عامة كانت أم خاصّة.

- النموذج الإيصالي للحجّة، والذي تكون فيه الحجّة فعلاً استدلالياً يتوجّه به المتكلّم

إلى المستمع ويقوم على:

- عدم انفكاك القصدية عن اللّغة، ويظهر ذلك في ارتباط الحجّة بالقصد كون فعل

"حجّ" يفيد لغة "القصد"، وبهذا فالقصدية هي التي تسند للقول قيمة الفعل.

- على تراتب القصدية، أي أنّ الحجّة الموجهة تنطوي على طبقات من القصد

(النّيّات) وطبقات من المقاصد بمعنى الأهداف. ويقوم النموذج الإيصالي على الاكتفاء

بقصدية المتكلم، أمّا المستمع فلا يشارك في تكوين قصدية المتكلم إلاّ إذا تحوّل إلى متكلم.

- النموذج الاتصالي للحجّة، ويُنظر إلى الحجّة فيه بوصفها فعلاً مشتركاً بين المتكلم والمستمع ويربط بين النموذجين السابقين، ويقوم على:

- ازدواج القصدية، والذي ينقسم بدوره إلى:

- تقاصد خارجي، ويقصد فيه المتكلم المستمع بكلامه، ويقصد المستمع باستماعه للمتكلم، ويتجلّى في حصول الوعي بالقصدين عند كليهما.

-التقاصد الداخلي، ويتجلّى في جانب المتكلم في كونه قد يقصد نفسه في قصده المستمع، كما أنّه قد يقصد المستمع في قصده لنفسه، ويتجلّى في جانب المستمع في كون المستمع قد يقصد نفسه في قصده للمتكلم، كما أنّه يقصد المتكلم في قصده لنفسه.

- ازدواج التكلم، إذا بلغ التقاصد غايته من نفس المتكلم، فإنّ المتكلم قد يتكلم كما لو كان المستمع يشاركه كلامه مشاركة، كما لو كان المستمع هو الذي يتكلم.

- ازدواج الاستماع، إذا بلغ التقاصد غايته من نفس المستمع، فإنّ المستمع قد يستمع كما لو كان المتكلم يشاركه استماعه مشاركة، بل كما لو كان المتكلم هو الذي يستمع.

- ازدواج السياق، إذا كان التكلم والاستماع لا ينفك أحدهما عن الآخر، وكان كلّ منهما يقاسم الآخر وظيفته التواصلية، فإنّ إنشاء مدلول القول في عمليّة التكلم، وتأويل

هذا المدلول في عملية الاستماع، يتطلبان معا التوسل بسياقات مزدوجة، فسياق "الإنشاء" يحتوي نصيبا من سياق "التأويل"، وسياق "التأويل" يحتوي نصيبا من سياق "الإنشاء".

إنّ هذه النماذج تؤكد بأن الحجاج آلية مهمة في فهم العملية التواصلية، لأنها تركّز على طرفي الحوار مجتمعين، وعلى السياق الذي ظهرت فيه الحجج والمقاصد الرامية إليها، وتظهر ما تضمنته العبارات الحجاجية من معاني خفية. وتتسم الحجج اللغوية بعدة سمات ذكرها العزاوي (2006، ص ص 19-20)، على سبيل المثال لا الحصر، ونلخصها في مايلي:

- إنّها سياقية، والسياق هو الذي يمنح العناصر الدلالية التي يقدمها المتكلم طبيعتها الحجاجية ويصيرها حجة أو نتيجة أو تكون غير ذلك حسب السياق.
- إنّها نسبية، هناك حجج قويّة وحجج ضعيفة وحجج أضعف، حيث يمكن للمتكلم تقديم حجة ما لصالح نتيجة معيّنة، ويقدم خصمه حجة مضادة أقوى بكثير منها.
- إنّها قابلة للإبطال، يمكن لحجة أن تبطل أخرى، ذلك كون الحجاج اللغوي نسبي ومرن وتدرجي وسياقي خلاف البرهان المنطقي المطلق والحتمي.

تكون الحجج في العبارات تارة ظاهرة وتارة ضمنية ويلمّح لها صاحب الحجة تلميحا خفيفا يمكن المستمع من الاستدلال عليها، وتكون هذه الحجج موضوعة في النص

أو الخطاب من خلال تقنيات مختلفة نلخصها في ما يلي حسب "بونوا" - Benoit -
(بونوا في دريدي، 2011، ص ص 26-27):

- القصديّة المعلنة، ويتمثّل في البحث عن إحداه أثر ما في المتلقّي وإقناعه بفكرة معيّنة.

- التناغم، النّص الحجاجي نصّ مستدلّ عليه، لذلك يقوم على منطق ما في كلّ مرحلة، ويوظّف على نحو دقيق التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلّق الأمر بالفتنة أو الانفعال أو إحداه مجرد تقدّم، وهو يّتمّ من هذا الوجه عن نكاه صاحبه ويشي بمعرفته الدقيقة بنفسية المتلقّي وقدراته وآفاق انتظاره، لذلك نراه يعلن أمرا ويذكر آخر يختزل فكرة ويسهب في تحليل أخرى يسأل ويجب بل قد يأتي بالفكرة الواحدة على أنحاء مختلفة فيتجلّى في نصّه سحر البيان وتتأكد فتنة البيان.

- الاستدلال، هو سياق الحجاج العقلي وتطوره المنطقي لأنّه قائم على البرهنة.
- البرهنة، إليها تُرد الأمثلة والحجج وكلّ تقنيات الاقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولا إلى أطف فكرة وأنفذاها.

إن نظرية الحجاج نظرية متشعبة مختلفة الأهداف، لا يسعنا في هذا البحث الإلمام بها كلّها، لكنّ ما لاحظناه أن جميع مباحثها تذهب في اتجاه واحد يتمثّل في أنّ أسلوب الحجاج ذي أهمية كبيرة في الحوار، ويعتمده المتحاورون لإثبات أفكارهم والتأثير في متلقّيهم سواء بإظهار القصد أو إخفاءه.

6.1. نظرية الصلة (المناسبة)²³ عند "سبيربر وولسون" - Sperber & Wilson :-

تنتمي نظرية الصلة (المناسبة) إلى التداولية المعرفية، وقد أرسى أسسها كلٌّ من "سبيربر وولسون" - Sperber & Wilson -، وتقوم هذه النظرية، في بناء قواعدها، على العلوم المعرفية والإدراكية والتي تتمثل في القالبية الذهنية لـ "فودور" - Fodor²⁴ وعلى النظرية التداولية اللسانية من خلال الاستدلال عند "غرايس" - Grice -.

اعتمد "سبيربر وولسون" - Sperber & Wilson - في نظريتهما على مقترح استدلال صاغه من نظرية "غرايس" - Grice - في الاستلزام الحواري، وذهب إلى أن المسلمّات الأربعة التي وضعها "غرايس" - Grice - ليست ضرورية لفهم العملية التواصلية، والمسلّمة الوحيدة التي يمكن أن تفسر الظاهرة التواصلية هي مسلّمة الملاءمة والتي استبدلها بمبدأ الصلة (المناسبة)، أي أنّ هذا الأخير هو الوحيد الذي يستدلّ به المتخاطبون على المقاصد والمعاني سواء كانت ظاهرة أو خفية.

ومن بين الانتقادات التي وجهها "سبيربر وولسون" - Sperber & Wilson - إلى "غرايس" - Grice -، وكانت فاعلة في بناء نظريتهما، توجّهه في التمييز بين الصريح

23- وتعرف بنظرية الملاءمة Relevancia

24- استوحى "جيري فودور" - JerryFodor - نظريته في القالبية الذهنية من "فرانز جوزيف غال" - FranzJosephGall -، والذي يعتبر أنّ كلّ طاقة من طاقات الذهن البشري هي بمثابة ملكة معزولة وإن قليلاً أو كثيراً على غيرها من الملكات. (روبول وموشلار، 2003، ص ص72-73). وتتأسس قالبية Fodor على نسقين متباينين هما أنساق الدخل (Inputssystems)، والأنساق المركزية (CentralSystems)، وتتشكل الأنساق الأولى من مجمل ما يقع عليه الإدراك البشري (أصوات، أشياء، حركات...). أمّا الأنساق المركزية فتضطلع بوظيفة معالجة ما تقدّمه لواقط أنساق الدخل (TransducersSystems)، اعتماداً على ما يتوافر للذهن من مخزون معرفي متنوّع لتحوّلها إلى إدراكات وأفكار مجردة ذات بعد إرادي وطبيعة تمثيلية. (فودور في ختام، 2016، ص ص120-121).

explícito، والضمني implícito، حيث يذهبان إلى أنّ "الجوانب الصريحة من المعنى تستحق اهتماماً أكبر ممّا كانا يظنّان، لأنّ ظاهرة مثل الاستلزام مثلاً تتطلب الاستدلال والاستعانة بالسياق (الخليفة في سبيربر وولسن، 2016، ص 06). وهذا الجانب الصريح يسمى عندهما بـ"التصريح" - explicature - (الخليفة في سبيربر وولسن، 2016، ص 07).

انطلق "سبيربر وولسن" - Sperber & Wilson (2016، ص 20-22) من دراسة التواصل عبر التعرّف على ما يتمّ توصيله، وكيف يتحقّق التواصل؟ ويذهبان إلى أنّ ما يتمّ توصيله واسع جدّاً، ويقع في معان وقضايا وأفكار وخواطر ومعتقدات وتوجّهات وانفعالات وغير ذلك. أمّا فيما يتعلّق بكيفية تحقيق التواصل، أشار "سبيربر وولسن" - Sperber & Wilson - إلى أنّ تحقيق التواصل كان يتمّ سابقاً عن طريق أنموذج الشفرة²⁵، من خلال تشفير الرسائل وفك شفرتها، ليصبح بعد ذلك قائماً على الأنموذج

25- الشفرة هي نظام يربط أو يزاوج بين الرسائل والإشارات بحيث يُمكن جهازي معلومات (كائنات حيّة) من التواصل فيما بينهما. الرسالة هي تمثيل داخلي خاص بالأجهزة المتواصلة. والإشارة هي تعديل في البيئة الخارجية. يُصدره أحد الجهازين ويتعرّف عليه الآخر. إنّ الشفرة بسيطة مثل شفرة (مورس Morse)، يمكن أن تتكوّن من قائمة لا لابس فيها من أزواج الرسائل والإشارات. أمّا الشفرة الأكثر تعقيداً، مثل اللّغة الإنجليزية، فيمكن أن تتكوّن من نظام من الرّموز والقواعد لتوليد مثل هذه الأزواج. (سبيربر وولسن، 2016، ص 23).

- يبيّن أنموذج الشفرة، المقتبس عن "شانين وويفر" - Shannon & Weaver (1949)، كيفية نقل رسالة موجودة في مصدر معلومات معيّن إلى جهة مقصودة نتيجة لعملية التواصل، ويتحقق من خلاله التواصل عن طريق تشفير رسالة غير قادرة على التنقّل بتحويلها إلى رسالة قادرة على التنقّل، ومن ثمّ فك شفرة تلك الرّسالة في الجهة المستلمة، وهذا الأنموذج طُبّق في السيميوطيقيا بحيث يكون وجود الشفرة الضمني هو التفسير الوحيد لكيفية حصول التواصل... وكلّما لوحظ وجود تواصل، يتمّ افتراض وجود نظام ضمني من المعلومات، فتعدو مهمّة السيميوطيقي هي إعادة تركيب ذلك النظام وهذا ما اعتمد عليه عالم النفس "فيغوتسكي" - Vygotski (1962) واللّغوي "دي سوسير" - De Saussure (1974).

الاستدلالي، الذي دعا إليه "غرايس" - Grice -، ويتمّ التواصل من خلال هذا الأنموذج على مبدأ توافر الدليل.

وبناء على ما ذكر، يؤكّد الباحثان على أنّ التواصل يمكن أن يحصل بطرائق مختلفة، بحيث يسهم كلّ من أنموذج التشفير والأنموذج الاستدلالي في دراسة التواصل اللّغوي باختلاف أنماطه، ويحدث ذلك عندما يعمل الأنموذجان معاً، لأنّ "اللّغة هي شفرة تزوج بين التمثيلات الصوتية والدلالية للجمل والأفكار التي توصلها القولات (enunciados)

وهذه الفجوة لا تُملأ بالمزيد من التشفير، بل بالاستدلال"²⁶ (سبيربر وولسن، 2016، ص31). ويعمل هذان الأنموذجان معاً كون "الأشخاص المؤهلين للتواصل فيما بينهم يشتركون بلغة (شفرات ثانوية متنوّعة)، ونتيجة لذلك يتسنى لهم أن يقدموا دلائل عن مقاصدهم أكثر دقّة ممّا لو لم يكن لديهم شفرة مشتركة، فلا يُحتمل أن يكلفوا أنفسهم عناء التواصل استدلالياً من دون اللّجوء إلى هذه الوسائل الفعّالة" (سبيربر وولسن، 2016، ص61). وتركّز هذه النظرية على القصدية في التواصل البشري، بحيث يكون التواصل قصدياً لسببين قويين هما:

السبب الأول هو الذي اقترحه غرايس، أي: إن الشخص بإصداره دليلاً مباشراً على قصده الإخباري، يستطيع أن يُوصل سلسلة من المعلومات أطول بكثير ممّا يُمكن توصيله بواسطة إصدار دليل مباشر على المعلومات الأساسية نفسها. والسبب الثاني

²⁶ - ينجز التواصل حسب الأنموذج الاستدلالي من خلال تزويد المتواصلة (المتكلم)، المستمع بدليل على مقاصده، واستدلال المستمع على مقاصد المتواصلة (المتكلم) من خلال ذلك الدليل (سبيربر وولسن، 2016، ص56).

الذي يدعو البشر إلى التواصل، هو لكي يُعدّلوا أو يُوسّعوا البيئة الإدراكية التي يشارك أحدهم الآخر فيها (سبيربر وولسن، 2016، ص121).

واعتمد "سبيربر وولسن" - Sperber&Wilson - في دراسة القصدية وتفسيرها على نموذج التواصل الإظهارى الاستدلالي، بحيث تصدر المتواصلة من خلاله " حافزا أو منبّها يجعل من الظاهر لكلّ من المتواصلة والمستمع أن المتواصلة تقصد - باستعمال ذلك المنبّه- أن تجعل مجموعة من الافتراضات (التي تقصد المتظاهرة أن تظهرها) ظاهرة أو أكثر ظهورا للمستمع" (سبيربر وولسن، 2016، ص120)، ويكون هذا المنبّه أو الحافز في شكل معلومات ذات صلة بالموضوع وتكون ضمن سياق يشترك فيه كلا المتخاطبين، وغالبا ما تكون غير مباشرة لذلك يترك المتكلم دليلاً يكون في شكل منبّه ليستدلّ المستمع على قصد المتكلم، وبهذا يكون إظهار هذا المنبّه الوسيلة المثلى للتعرف على قصد المتكلم. وغالبا ما يكون الإظهار مرتبطاً بسلوك المتخاطبين، ولتوضيح ذلك نفترض أنّ "أمينة" تريد أن تخبر "محمدًا" أنّها مريضة، لكنّها لا تريد أن تخبره بذلك مباشرة، لذلك تقوم "أمينة" بوضع يدها على بطنها وتتحني إلى الأمام بطريقة توحى بأنّها مريضة. ينظر "محمد" إلى "أمينة" ويفترض بأنّ بطن "أمينة" يؤلمها على أساس سلوك "أمينة" الإظهارى الذي تركت من خلاله دليلاً متمثلاً في وضع اليد على البطن والانحناء. وبهذا يكون الإظهار الاستدلالي هو الوسيلة التي جعلت "أمينة" توصل لـ "محمد" قصدها التواصلى وجعل "محمد" يستدلّ قصدها من خلال المعلومات ذات الصلة.

إنّ الهدف من العملية التواصلية هو تحقيق الصلة أو المناسبة بين ما يقصده المتكلم والجهود التي يبذلها المستمع، من خلال الافتراضات، من أجل اكتشاف قصد المتكلم. وعلى هذا النحو "تكون الصلة (المناسبة) فعلاً تواصلياً يكون فيه الافتراض مناسباً وذا صلة في سياق ما، فقط إذا كان له بعض التأثير السياقي في ذلك السياق" (سبيربر وولسن، 2016، ص217). وبهذا يكون مبدأ الصلة (المناسبة) مبنياً على القصد وعلى العلاقة بين الافتراضات والسياق.

ويرى "سبيربر وولسن" - Sperber&Wilson - (2016، ص220)، أنّ التأثيرات السياقية لافتراض ما، في سياق معيّن هي ليست العامل الوحيد الذي يُؤخذ في الحسبان عند تقييم درجة صلته. فالتأثيرات السياقية تُنجز بواسطة عمليات ذهنية، لذلك تتطلب جهداً معيّنًا. كما أنّ جهد معالجة المعلومات الذي يتطلبه تحقيق التأثيرات السياقية هو العامل الثاني الذي يجب أن يُؤخذ بعين الاعتبار عند تقييم درجات الصلة (المناسبة). ويكون جهد المعالجة سلبياً لأنّه كلّما زاد الجهد المبذول في معالجة المعلومات، انخفضت درجة الصلة أو المناسبة.

حاول "سبيربر وولسن" - Sperber&Wilson - (2016، ص222) تطوير مفهوم نظري للصلة لغرض استعماله في دراسة التواصل والإدراك للمساعدة في التنبؤ بحسب الناس، وتنبّياً على هذا الأساس، صيغة شروط القدر أو الدرجة لتوضيح ذلك.

وتتمثل هذه الشروط فيمايلي:

1. يكون الافتراض مناسباً وذا صلة في سياق ما بالقدر الذي تكون تأثيراته السياقية في ذلك السياق كبيرة.

2. يكون الافتراض مناسباً وذا صلة في سياق ما بالقدر الذي يكون الجهد الذي تتطلبه معالجته في ذلك السياق قليلاً.

وبهذا يكون تقييم الصلة قائماً بين التأثيرات السياقية وجهد معالجة المعلومات، بحيث يكون الافتراض ذو التأثيرات السياقية الأكثر، هو الافتراض الأكثر صلة، وفي حالات مماثلة يكون الافتراض الذي يتطلب قدراً أقل من جهد المعالجة، هو الأكثر صلة. وبمعنى آخر، يكون التواصل مناسباً إذا تمكّن المستمع من التعرف على قصد المتكلم من خلال تكوينه افتراضات معينة ذات تأثيرات سياقية كبيرة. بالإضافة إلى أن يكون الجهد الذي يبذله المستمع لإدراك قصد المتكلم قليلاً.

ويرى ختام (2016، ص124) أن هذا التلازم بين الجهود المبذولة والتأثيرات السياقية يثبت أنّ نظرية الصلة (المناسبة) تتأسس على قاعدة بسيطة محورها الإنتاجية أو المردودية، لأنّه من المتعدّر تصوّر نشاط تواصلية فعّال وملائم، إذا كان المستمع يجني من النتائج أقلّ ممّا يبذل من الجهود. ومعناه أنّ الجهود الكافية من المفترض أن تُفضي إلى نتائج كافية، والعكس بالعكس.

ويرى "روبول وموشلار" -Reboul & Moeschler- (2003، ص86) أن مبدأ الصلة (المناسبة) ليس مبدأ معيارياً يفرض على القائل أن يتلفظ بأقوال مناسبة فقط: إنه مبدأ تأويل يستعمله المخاطب بغير وعي إبان عملية التأويل". حيث يساعده على معالجة المعلومات المحيطة بالعملية التواصلية ليتوصل إلى المقاصد بأقل جهد ممكن.

بناء على ما تقدم، يلعب السياق دوراً مهماً في تأويل الأقوال والاستدلال على المقاصد، لكنّه لا يكون أبداً في شكل سياق واحد، ولا يتحدّد بصورة فريدة، وإنّما يكون في سلسلة سياقات، لأنّه يتشكّل من المعارف الموسوعية المكتسبة بمرور الزمن عن طريق العمليات الاستنباطية والشكل المنطقي للمعطيات المدركة أثناء عمليّة التخاطب[...] وفي هذه الحالة يُبنى السياق شيئاً فشيئاً ويتم تغييره باستمرار، وبالتالي تتحول معرفتنا عن الأشياء باستمرار، وتتغير الكلمات والعبارات الدالة عن الأشياء باستمرار أيضاً (سبيربر في بلخير، 2013، ص 117).

إنّ، لم يعد السياق تلك العناصر الخارجية التي تحيط بالعملية التواصلية، بل هذه العناصر صارت جزءاً من الذاكرة، وصارت هذه الأخيرة أساس تأويل العملية التواصلية (سبيربر في بلخير، 2013، ص 117). كما يذهب "سبيربر وولسن" - Sperber & Wilson- إلى أنّنا لا يمكن أن نحدّد السياق مسبقاً لأنّه مفتوح على خيارات وعلى مراجعات على امتداد سيرورة الفهم. كما أنّ السياق مختار، ويتحدّد هذا الاختيار من خلال مضمون الذاكرة الموسوعية، ومن خلال المعلومة المدركة في المحيط الفيزيائي. (سبيربر وولسن في هديم، 2018، ص 64). إضافة إلى ذلك، لا يمكن تحديد سياق واحد من سلسلة السياقات إلاّ بواسطة البحث عن الصلة (سبيربر وولسن، 2016، ص 247).

يمثل الأنموذج التواصلي الاستدلالي عند "سبيربر وولسن" - Sperber & Wilson -
أنموذجا جديدا في التواصل وفي عملية الإدراك المعرفي، حيث يمازج بين أنموذج
الشفرة والأنموذج الاستدلالي لتحقيق التواصل بكفاءة. ومن حسنات هذا المزج ظهور
مبدأ الصلة (المناسبة)، والذي لا يحصر تفسير العملية التواصلية في اللّغة فقط، بل
يتجاوز ذلك ليصل إلى الإيماءات عن طريق حركات الجسد والموسيقى وغير ذلك.
وبهذا يشمل تفسير العملية التواصلية الكفاء البعد التشفيري والاستدلالي معا. إضافة
إلى أنه، من خلال هذا المزج، أصبحت المقاصد التواصلية "لا تتوقف عند امتلاك
حالات ذهنية (الإدراك)، وإنما عند سعي المتكلمين لنسبة هذه الحالات للآخرين
وتبليغها إليهم. ومعناه أن التواصل سيرورة تبدأ مع التقاط المدخلات، مرورا بمعالجتها،
انتهاء بتحويلها إلى مخرجات" (ختام، 2016، ص130).

كما تكتسي هذه النظرية أهمية قصوى في دراستها للمقاصد والسياق بالدرجة الأولى من
خلال مبدأ المناسبة (الصلة) الذي عن طريقه لا يكلف المتخاطبون جهد معالجة
الكلام من دون فائدة. فهم يستدلون على المقاصد من خلال الافتراضات لتحقيق
تأثيرات سياقية.

7.1. القصدية في ظل النظرية التداولية:

سنتناول في هذا المبحث إظهار معنى القصد في اللّغة العربية، ثم سنعرف القصدية
ضمن إطار التداولية وبيان أنواعها.

1.7.1. تعريف القصدية:

قبل الحديث عن القصدية في النظرية التداولية، سنتطرق أولاً إلى مفهوم القصد في اللغة، حيث أن مفهوم القصد المعجمي يعني "استقامة الطريق" [...] قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾. (سورة النحل: 09) أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحُجج والبراهين" (الزبيدي، 1981، ج1، ص 35-36). والقصد "إتيان الشيء، تقول قَصَدْتُهُ وقَصَدْتُ إِلَيْهِ بمعنى. وقال ابن الجني: " أصل (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب، الاعتزام والتَّوَجُّه والنُّهُوض نحو الشيء، على اعتدال كان ذلك أو جَوْر، هذا أصله في الحقيقة وإن كان يَخْصُ في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون المَيْل" (ابن منظور، د.ت، ج3، ص 353-355)، و"معنى كلِّ كلام ومعنائه وَمَعْنَيْتُهُ: مَقْصَدُهُ" (ابن منظور، د.ت، مج 15، ص 106). و" قَصَد المكان: تَوَجَّه إليه عامدا [...] وَقَصَدَ السفر: نواه وعزمه، وَقَصَدَ الشيء: عناه وأراده، وَقَصَدَ لـ: هدف ونِيَّة [...] ومقاصد الكلام: ما وراء السطور وما بينها، [...]، والقصدية: صفة لمواقف نفسية موجَّهة، مكيفة وفق مستقبل قريب أو مباشر، وقيل هي تحضير فعل أو حالة ضميرية بقصد أو عمد " (عمر 2008، مج1، ص 1819-1820).

أما طه (1993، ص 98) فقد بيّن معاني المقاصد وفصّل في الفروق بينها وجعلها ثلاثة فروق، كمايلي:

1. يستعمل الفعل: "قصد" بمعنى ضدّ الفعل: "لغا" "يلغو". لما كان اللغو هو الخلو عن الفائدة أو صرف الدلالة، فإنّ المقصد يكون، على العكس من ذلك، هو حصول الفائدة أو عقد الدلالة، واختص المقصد بهذا المعنى باسم "المقصود"، فيقال: "المقصود بالكلام" ويراد به مدلول الكلام، وقد يُجمع على "مقصودات" [...]. إنّ المقصد بمعنى المقصود هو المضمون الدلالي.

2. يستعمل الفعل "قصد" أيضا بمعنى ضد الفعل "سهأ" "يسهو". لما كان السهو هو فقد التوجه أو الوقوع في النسيان، فإنّ القصد يكون، على خلاف ذلك، هو حصول التوجه والخروج من النسيان، واختص المقصد بهذا المعنى باسم "القصد"، وقد يجمع على "قصود"، أو قل، بإيجاز، إنّ المقصد بمعنى القصد هو المضمون الشعوري أو الإرادي.

3. يستعمل الفعل: "قصد" كذلك بمعنى ضد الفعل "لها" "يلهو". لما كان اللهو هو الخلو عن الغرض الصحيح وفقد الباعث المشروع، فإنّ المقصد يكون، على العكس من ذلك، هو حصول الغرض الصحيح وقيام الباعث المشروع، واختص المقصد بهذا المعنى باسم "الحكمة"، ونحتفظ بلفظ "مقاصد" بصيغة الجمع لإفادة هذا المدلول الثالث، أو قل، بإيجاز، إنّ المقصد بهذا المعنى هو المضمون القيمي.

نجد طه قد فرق بين القصد والمقصد والمقصود في المعنى، من خلال المضمون الدلالي والمضمون الشعوري والمضمون الضمني، ولا تختلف، حسبنا، هذه المعاني عن معنى القصدية في التداولية الذي ربطه "سيرل" - Searle - بتوجيه العقل والشعور.

ونجد الجاحظ (1998، ج1، ص76) يعرّف البيان قائلًا:

البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصولة كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان البديل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان أي ذلك الموضوع.

حيث ارتبط مفهوم القصد في اللغة بالفهم والإفهام، ويراد بالبيان الفهم والإفهام الذي يعبر بدوره عن القصدية لأنها هي التي تساعد المتلقي للوصول إلى المعاني المراد إيصالها، ونفهم من كلام الجاحظ أن القصد هو أصل الكلام وهو ضروري لنجاح التواصل.

والفرق بين الحقيقة والمعنى عند العسكري (1992، د.ت، ص33) يكمن في أنّ "المعنى هو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه، وقد يكون معنى الكلام في اللغة ما تعلّق به القصد. والحقيقة ما وضع من القول موضعه منها ما ذكرنا، يقال عنيته أعنيه معنى." حيث يؤكّد العسكري ارتباط المعاني بالقصد الذي يتمثل فيما يريد المتكلم إيصاله إلى السامع.

جاء مفهوم القصد في اللغة، من خلال ما سبق، يحمل دلالة المعنى والعزم والتوجه إلى الشيء، وهذه المعاني مترادف ما جاءت به تعريفات القصدية في التداولية.

أمّا في المعاجم الفلسفية، فجاء مفهوم القصد مرادفاً للنية، حيث يقول صليبا (1982، ص193):

القصد توجّه النفس إلى الشيء أو انبعاثها نحو ما تراه موافقا، وهو مرادف للنية. وأكثر استعماله في التعبير عن التوجّه الإرادي أو العملي، وإن كان بعض الفلاسفة يطلقونه على التوجه الذهني. أما القصد الدال على التوجّه الإرادي، فهو إما مشروع أو هدف، فإن كان مشروعا دلّ على مجرد العزم على الفعل والانبعاث نحوه، وإن كان هدفا دلّ على الغاية التي من أجلها حصل التوجّه.

وهذا ما نجده في موسوعة لالاند (2001، مج1، ص ص691-692)، حيث ورد

القصد مرادفاً للنية وهو:

إعمال الفكر في موضوع معرفي [...] وهو التصميم على القيام بشيء ما، مع مواجهة عقبات يمكنها جعل هذا العمل مستحيلاً أو غير مناسب (مقصد-مشروع). "كان ينوي ديكارتر وضع رسالة في العالم." وهو غاية يرمي المرء إلى بلوغها، علة عمل ما (مقصد-هدف)، "السفر بقصد التعلّم".

وتتقسم دلالة مفهوم القصدية في المعاجم الفلسفية بين نية فعل أمر معين وتحمل نتائجه، وغاية يراد بلوغها.

ولقد برز مفهوم القصدية (intencionalidad) عند الفلاسفة التحليليين (أنظر العنوان 1.2)، خصوصاً عند الظاهريين اللغويين²⁷ بزعامة "هوسرل" - Husserl -، و"استخدم "هوسرل" - Husserl - القصدية في الفينومينولوجيا²⁸ للبحث في أحد مناطق الوجود وهي منطقة الوعي الخالص" (بوشنسكي، 1992، ص187)، وأخذ "هوسرل" - Husserl - هذا المفهوم عن "برنتانو" - Brentano - الذي رأى أنّ "القصدية ماثلة في اتجاه العقل نحو الأشياء، واعتبر أنّ القصدية تتميز بها الظواهر

27- يقول صليبيا (1982، ص193) "الفلاسفة الظاهريون والوجوديون يطلقون لفظ القصد على تركيز الشعور في بعض الظواهر النفسية، كالإدراك الحسي، والتخيّل والذاكرة، لتفسيرها وتوضيح أسبابها، فمعنى القصد عندهم قريب من معناه عند المرسيين".

28- منهج ساهم في قطع الجسور مع اتجاهات القرن التاسع عشر الميلادي وبناء الفلسفة الحالية في القرن العشرين وهو يقوم على تحليل جوهر المعطى أو الظاهرة، تزعم هذا المنهج الفيلسوف ادmond هوسرل، لكنّه أخذه عن الألماني فرانز برنتانو (1838-1917) الذي كان قسّاً ثم اعتزل الرهبنة للبحث في القضايا الفلسفية. (بوشنسكي، 1992، ص ص40، 187)

العقلية، وكان لهذه الفكرة أثر كبير في الفلسفات التي اهتمت بالعقل في القرن العشرين"
(الميساوي، 2013، ص294).

لم يبقى مفهوم القصدية لصيقا بفلسفة العقل وإنما انتقل إلى الدراسات اللغوية،
وبالخصوص التداولية منها، على يد الفلاسفة اللغويين أمثال "أوستن" - Austin -
و"سيرل" - Searle - و"غرايس" - Grice -، حيث برزت القصدية من خلال نظرية
أفعال الكلام عند "أوستن" - Austin - و"سيرل" - Searle - انطلاقا من مفهوم الفعل
الإنجازي الذي يهتم بمقاصد المتكلمين وعند "غرايس" - Grice - من خلال التفريق
بين المعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي، حيث يمكن تحليل المعنى غير الطبيعي
بالاعتماد على ثلاثة أركان " متكلم يعني شيئا ما (غير طبيعي)، بقولة أو إيحاءة، فقط
إذا قصد بقولته/إيحاءته أن يحدث تأثيرا معينا في مخاطب بعينه-حاضرا كان
أو محتملا- عن طريق إدراك المخاطب هذا القصد" (مرسي، 2018، ص ص59-
60)، وقد قدّم "غرايس" - Grice - من خلال مبدأ التعاون ومسلماته، التي سبق أن
ذكرناها، العلاقة التي تربط القصدية بالمتكلم والمتلقي، حيث "أنّ القصدية مجموعة من
المبادئ، توجهها توجهها صحيحا للوصول إلى المتلقي بشكل مؤثر" (فرج، 2007،
ص50).

تدرس التداولية اللّغة في الاستعمال والتواصل حسب شروط المجتمع وضرورته، متّخذة
السياق عنصرا أساسيا في ذلك "لأنّ معنى القول لا يوجد خارج سياقه ومقامه"

(يوسف، 2002، ص17). وعندما يقوم المتكلم بفعل انجازي كالوعد والقسم والإخبار والأمر... الخ، يصبو بذلك إلى التأثير في سامعه ويوضّح مقاصده من أجل تحقيق الفهم وإنجاح العملية التواصلية، فالمقاصد هي ألبها²⁹ لأنه "لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل" (الشهري، 2004، ص183). ولا يمكن إظهار المقاصد إلا من خلال الاعتماد على السياق الذي حدث فيه الخطاب والاهتمام بالمتخاطبين أنفسهم.

ويقوم التحليل اللغوي عند "أوستن" -Austin- على القصدية "إذ هي المسلّمة الأساسية التي تحدد شروط الحق في الكلام والانخراط في أي مشروع تواصل لغوي" (صحراوي، 2004، ص ص 69-70)، كما ذهب "سيرل" -Searle- عند دراسته للمعنى في فلسفة اللغة أنّ هناك "تماثلا شديدا بين البنى العقلية والبنى اللغوية، أي بين بنية الأفعال الكلامية وبنية الحالات القصدية" (صحراوي، 2004، ص82)، ويرى "سيرل" -Searle- (2006، ص ص 101-102) أنّ القصدية:

سمة عامّة لجلّ الظواهر الشعورية [...] وتمثل موضوعات، وأحداثا، وحالات فعلية في العالم [...] القصدية هي سمة العقل التي تُوجّه بها الحالات العقلية أو تتعلّق بها حالات عقلية أو تشير إليها، أو تهدف نحوها في العالم. ومما يميّز هذه السمة أنّ الشيء لا يحتاج أن يوجد فعليا لكي تمثّله حالتنا الشعورية.

²⁹ - نظرا لارتباط التداولية بالمقاصد عمد مترجما كتاب تحليل الخطاب ليول وبراون Yule&Brown إلى اختيار "علم المقاصد" كمقابل للمصطلح Pragmatics معلّين اختيارهما لهذه الترجمة قائلين: "الذي دعانا إلى اختيار هذا المصطلح دون غيره هو أنّ مفهوم Pragmatics، يبنى أساسا على القصد والمقصدية في بعدهما الاجتماعي، كما أنّنا إذا أقرنا بمشروعية ترجمة semantics بمصطلح علم الدلالة، فيجوز قياسيا أن نطلق على Pragmatics اصطلاح (علم المقاصد)" (لطي والتركي في يول وبراون، 1997، ص32)

وبهذا يذهب "سيرل" -Searle- إلى أنّ القصدية تتعلّق بالعقل الواعي لارتباطها بالشعور وهي التي توجهه، حيث أنّ الحالات القصدية مثل الفرح والحب والندم والاحترام والخوف والرغبة... الخ، "تملك موضوعاً قصدياً يتعلّق بقدرة العقل على إدراكه والوعي به، وتمثّل العلاقة الرابطة بينه وبين الحالة التي يقصدها، إذ كلّ حالة قصدية لابدّ لها أن تكون متّجهة نحو القيام بشيء ما قد يكون حدثاً واقعياً أو حالة داخلية" (الميساوي، 2013، ص 295). ويرى "ريكور" - Ricœur - أنّ "الفعل الأوّل للوعي هو المعنى، والقصدية هي فعل تحديد هذا المعنى بالعلامة التي تتوسّط علاقة الوعي بالأشياء" (ريكور في بكاي، 2015، ص 194).

والقصدية عند ديبوغراندي ودريسلر - Beaugrande & Dressler De - تعني "رغبة مؤلف النصّ أن يقدّم نصّاً مسبوكاً محبوبكاً، وفي معنى أوسع تشير القصدية إلى الطرق التي يتخذها مؤلف النصّ لاستغلال نصّه من أجل تحقيق مقاصده، أي أنّ القصد من التعريف الأوّل يحمل غاية نصيّة، في حين أنّه يحمل مع التعريف الثاني غاية تداولية" (ديبوغراندي ودريسلر في فرج، 2007، ص 47).

ويذهب "سبيربر وولسون" - Sperber & Wilson - إلى أنّ القولات "تُولد مجموعة من التوقعات بصورة آلية، يهتدي المخاطب عن طريقها إلى قصد المتكلّم" ويجب أن نفهمها عبر مبدأ وحيد يحكم عمليّة التواصل، ألا وهو مبدأ المناسبة (larelevancia) ("سبيربر وولسون في مرسى، 2018، ص 60-61)، بحيث اهتمّا

بالمقاصد من خلال الأنموذج الإظهاري الاستدلالي وذلك لأنّ السلوك الإظهاري يزودنا بدليل على أفكار المتخاطبين وهو يستلزم ضمنا بالصلة والمناسبة (سبيربر وولسون، 2016، ص100).

2.7.1. أنواع القصدية:

استهدى "سبيربر وولسن" -Sperber & Wilson- في خضم دراستهما للمقاصد ضمن التواصل الإظهاري - الاستدلالي إلى أن المقاصد تنقسم إلى نوعين، مقاصد إخبارية وأخرى تواصلية.

1.2.7.1. القصدية الإخبارية:

وهي أن يصدر المتكلم حافزا أو منبها ويقصد بذلك أن يجعل مجموعة من الافتراضات (قص)³⁰ ظاهرة أو أكثر ظهورا للمستمع (سبيربر وولسون، 2016، ص112)، أي أن يقصد المتكلم إخبار المتلقي بمجموعة من المعلومات، بحيث تكون هذه المعلومات واضحة بالنسبة للمتلقي. ولقد صادفنا هذا النوع، عند "أوستن" -Austin- في الجمل الإخبارية وعند "سيرل" -Searle- في أفعال الكلام المباشرة، لكن الاختلاف يكمن فقط في طريقة الطرح، حيث يصرح كل من "سبيربر وولسون" -Sperber & Wilson- (2016، ص110) بأنّ علماء التداولية "يعاملون قصد المتواصلة (المتكلم) الإخباري بوصفه قصدا لتوليد توجّهات معيّنة لدى المستمع تجاه قضايا معيّنة، ففي حالة الجمل

³⁰- قص: هي اختزال لعبارة "مجموعة الافتراضات التي تقصد المتواصلة (المتكلم) أن تظهرها" (سبيربر وولسون، 2016، ص18)

الخبرية -التي غالبا ما تُعدّ الحالة الأكثر أساسيةً - يُعامل القصد الإخباري بوصفه قصدا لتوليد الاعتقاد لدى المستمع بأن قضية معينة صادقة". ويرى "سبيربر وولوسون" -Sperber & Wilson- (2016، ص112)، أنّه من الأفضل تعديل هذا الطرح ووصف قصدية المتكلم الإخبارية بكونها قصدية للتعديل المباشر- ليس في أفكار المستمع- وإنّما في بيئته الإدراكية، حيث يكوّن المتكلمون مقاصد قادرين على تحقيقها والتأثير بها في بيئة المستمعين الإدراكية، أي، على الأقل، على أفكارهم الحقيقية.

2.2.7.1. القصدية التواصلية:

انطلق "سبيربر وولوسون" -Sperber & Wilson- في تحديدهما لماهية القصدية التواصلية من عدم قبول فكرة "ستروسن" -Strawson- التي مفادها أنّ مقاصد المتكلم يجب أن تكون علنية، بمعنى أنّه من السهل إعطاء الأمثلة عليها وفهمها فهما بديهيا، لكن من الصعب "توضيحها" بدقة بدون لبس، حيث اقترح "ستروسن" -Strawson- نمط من الحلول يتمثل في أنّ نعتبر القصد علنيا حين تُعزّزه سلسلة إضافية من المقاصد بحيث يُفيد كل واحد منها أنّ القصد السابق له في السلسلة يجب التعرف عليه" (سبيربر وولوسون، 2016، ص116). كما اقترح "سبيربر وولوسون" -Sperber & Wilson- حلا، قريب من اقتراح شيفر (1972) الذي فسّر فكرة العلنية عند "ستروسن" -Strawson- بمعنى المعلوم تبادليا، ويتمثل هذا الحلّ في إحلال

فكرة "الظاهر تبادليا"³¹ الدقيقة محلّ فكرة "العنّي" الغامضة، وبهذا أعاد "سبيربر وولسن" - Sperber & Wilson - تعريف القصدية التواصلية بالشكل الآتي: " أن تتواصل بواسطة الإظهار وبصورة مقصودة، يعني أن تُصدر حافزا أو مُنبها مُعيّنا بهدف تحقيق هدف إخباري، وبذلك تقصد علاوة على ذلك، أن تجعل من الظاهر تبادليا للمستمع وللمتواصلة³² بأن يكون لدى المتواصلة هذا القصد الإخباري" (سبيربر وولسون، 2016، ص ص 115-116). ففي هذا النوع من التواصل (القصدية التواصلية) لا يكفي إخبار المتلقي بالقصدية الإخبارية للقيام بعملية تواصلية ناجحة، لكن لابد من أن تكون هناك معلومات أخرى، نقول عنها غير ظاهرة لكن ذات صلة، يَسْتَدِلُّ بها المستمع لاستجلاء مقاصد المتكلم، " فمجرّد الإخبار وحده يغيّر البيئة الإدراكية للمستمع، أما التواصل فيغيّر البيئة الإدراكية المتبادلة لكل من المستمع والمتواصلة" (سبيربر وولسون، 2016، ص 117).

ويحينا مفهوم الظاهر تبادليا، الذي يشرك المتكلم والمتلقي في عملية التواصل، إلى مفهوم الفهم والإفهام في قول الجاحظ (1998، ج1، ص76)، الذي ذكرناه سابقا، "[...] ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي

³¹ - يقصد بالظاهر تبادليا: فرضية المعرفة المتبادلة التي يكون فيها كل من المتكلم والمتلقي أعضاء المجتمع اللغوي الواحد ويتقاربون في لغة واحدة، ويتقاربون في القدرات الاستدلالية نفسها [...] فحتّى يتمكّن المتلقي من فك شيفرة المتكلم، يتوجب أن يكون السياق الذي تفهم فيه القولة مقتصرًا بشكل تام على المعلومات المتبادلة (سبيربر وولسون، 2016، ص ص 42، 47).

³² - يُقصد بالمتواصلة: المتكلم

يجري القائل والسامع بها، إنّما هو الفهم والإفهام [...]، وبهذا يحدث التفاعل بين المتكلم والمستمع ويبلغ التأثير موضعه.

ولتوضيح القصدية التواصلية يمكن أن نسوق هذا المثال الذي أورده "سبيربر وولسن" - Sperber & Wilson (2016، ص ص 65، 116-117) كما يلي:

لنفترض، مثلا، أنّ (ميري) تُريد من (بيتر) أن يُصلح مجفّف شعرها الذي لا يعمل، لكنّها لا تريد أن تطلب منه بصورة صريحة. وما تفعله هو أن تبدأ بتفكيك مجفّف الشعر وتترك الأجزاء المفكّكة مطروحة في مكان قريب كما لو كانت منشغلة بعملية إصلاحه. وهي لا تتوقّع من (بيتر) أن يُدع بهذه التمثيلية، في الحقيقة لو كان (بيتر) يعتقد فعلا بأنّها كانت منشغلة بعملية إصلاح مجفّف الشعر بنفسها، لأصبح من المحتمل ألاّ يتدخّل. وهي تتوقّع أنّه من الذكاء بحيث يتوصّل إلى أنّ هذه التمثيلية المقصود منها إخباره بأنّها تحتاج بعض المساعدة في إصلاح مجفّف الشعر. ومع ذلك فهي لا تتوقّع أنّ من الذكاء بحيث يتوصّل إلى أنّها تتوقّع منه أن يُفكّر ويستدلّ بهذه الطريقة فقط، وبما أنّها في الحقيقة لا تقوم بطلب، لذلك فإنّ عدم مساعدة (بيتر) لها ليس في الحقيقة رفض.

إن وضع (ميري) أجزاء مجفّف الشعر أمام (بيتر) يدلّ على أنّها تقصد أن تخبر (بيتر) أنّها تريده أن يصلحه، فهي تريد أن تكون هذه القصدية الإخبارية ظاهرة لـ (بيتر)، لكنّها في الوقت نفسه لا تريد أن تكون القصدية علنية، أي لا يكون ظاهرا تبادليا. ويكون التواصل في هذا المثال ناجحا إذا تنبّه بيتر للمعلومات ذات الصلة من السياق، كون بيتر على دراية بأنّ (ميري) ليس بإمكانها إصلاح المجفّف وحدها.

والفرق بين القصدية الإخبارية والقصدية التواصلية يكمن في أن الإخبار في الأولى يكون في المرتبة الأولى، أي يكون ظاهرا ويُفهم مباشرة، أما في الثانية، يكون الإخبار

في المرتبة الثانية، أي يكون ضمنيا، ويجب أن تكون هناك معلومات ذات صلة للاستدلال عليه، وأن تكون هناك معلومات متبادلة بين الطرفين يتدخل فيها سياق التواصل، حتى تتحقق عملية التواصل، وبهذا تكون القصدية التواصلية هي إخبار المستمع بقصد المتكلم الإخباري الذي لا يكون علنيا.

3.7.1. تحليل المقاصد تداوليا:

يعتمد تحليل القصدية تداوليا على ركيزتان أساسيتان تتمثلان في التأويل والسياق اللذين يؤديان دورا حيويا في مسار الاستدلال على المقاصد، وقد رأينا مما سبق، أن جلّ المنظرين في التداولية يشيرون إلى السياق بدقة عند دراستهم لكيفية التواصل، وأن التأويل هو الوسيلة التي تُعتمد من أجل فهم المعاني غير المباشرة لذلك كان حريابنا أن نشير إليهما في هذه المرحلة من البحث.

1.3.7.1. القصدية والتأويل التداولي:

تركز المباحث التداولية على كيفية تأويل اللّغة في الاستعمال من أجل الوصول إلى المعاني الضمنية التي يقصدها المتكلم، ولا بد، لمعرفة دلالة الألفاظ، من العودة إلى ما يقصده المتكلمون "فالدلالة الخاصة بالألفاظ والعبارات تتعلّق من دون شك بالقواعد، والاتفاقات المتواضع عليها تعلّقا كبيرا، غير أنّ الطبيعة العامة لمثل هذه القواعد والاتفاقات لا يمكن أن تفهم في آخر الأمر إلا بالرجوع إلى مصطلح قصدية التواصل" (تودوروف وآخرون، 2000، ص 79).

إن العودة لمقاصد المتكلمين لفهم المراد منها ليس بالأمر الهين، لأن المقاصد في حدّ ذاتها تتطلّب مجهوداً لاكتشافها، لذلك يلجأ المتخاطبون إلى التأويل التداولي، وهو "فاعلية ذهنية، أي نشاط فكري إنساني يتوقّف عليه تشكيل المضمون، وتجسيد الفهم، ويساهم في الإنجاز المعرفي، ويساهم في عملية التواصل، فهو إجراء يُعطي المعنى للأشياء بطرق مختلفة". (كروم، 2015، ص114)، ويستطيع المخاطب تأويل المقاصد إن كانت مباشرة واتجاه المطابقة فيها يتماشى مع الواقع، وواضحة وملائمة لسياق المقال والمقام، لكن إن كانت غير مباشرة يلجأ المخاطب إلى التأويل التداولي ليعطي لهذه المقاصد معنى وينزع عنها الغموض.

وللتأويل التداولي أهمية كبيرة في دراسة أفعال الكلام، لكونه يرتبط بمسألة الفهم في الجانب النفسي والظاهراتي والمعرفي للغة، كما يراعي "خصوصية انفتاح الفرد على ذاته وعلى الوجود باعتباره عنصراً يساعد على تحريك الفهم، قصد التعبير عن الغرض الذي يرومه المعنى في دراسة المعارف والعلوم" (Gémar في كروم، 2015، ص115).

ويتحقق التأويل التداولي من خلال مجموعة من الوسائل (بُريك، 2016، ص17)، تتمثل في:

- التكميل بمعلومات مفهومة من السياق بشقيه المقالي والمقامي.

- التوسيع عن طريق المعرفة المسبقة أو الافتراض المسبق، أو عن طريق معلومات يستتجها المخاطب من السياق المقامي.

- الاستلزام من خلال تحليل الكلام ومعرفة ما قيل وما هو مستلزم، أي التفريق بين المعنى المصرح والمعنى المقصود

- التأويل المجازي من خلال الاعتماد على الكنايات والاستعارات ومختلف الأساليب البلاغية غير المباشرة.

إن هذه الوسائل لا تتوفّر إلا من خلال النظرية التداولية لأنها الوحيدة التي تهتم بالجانب الاستعمالي للغة، ومراعاة الجانب التأويلي في مسألة القصدية بشقيها الاخباري والتواصلية.

2.3.7.1. القصدية والتأويل التداولي في الترجمة:

يعتمد منتج الخطاب/النص إلى تضمين مقاصده من خلال اعتماد الصيغ غير المباشرة، لكنّه يترك منبّهات تساعد المتلقي على الوصول إلى مقاصده. ولكي يستطيع المترجم أن يتقصى تلك المقاصد وينقلها بنفس قوتها التأثيرية لابد له أن يستعين بالتأويل. ويؤكد "إيكو" - Eco - (2012، ص 102) ذلك قائلاً: "إنّ المترجم يقوم بفرضية تأويلية بخصوص طبيعة المؤثر الذي يرمي إليه النص الأصلي". ويذهب "إيكو" - Eco - (2012، ص ص 102-103) إلى أنّ "مُتصوّر المؤثر الذي ينبغي

نقله مرتبط بفكرة قصد العمل". وبهذا يكون التأويل بمثابة فاعلية لا بد منها لإزالة اللبس والغموض عن الخطاب واكتشاف مؤثراته.

لا يحتاج المترجم في تقصي المقاصد إلى تأويل مدلولات الألفاظ فحسب، بل يحتاج إلى التأويل التداولي الذي يتميز بأنه " فاعلية ذهنية، أي نشاط فكري إنساني يتوقف عليه تشكيل المضمون، وتجسيد الفهم، ويساهم في الإنجاز المعرفي وفي عملية التواصل، فهو إجراء يعطي المعنى للأشياء بطرق مختلفة" (كروم، 2015، ص114)، وبهذا ينبغي على المترجم أن يلجأ إلى التأويل التداولي لأنه يكشف عن المعنى الحقيقي، وكونه "يركز على القصد التواصل في الجمل الملفوظة، أكثر من الترجمة التي تركز على الكلمات الثابتة في الجمل اللسانية" (كروم، 2015، ص113). كما أن "أوضاع الخطاب وقصديته وأفعال الكلام وأغراضها، لا بد في ترجمتها من لغة إلى أخرى من استعمال التأويل التداولي من أجل فهم البنية الضمنية أو المسكوت عنها في الخطاب" (كروم، 2015، ص113).

ارتبط مفهوم الفاعلية الذهنية للتأويل بتفسير الخطاب في التواصل للتمييز بين المعنى الصريح والمعنى الضمني، بالإضافة إلى التعرف على السياق الذي يركز عليه المتلقي لفهم ما يريد المخاطب إيصاله، وهو أمر اهتمت به التداولية لدراسة اللغة في الاستعمال، لكن هذه الفاعلية الذهنية تهتم الترجمة أيضا لأنها تهتم بمسألة القصد في استعمال اللغة، الذي هو مطلب مشترك بين الترجمة والتداوليات، وبمعنى أدق دراسة

الكيفية التي تتفاعل بها العوامل السياقية مع المعنى اللساني في تأويل الكلام الملفوظ" (كروم، 2015، ص115).

وبهذا يرتبط التأويل التداولي بالترجمة من أجل فهم قصدية المتكلم في لغته، وكذا نقل هذه القصدية إلى اللغة الهدف. وعلى هذا الأساس أصبحت الترجمة عملية تأويلية بالدرجة الأولى، وهذا ما يذهب إليه "ميشونيك" - Meschonic - (Gémar) في كروم، (2015، ص117) قائلا: "لكي تفهم، لا بد أن تُؤول، [...] ولكي تترجم يجب أولاً أن تفهم، وبالتالي [...] فإن الترجمة بالضرورة هي تأويل"، أي أصبحت الترجمة عملية تأويلية لأنها تجمع بين الفهم والتأويل في آن واحد.

يرتبط التأويل بالجانب التداولي في الترجمة لأنه يُوظف من أجل التعرف على قصدية المتكلم من خلال الكشف على متضمنات القول والسياقات التي نشأ فيه الخطاب.

3.3.7.1. القصدية والسياق:

يتردد مصطلح السياق كثيرا، عندما يتعلّق الأمر بالبحوث اللغوية عامة، والدراسات الترجمية خاصة، وهو ركن لا يُمكن أن نتجاوزه عند تحليل اللغة، خاصة عندما يتعلّق الأمر باستعمالها، لذلك أولت النظرية التداولية باختلاف مباحثها أهمية كبيرة للسياق. والسياق في معناه اللغوي يدلّ على "التتابع والاستقامة والانقياد والاتفاق، وهي كلّها مفاهيم تحضر بقوة في الإنتاج اللغوي باعتباره تتابعا وانقيادا للأصوات والكلمات

والعبارات، وفق ضوابط الاستقامة اللغوية، وما يمليه التواضع والاتفاق بين أفراد الجماعة اللغوية" (بن يامنة، 2012، ص23).

وبهذا يكون استخدامنا لكلمة "سياق" في التعبير، مثل قولنا "سياق العبارة أو سياق الموضوع، أو سياق الجملة، يعود إلى المعنى الأصلي من التابع والسير والنظم، فكما تساق النوق والغنم في قطيع واحد كذا تساق الكلمات في جمل أو عبارات، وهذا وجه الشبه بين السياق بمعناه الحسي والسياق بمعناه اللغوي" (خليل في بن يامنة، 2012، ص23).

أما في معناه الاصطلاحي فهو "بناء كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة. ودائماً ما يكون سياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يُلقي ضوءاً لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها" (فتحي، 1986، ص201-202).

ويرى بن مالك (2000، ص44) أنّ السياق يقع في ثلاث مستويات:

- على مستوى الكلام: يشتمل المحيط الألسني للوحدة على مجموعة من العناصر الحاضرة في النص، المجاورة أو المبتعدة عن الوحدة المدروسة.
- على مستوى اللغة: تكون كلّ وحدة ألسنية بمثابة السياق للوحدات الموجودة في رتبة أدنى، ويتموضع سياقها في الوحدة الموجودة في مستوى أعلى. الفونيم/ص/ يتمظهر في سياق/صديق/ وبدوره يتمظهر سياق /صديق/ في الجملة /أنت صديقي/.
- المحيط الألسني أو غير الألسني الذي تتحقّق فيه الوحدة اللغوية.

وبهذا يكون السياق هو المحيط الذي تقع فيه المفردات وهو الركن الذي يتأسس من خلاله المعنى المقصود، ولا يركّز السياق على معنى الكلمة أو الجملة فحسب، بل على العلاقة بين مجموع الكلمات المكوّنة للنّص أو الخطاب. كما يتمثّل السياق في كلّ العوامل الخارجية التي تؤثر في النّص، وتكون هذه العوامل نفسية وسياسية وإيديولوجية واقتصادية واجتماعية... الخ.

ويكون السياق بهذا المفهوم لغويا يُنظر فيه إلى مكونات النصوص والخطابات الداخلية وغير لغوي يشمل جميع الظروف المحيطة بالظاهرة اللّغوية، وأولت التداولية اهتماما أكبر بالسياق غير اللّغوي لأنّ "معرفة اللّغة بأنظمتها المعروفة وحدها لن تُغني المرسل إليه عن معرفة قصد المرسل بمعزل عن السياق، لأنّ مدار الأمر ينصبّ على ماذا يعني المرسل من خطابه، لا ماذا تعنيه اللّغة، حتّى لو كان الخطاب واضحا في لغته، لأنّ معرفة قصد المرسل هو الفيصل في بيان معناه" (الشهري، 2004، ص196).

ويذهب "لاينز" - Lyons - (1987، ص222) في تحليل النّصوص إلى أنّ السياق

هو الذي يحدّد معنى الوحدة الكلامية من خلال ثلاثة مستويات:

أوّلا، يحدد السياق أيّة جملة تمّ نطقها- إن تمّ فعلا النطق بالجملة.

ثانيا، يخبرنا السياق عادة أيّة قضية تمّ التعبير عنها- إن تمّ التعبير عن قضية.

ثالثا، يساعد السياق على القول بأنّ القضية تحت الدرس قد تمّ التعبير عنها بموجب

نوع معيّن من القوّة اللا كلامية دون غيره.

ويكون السياق في هذه المستويات الثلاثة "ذو علاقة مباشرة بتحديد ما يقال حسب المعاني المتعدّدة التي يحملها الفعل "يقول". لكن معنى الوحدة الكلامية يتجاوز ما يقال فعلا، إذ أنّه يتضمّن ما هو مقصود ضمنا (أو ما يفترض مسبقا)، وللسياق صلة وثيقة بهذا الجزء من معنى الوحدات الكلامية" (لاينز، 1987، ص222).

ويعني ذلك أنّ الوحدة الكلامية قد ترد بمعان مختلفة حسب تعدد السياقات التي وردت فيها، وقد تكتسب معان متعدّدة ظاهرة وغير ظاهرة تحمل مقاصد مختلفة قد تكون هي بدورها إخبارية أو تواصلية، لذلك تتم الاستعانة بالسياق للاستدلال على المقاصد التي من أجلها استخدمت تلك الوحدة الكلامية من غيرها.

وتؤكّد "أرمينكو" -Armengaud- (1987، ص09) على أهمية السياق بالنسبة لتحليل المقاصد من خلال تعريفها للسياق قائلة: "ونقصد به الوضعية الملموسة، والتي تُوضّح وتُنطق من خلالها المقاصد، تخص المكان والزمان وهوية المتكلّمين،... الخ، وكلّ ما نحن في حاجة إليه، من أجل فهم وتقويم ما يقال". وبهذا لا يمكن للمخاطب فهم المقاصد لو لم تكن منقولة ضمن قالب سياقي معيّن، وتؤكّد "أرمينكو" -Armengaud- (1987، ص09) أنّنا ندرك أهميّة السياق عندما تنتقل إلينا المقاصد عبر وسيط، وفي حالة معزولة عن السياق. وبهذا تصبح المقاصد المنقولة بدون قيمة لأنّها أصبحت مبهمة بعزلها عن سياقها.

إن اللّغة ظاهرة اجتماعية لذلك تأتي من خلالها المقاصد بسياقات مختلفة. ولقد ربط "فيرث" - Firth - رائد النظرية السياقية اللّغة بالاستعمال وهو مبدأ تداولي، بحيث يصرّح بأن "المعنى لا ينكشف إلّا من خلال تسييق الوحدة اللّغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة" (فيرث في عمر، 1998، ص 68)، وبذلك يكون التعرف على السياقات التي وردت فيها الوحدات اللّغوية وغير اللّغوية التي تشكّلت من خلالها المقاصد هو السبيل الأنجع للوصول إليها وتأويلها.

بناء على ما تقدم نجد أن استعمال اللّغة لا يكون إلّا في إطار السياق لذلك تناولت مباحث النظرية التداولية بمختلف توجّهاتها ركن السياق وأعطته أهميّة بالغة في التعرف على المقاصد وربطته بالخلفية المشتركة للمتخاطبين، وأقترح مفهوم الخلفية المشتركة من أجل "تأطير الجزء الفاعل من السياق في الحدث التواصلي، ومن ثمّ بيان أثره في إنتاج الخطاب وتأويله" (مرسي، 2018، ص 120).

ويعرّف "سبيربر وولسن" - Sperber & Wilson - (2016، ص 233) السياق بأنّه "مجموعة فرعية من افتراضات الفرد القديمة، التي تتحدّد معها الافتراضات الجديدة لتنتج مجموعة متنوّعة من التأثيرات السياقية" وبهذا يكون السياق مرتبطاً بالافتراضات التي يقوم بها المتخاطبون اعتماداً على خلفيتهم المشتركة من أجل استنباط المقاصد. ويذهب "سبيربر وولسن" - Sperber & Wilson - (2016، ص 247) إلى أنّ السياق يأتي في مجموعة من السياقات ويرتبط تحديده بعوامل مثل الذاكرة الموسوعية والذاكرة

القصيرة والمعلومات التي يمكن التقاطها من البيئة المادية، وإنّ هذه العوامل لا تحدّد سياقاً واحداً وإنّما مجموعة من السياقات الممكنة، والتي يكون تحديدها اختيارياً من طرف المخاطب بالاعتماد على مبدأ الصلة (المناسبة). أي أن يأخذ المخاطب من الافتراضات الموجودة لديه سابقاً ومن سلسلة السياقات المخزّنة في الذاكرة، السياق المناسب للوضعية الخطابية التي يقوم بتحليلها من أجل التوصل إلى المقاصد.

4.3.7.1. السياق والترجمة:

سبق وأن أشرنا إلى أنّ السياق أمر لا بد من مراعاته أثناء عملية تحليل معاني النصوص وتأويل المقاصد في الجانب التداولي. لذلك يتوجّب على المترجم أن يضع نصب عينيه أهميّة السياق أثناء عملية التأويل من أجل نقل المقاصد إلى اللّغة الهدف. ويؤكّد "حاتم ومايسون" - Hatim & Mason (1990، ص01) أنّ الترجمة هي "عملية تواصلية تحدث في سياق اجتماعي"، لذلك لا بد على المترجم أن يلقي الضوء، عند القيام بعملية الترجمة، على المعنى والمقاصد آخذاً بعين الاعتبار السياق الاجتماعي الذي أنتج فيه مؤلف النصّ مقاصده. وتؤكد سنيل هورنبي - Snell-Hornby (1999، ص96) أنّ "النصّ بالنسبة للمترجم ليس ظاهرة اجتماعية بسيطة فقط، وإنّما لا بد من الأخذ بعين الاعتبار الوظيفة التواصلية المتعلّقة باندماجه في وضعية معيّنة وانتمائه إلى السياق سوسيوثقافي أكثر اتساعاً"

ويشير "نيومارك" - Newmark (2006، ص113) في معرض حديثه عن الكلمات في سياقها إلى أننا لا يمكن أن نترجم بغض النظر عن السياق، ويقول في ذلك "إننا نترجم كلمات، لأنه ليس هنالك شيء آخر نترجمه [...] ولا نترجم كلمات منفردة بل كلمات ملتصقة بدرجة (كبيرة) أو (صغيرة) [...] بسياقاتها النحوية والتلازمية اللفظية والوصفية والثقافية واللّهجية الشخصية". بحيث لا بد من مراعاة مختلف السياقات التي ترد فيها الكلمات، بحيث يمكن للكلمة الواحدة أن تكتسب دلالات مختلفة وتعدّد استخداماتها حسب ورودها في السياق، ولقد أشار نيومارك إلى نقطة مهمّة وهي المتلازمات اللفظية والتي لا يمكن للقارئ غير الملمّ بالسياق الثقافي الذي ترد فيه أن يفهمها بمعزل عنه ومثال ذلك عبارة "un hueso duro de roer" والتي يقابلها في اللّغة العربية عبارة "صعب المراس"، فلو لم يكن المترجم ملماً بالسياق الذي تأتي فيه هذه المتلازمة اللفظية لما تمكّن من ترجمتها ترجمة مكافئة.

ويقصد "نيومارك" - Newmark - بالسياق اللهجي الشخصي، أن الكاتب قد يستعمل مفردات خاصّة به تكون عاميّة أو متعلّقة بلهجته المحلية، ونصادف هذا السياق بكثرة في الأعمال الروائية، لذلك على المترجم ألا يغفل على هذه السياقات في عملية الترجمة.

ونجد "نيدا" - Nida - (1976، ص206) يربط المعاني النحوية بالسياق اللغوي حيث يصرّح بأن:

النحو مصمّم لتفسير ذلك الجزء من اللّغة الذي يعتمد على علاقة أصناف الكلمات ببعضها البعض، فالنحو يعالج كلّيا السياق اللّغوي للكلمات لكن تحليل دلالات ألفاظ لغة يعني بالدرجة الأولى محاولة تفسير علاقة كلمات منفردة أو مركبة من الكلمات بالسياقات غير لغوية للألفاظ -سواء على مستوى المعاني المعجمية المدلولية أو على مستوى المعاني الانفعالية السلوكية.

ويقسّم "نيدا" - Nida - (1976، ص ص 469-472) السياق إلى ثلاثة أنواع على

النحو الآتي:

- سياق الحديث، أي أن تحلّل الوحدات المراد ترجمتها في ضوء السياق الأوسع لمجمل الحديث المتصلّ بها، أي لا يمكن معالجة الوحدات اللّغوية باعتبارها وحدة منفصلة عن الخطاب، بل يجب اعتبارها جزءا متّما له.

- السياق الإيصالي، ويتمثّل في مراعاة الظروف الداخلية في النصّ الأصلي المراد ترجمته، خاصة القضايا المتعلّقة بالزمان والمكان والمؤلف والمحتوى والقارئ والاستجابة، بحيث لا بد من معرفة معلومات عن المؤلّف وظروفه والأسلوب الذي أنتج فيه النصّ، عند محاولة حل الرّموز اللّغوية. خاصة إن لم يترك المؤلّف أمارات يستدلّ بها المترجم عن المقاصد، حيث يعمد إلى المؤلّف وظروفه وأسلوبه ليفترض مقاصده.

- السياق الثقافي، ويتعلق باللّغة المصدر واللّغة الهدف، ويعتبره نيومارك ذا أهميّة قصوى في فهم معنى أي رسالة، لأن الكلمات لا تمتلك معاني خاصة بها، إلا إذا وردت في إطار ثقافي كلي. وعلى المترجم أن ينتبه إلى السياق الثقافي الأوسع بغرض الحصول على مفاتيح مهمة لتفسير المعاني في السياق والوصول إلى المقاصد. أما

بالنسبة لسياق اللّغة الهدف يرى نيدا بأنّه عند تحليل معنى النّص المصدر يفترض المترجم أنّ السياق الثقافي للغة المتلقي ليست له صلة كبيرة بالتحليل، لكن الأمر ليس كذلك لأن المترجم قبل أن ينقل أي نص للّغة الهدف لابد أن يراعي الخلفية الثقافية للمتلقي ليحقق أكبر استجابة.

وقد يتعدّر على المترجم معرفة السياق الحقيقي للمقاصد كونها تكون غير مباشرة وضمنية، خاصة إن تعمد مؤلف النّص الأصلي تضمينها وإضفاء صفة الغموض عليها دون ترك منبّهات سياقية للاستدلال عليها. وقد يفترض المترجم سياقات قد تكون مخالفة لحدس المتلقي في اللّغة الهدف، وقد يكون سبب المخالفة أن المترجم "يفترض معنى سياقيا لكلمة أو مفهوم قد يكون فضفاضاً أو غامضاً فيحدث ارتباكاً في الوضع الدلالي لدى المستمع في اللّغة الهدف، وبالتالي يكون هناك اختلاف في الافتراض بين المترجم والمتلقي". (الكديّة في كروم، 2015، ص ص 117-118).

ويضيف كروم (2015، ص ص 117-118) أن حالات الاختلاف في النقل تتعدّد بحسب درجات التأويل التي ينتهجها المترجم في نظريته لأبنية اللّغة التي تتعلّق بالزمن أو الروابط أو المسمّيات (مثل أسماء القرى والمداشر... الخ)، أو غيرها من الحالات الأخرى التي يتولّد عنها اختلاف في فهم الكلام المترجم. فعلى سبيل المثال بنية الزمن في اللّغة العربية، تفترض ما يسمّى نسبة الزمن (Tiempo relativo). فهناك عدد

كبير من الحالات الدلالية للزمن تُؤوّل بحسب المرجع الذي يكون عليه زمن التلقُّظ الذي يقتضيه السياق.

ويضرب كروم (2015، ص119) مثالا توضيحيا يظهر فيه افتراض سياق الزمن في اللغة العربية كما يلي:

- أن يقول الشخص: " آتيك إذا احمرَّ البُسْرُ "

I will come you when the unripe date ripens

والبُسْرُ لابد أن يحمرَّ قبل أن يصبح رُطبا، فالرابط إذا الشرطية تختص بالامر المحقَّق حصوله أو المرجَّح حصوله، لكنَّ الأوّل في الكلام هو الأغلب. (الأنصاري في كروم، 2015، ص119).

والبسر أوّله طلع، ثمّ خلال، ثمّ بلح، ثمّ بسر، ثمّ رطب، ثمّ تمر [...]. ويقال للشمس في أوّل طلوعها بُسرة. والبُسرة من النبات أوّله [...].، فما يريد أن يقوله المتكلم قد ينقله المترجم إلى متلقي النص الهدف من خلال دلالات افتراضية سياقية مختلفة عما يقصده المتكلم، على نحو المجيء باكرا، أو متأخرا حتى احمرار التمر، أو أن تكون القصديّة مرتبطة باليوم زمن طلوع الشمس وغير ذلك. (كروم، 2015، ص120).

ويرى "مورفي" - Murphy - (مورفي في كروم، 2015، ص121) بأنّ المرجعية المعرفية ضرورية بالنسبة لتحديد السياق المفترض، ويرى بأنّ العلاقة الدلالية بين الكلمات لا يمكن تمثيلها على مستوى المعجم ومن بين أسباب ذلك أنّها تتوقّف على

السياق اللذي تظهر فيه. أي أنّ المعجم وحده لا يوفّر المرجعية المعرفية للمترجم ليفترض السياق الذي تأتي فيه المقاصد المتضمّنة.

وبالعودة إلى التداولية المعرفية نجد أن لكل سياق ملفوظات تناسبه ويكون تأويل الملفوظات حسب السياق الذي يفترضه المتلقي. وبالتالي يكون "افتراض السياق بالنسبة للخطاب مبنيا على قصد الهدف التخاطبي، ثمّ القصد التواصلّي الذي يترجم إليه الخطاب وينقل بناء على المعطيات النصّية التداولية الملائمة" (كروم، 2015، ص123).

وبناء على ما سبق نستنتج أن التأويل التداولي بصفته فاعلية ذهنية والسياق التداولي عنصران ضروريان لتحليل المقاصد في اللغة الأصل، وضروريان للمترجم فهما يتيحان للمترجم سبل نقل هذه المقاصد ومعانيها بطريقة يحدث فيها استجابة من طرف قارئ النصّ الهدف. كما لا يمكن للمترجم الاعتماد على التأويل التداولي والسياق فقط دون الإلمام بآليات الترجمة التداولية التي تساعد على اختيار القالب المناسب للنصّ في اللّغة الهدف محافظا على المعنى والأسلوب. وفيما يلي سنحاول رصد علاقة التداولية بالترجمة وأهم آليات الترجمة التداولية.

8.1. النظرية التداولية في الترجمة:

تندرج الترجمة ضمن الحقل التواصلّي لأنها تهتم باللّغة، ويُعتبر كلّ نصّ مترجم مهما كان نوعه تواسلا بين ثقافتين مختلفتين، ويتحقّق هذا التواصل عبر وسيط حيوي وهو

المترجم. وبما أنّ الترجمة تعتمد اللّغة بصفقتها وسيلة للتواصل، كان لابد لها من أن تنظر إليها في جانبيها اللّساني والاستعمالي.

قبل ظهور اللسانيات كانت حركة الترجمة مقتصرة، نوعا ما، على ترجمة الكتاب المقدّس. وكان لـ "شيشيرون وهوراس" - Cicéron & Horace - محاولات في التفريق بين المعنى والحرف، أي هل على المترجم أن ينتهج الترجمة الحرفية أو يتصرف في ترجمة المعنى بحريّة؟ واستمرت الترجمة على هذا النّحو إلى أن ظهرت اللسانيات وأحدثت ثورة في ميدان اللّغة عامة والترجمة خاصة وأصبح للّغة علم يدرسها بطريقة منهجية وعلمية. ويؤكّد ذلك "حاتم ومايسون" - Hatim & Mason - (1990)، ص22) قائلين:

The emergence of linguistics as a new discipline in the twentieth century brought a spirit of optimism to the pursuit of language study, a feeling that the groundwork was the last laid for a systematic and scientific approach to the description of language.

إنّ ظهور اللسانيات بصفقتها علما جديدا في القرن العشرين بعث روح التفاؤل للسعي وراء دراسة اللّغة، بحيث لدينا شعور بأنّه تمّ أخيرا وضع أساس لميلاد مقاربة منهجية وعلمية لوصف اللّغة. [ترجمتنا]

أثرت اللسانيات بجميع فروعها، بصفة مباشرة، على الترجمة، حتى أصبح يُنظر للترجمة على أنّها "ممارسة لسانية بحتة أو ممارسة لسانية تطبيقية على وجه التحديد" (اللّطيف، 2003، ص683). ونظرا لذلك التأثير استفادت الترجمة من الدراسات اللّسانية خاصة لسانيات "دي سوسير" - De Saussure - (1916)، في دراسته للنسق

(Sistema) والبنية (Estructura)، وفي تفريقه بين اللغة والكلام، وتوليديّة "تشومسكي" - Chomsky - (1928) الذي ركّز فيها على دراسة بنية اللغات ومقارنتها. كما أولت اللسانيات التقابلية اهتماماً بالترجمة لكن تعاملت معها على أنّها إشكالية لغوية وكانت تسعى للإجابة على تلك الإشكالية من خلال مقترح تعليمي بحت.

إنّ التفاني في دراسة "اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها" أدى إلى إهمال لسانيات الكلام ممّا ضيّق دائرة الاهتمام باللّغة، لكن مع مرور الزمن تعرضت الدراسات اللسانية البنيوية للنقد لاهتمامها باللّغة بنيويًا وتركيبياً وتخلّت عن جانبها الاستعمالي، لذلك تعرّضت نظريات الترجمة التي ظهرت وتطوّرت في رحاب اللسانيات للنقد هي الأخرى لأنها حصرت الترجمة في الجانب الشكلي للّغة، وبما أن الدراسات الترجمة تأخذ اللّغة والكلام بعين الاعتبار لإنتاج ترجمة سليمة تلم بجميع العوامل اللغوية والخارج لغوية للنص، بات على الترجمة هي الأخرى الاستفادة من نظريات معرفية جديدة تهتم باللّغة وباستعمالها في آن واحد، وتعدّ النظرية التداولية الأكثر ملاءمة، لأنها تجاوزت الصيغة البنيوية لتصل إلى دراسة اللّغة في الاستعمال في سياقات معيّنة من أجل التواصل، وبذلك أصبحت الترجمة تلجأ إلى المبحث التداولي من أجل تقصي المعاني ونقل المقاصد التي تنتج من مختلف السياقات وتحقيق التأثير نفسه في اللّغة الهدف.

ولقد أثنى "حاتم ومايسون" - Hatim & Mason - (1990، ص12) على التأثير الإيجابي للتداولية على نظرية الترجمة، مؤكدين على أنّ "أكثر نظريات الترجمة إثماراً

هي التي نشأت في حوض التداولية لأننا ندرك بواسطتها المعاني الضمنية على أساس معرفتنا السابقة أو ما نفترضه. إضافة إلى ذلك، يرى "حاتم ومايسون" - Hatim&Mason (1990، ص81)، أنّ التداولية لا بد أن تلعب دورا أساسيا في دراسات الترجمة قائلين:

Large-Scale empirical analysis of "what is going on" in texts and translated texts, conducted on similar principles to those of conversation analysis, would be a useful contribution to translation studies, and indeed different interpretations of pragmatics could also be evaluated on the basis of their applicability to translating activity.

إن النطاق الواسع للتحليل التجريبي "ما يجري الآن" في النصوص عامة وبالأخص النصوص المترجمة، والذي يتم القيام به وفقا لمبادئ تحليل المحادثة، يمكن أن يعود بالنفع على دراسات الترجمة. وبالفعل يمكن أيضا تقييم مختلف تفسيرات التداولية استنادا إلى إمكانية تطبيقها في نشاط الترجمة. [ترجمتا].

ويشيد "دوليل" - Delisle - بدوره، بأهمية التداولية في عملية التنظير في الترجمة، بحيث يقرّ بأنه يتوجب على منظري الترجمة مراعاة الجوانب التداولية في العملية التُرجمية (Delisle في Llácer، 1997، ص118).

أصبحت التداولية مركز اهتمام الباحثين في الترجمة سواء في جانبها التحريري أو الفوري بحيث نجد "سيتوت" - Setton - (1999، ص04) يشير إلى أنّ الدراسات الترجمية أُعيد بعثها بعد أن كانت محصورة لفترة طويلة في علم اللّغة واللسانيات التقابلية، وقد تمّ ذلك أولا، من خلال التأكيد على الطبيعة النصية والخطابية للتواصل، والتي تتطلب أن تتم دراسة الترجمة بمراعاة السياق والغرض من التواصل، وثانيا من

خلال تزايد الاهتمام بالعلوم المعرفية (علم النفس المعرفي، علم الأعصاب، فلسفة اللغة والمحاكاة عبر الذكاء الاصطناعي). كما يسعى "سيتوت" - Setton - من خلال أبحاثه إلى إنشاء أنموذج عملي في الترجمة الفورية معتمدا على اللسانيات والتداوليات المعرفية. ويرى "سيتوت" - Setton - (1999، ص 04) أنّ التداولية تتناول الجوانب التطبيقية والتواصلية للسانيات، وذلك من خلال الاهتمام بدور السياق والاستدلال، والعلاقة بين المعاني الصريحة والمتضمنة في التواصل اللغوي، وأبعاد المعنى المرتبطة بالعوامل الخارج لسانية مثل الزمان والمكان والحالة والمعرفة المتاحة للمشاركين في العملية التواصلية. وكل هذه العوامل نجدها حاضرة في الدراسات الترجمية خاصة تلك المتعلقة بالترجمة الفورية. بهذا يتوجب اللجوء إلى التداولية في الترجمة الكتابية والفورية على حد سواء.

وتحذو خيميناث أورتادو Jimémez Hurtado (خيميناث أورتادو في Enríquez- Aranda وآخرون، 2014، ص 109-110) حذو "سيتون" - Setton - وتقرّ بدور التداولية في الترجمة الكتابية والفورية حيث قدّمت معتمدة على نظرية أفعال الكلام تحليلاً من أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى] (y "de arriba-abajo" un análisis top-down "de abajo-arriba" down-up)، بناءً على تسلسل هرمي لساني في الخطاب الذي يمتد من أصغر وحدة معجمية وصولاً إلى النص.

والهدف من هذا التحليل هو تزويد المترجم بمعلومات حول الطريقة التي يتم بها تنظيم

الخطاب، بالإضافة إلى معلومات حول المقاصد التواصلية للمخاطب.

وينقسم هذا التحليل إلى مرحلتين كما يلي:

a) análisis de los actos de habla presentes en el texto y reconocimiento de la situación comunicativa por parte del intérprete

b) identificación de la tipología textual, que incluye el análisis de la macro estructura (contenido global del texto), la superestructura (forma/tipo de documento) y la micro estructura (análisis de los lexemas en contexto o redes de significado implicadas)(Jiménez Hurtado como se cita en en Enríquez-Aranday otros, 2014, 110).

أ) تحليل أفعال الكلام الموجودة في النص والتعرف على الموقف التواصلية بالنسبة للمترجم

ب) تحديد تصنيف النص، والذي يتضمن تحليل البنية الكلية (المحتوى الكلي للنص)، والبنية السطحية (شكل / نوع الوثيقة) والبنية الدقيقة (تحليل المفردات في السياق أو المعاني المتضمنة في النص). [ترجمتنا]

وبناء على ما سبق وبالنظر إلى أهمية التداولية في الترجمة، سنحاول فيما سيأتي ربط

مباحثها بالترجمة.

1.8.1. الترجمة والافتراضات المسبقة:

تلعب الافتراضات المسبقة دوراً مهماً في التواصل، وسبق وأن أشرنا إلى أنّ

الافتراضات المسبقة تكون من جهة المتكلم لأنه هو الذي يفترض بأن المستمع على

دراية بسياق الكلام، وبهذا تكون الافتراضات المسبقة في ذهن المتكلم ولا تظهر في

شكل لغوي إلا إذا ترك المتكلم قرائن في الكلام يستدل بها المستمع على ما يدور في

ذهنه. وهنا تصبح مهمة المترجم في اكتشاف هذه الافتراضات صعبة نوعاً ما. لذلك

يتعيّن عليه أن يكون على معرفة مثالية بثقافة النّص المصدر ويفهم المعلومة المفترضة مسبقا بالطريقة نفسها كمتلق أصلي للثقافة المصدر(نورد، 2009، ص159).

ولتحديد هذه الافتراضات المسبقة في الخطاب/النّص، يستعين المترجم بكفاءته التداولية التي يقوم عن طريقها بتحليل السياق الذي ورد فيه الخطاب للاستدلال على هذه الافتراضات. ويتوجّب على المترجم أوّلا "التأكد من ثقافة العالم الذي يشير إليه الخطاب/النّص والنظر في طبيعته إن كان حقيقيا أم خياليا" (نورد، 2009، ص159). ويستعين المترجم في ذلك بكفاءته الثقافية.

وتذهب "نورد" - Nord - (2009، ص160) إلى أنّ تصنيف النّص حقيقيا أم خياليا يعتمد على مفهوم الحقيقة السائد عند المؤلف والقارئ، وهو أمر تحدّده الأعراف الفلسفية والاجتماعية.

وتضيف "نورد" - Nord - (2009، ص160) أنّه في هذا السياق يمكن العودة إلى بيئة النّص الثقافية، إن تمّ إرساء النّص المصدر في عالم الثقافة المصدر، تكون المعلومات عن هذا العالم مفترضة مسبقا في النّص بسبب مبدأ الصلة، ومن ناحية أخرى لو أشار النّص المصدر إلى عالم متلقي النّص الهدف يصبح افتراضه غير معروف لمتلقي النّص المصدر، وبهذا يواجه المترجم صعوبات في ترجمة الافتراضات المسبقة في كلتا الحالتين. وفي هذه الحالة تقترح "نورد" - Nord - (2019، ص160)

أن يعيد المترجم، في كلتا الحالتين، "تعديل مستوى الإيضاح ليتناسب مع الخلفية المعرفية العامة (المفترضة) لجمهور النص الهدف المقصود باستخدام إجراءات توسيعية أو تقليصية". بحيث يسعى المترجم أن ينقل تلك المعلومات الخفية التي تنطوي تحت الافتراضات المسبقة، مهما كانت صفة المتلقي، ويتم ذلك من خلال تقنية الإيضاح التداولية التي تمكّنه من إضافة معلومات شارحة لهذه الافتراضات.

كما يتعيّن على المترجم النظر في الظروف السياقية (داخلية كانت أم خارجية)³³ التي نشأ فيها النص لأنها تلعب دوراً مهماً في تحديد الافتراضات المسبقة، ويمكن أن يستهدي من خلالها المترجم إلى المؤشرات التي تساعده على تحديد الافتراضات المسبقة في النص، ويرى "باستيان" - Bastian - (باستيان في نورد، 2009، ص163) أن النص يحتوي على "عناصر محدّدة قد تُشير إلى الافتراضات المسبقة". وكما يوضح "هيلبيغ" - Helbig - (هيلبيغ في نورد، 2009، ص163) أنه "يمكن ربط هذه العناصر ببنى تركيبية ومعجمية محددة مثل: المصدر المذيل، المصدر، البناء للمجهول والأفعال الصيغية أو تكافؤ المفردات".

رغم أنه كثيراً ما تسبب خصائص الافتراضات المسبقة صعوبات للمترجم عند نقلها، إلا أنّ التداولية تضع بين يدي المترجم آليات يتمكّن من خلالها من التوصل إلى المعلومات التي تختبأ وراء هذه الافتراضات وينقلها بسلاسة.

33- تتمثل الظروف السياقية الداخلية في البنى التركيبية والمعجمية أما البنى الخارجية فتتمثل في منتج النص وإيديولوجيته، الزمان، المكان، الأسلوب والهدف من إنتاج النص أو الباعث إلى التواصل... الخ (نورد، 2009، صص 163-164)

إنّ للافتراضات المسبقة أهميّة بالغة في الفعل الكلامي كونها تحمل قيمة إنجازية

ويؤكّد ذلك "ديكرو وتودوروف" - Ducrot & Todorov - قائلين:

Le choix d'un énoncé comportant tel ou tel présupposé introduit une certaine modification dans les rapports entre les interlocuteurs. Présupposer serait alors un acte de parole ayant une valeur illocutoire au même titre que promettre, ordonner, interroger (1972, pp. 347-348).

وبهذا تساعد التداولية المترجم في التعرّف على القيمة الإنجازية لجميع الأفعال

الكلامية حتى وإن كانت مضمرة مثلما هو الحال مع الافتراضات المسبقة.

2.8.1. الترجمة وأفعال الكلام:

تنقسم أفعال الكلام إلى فعل قولي وفعل إنجازي وفعل تأثيري، وهذه الأفعال ضرورية

لتأويل الكلام، والوصول إلى مقاصد المتكلم، وبما أن عملية الترجمة تقتضي نقل

العناصر اللغوية وغير اللغوية للخطاب/النص يتعيّن على المترجم أن يتنبّه للأفعال

الكلامية ويستحضر كفاءته التداولية للتعرّف على نوع الفعل (قولي، إنجازي، قضوي)،

وقوّته الإنجازية واتجاه مطابقته وقوّته التأثيرية في النص الأصلي ليستطيع بعد ذلك

نقلها إلى اللغة الهدف. وتشير "لوثانو باشيوكي" - Lozano Bachioqui - (2010)،

ص334) إلى ذلك قائلة " لا بد على المترجم أن يضع نصب عينيه "محتوى

الخطاب/النص وقصديته من أجل إنتاج ترجمة صحيحة تتلائم مع الخطاب/النص

الأصلي، وحتى يتم ذلك على المترجم أن ينقل المحتوى القضوي للخطاب/النص،

والقوة الإنجازية التي ترافق أفعال الكلام فيه وذلك بالأخذ بعين الاعتبار الجوانب الدلالية والتداولية للخطاب/النص".

ويشير "راميريز بيليرين" - Ramírez- Bellerín - (1999، ص201) على دور تداولية أفعال الكلام في الترجمة قائلًا:

Aplicada a la traducción, la pragmática intenta captar la intención manifiesta u oculta del mensaje para reflejarla en la lengua de llegada en términos de la reacción del receptor, es decir, en su equivalencia ilocutiva y perlocutiva. Para ello identifica cada acto de habla con la ayuda de los posibles verbos de ejecución que lo componen y fragmenta el discurso en secuencias principales y subordinadas de actos de habla.

تحاول التداولية، عند تطبيقها على الترجمة، الوصول إلى القصد الظاهر أو الخفي للرسالة ونقله إلى اللغة الهدف مع الأخذ بعين الاعتبار رد فعل المتلقي، أي من حيث التكافؤ في الإنجاز والتأثير. وللقيام بذلك، يقوم المرسل بتحديد كل فعل من أفعال الكلام بمساعدة أفعال الإنجاز المحتملة التي تكوّنه وتجزئ الخطاب إلى متواليان رئيسية تنفرع من أفعال الكلام [ترجمتنا].

وحتى يحقق المترجم التكافؤ بين النص الأصلي والنص الهدف لابد أن ينقل القوة

الإنجازية لأفعال الكلام وإلا فشلت الترجمة على مستوى الخطاب ويؤكد ذلك "حاتم

ومايسون" - Hatim & Mason - (1990، ص76) قائلين:

Equivalence is to be achieved not only of propositional content but also of illocutionary force. At discourse level, communicative failure of translation may be attributed to failure to represent speech acts adequately.

لابد أن يتحقق التكافؤ ليس فقط من خلال المحتوى القضوي ولكن أيضًا من خلال القوة الإنشائية. على مستوى الخطاب، قد يُعزى الفشل الاتصالي للترجمة إلى الفشل في تمثيل أفعال الكلام بشكل مناسب [ترجمتنا].

إن فشل المترجم في تحديد القوة الانجازية التي تحملها الأفعال الكلامية يؤدي بالضرورة إلى الفشل في نقل المقاصد الحقيقية للنص الأصلي وينتج عن ذلك فشل العملية التواصلية برمتها، ولقد أشار حسن (حسن في بلعكري، 2017، ص 90) عند ذكره للصعوبات التداولية في الترجمة الأدبية إلى " ضرورة تركيز الانتباه على القوة الانجازية للنص بأكمله وهذا باعتبار أن تقييم القوة الإنجازية للنص ينبنى على تسلسل كل أفعال الكلام المكوّنة له". وحتى لا يفشل المترجم في تحديد القوة الإنجازية ونقلها لابد له أن يستدل على العناصر التداولية التي يكشفها السياق والمتمثلة في ترتيب العناصر اللغوية والنبر والتنغيم.

3.8.1. الترجمة والاستلزام الحوارية:

يركّز الاستلزام الحوارية على التفريق بين المعنى المصرّح به والمعنى المستلزم من خلال تطبيق مسلمّات مبدأ التعاون. ويحتاج المترجم إلى تحليل النصوص ومحاورتها من أجل تقصي معانيها ومقاصدها قبل نقلها، ويعتمد في ذلك على مبدأ التعاون ومسلمّاته. وذلك لأنّ "النصوص دعوات للتواصل ويجب تقديمها للمستمعين والقراء بطرق تضمن تعاونهم واستيعابهم" (شريف ونيوبرت، 2008، ص 100-101).

ويشير "شريف ونيوبرت" - Shereve & Neubert - (2008، ص 101)، إلى أنّ معظم النصوص يتمّ ترجمتها عن زمانها ومكانها، بحيث لا يكون فيها التواصل مباشراً مثلما هو عليه الحال في اللغة الأصل. ويحدث ذلك نتيجة لعدم التعاون، لذلك يصبح

التعاون شرطاً مسبقاً لعملية الترجمة وافترضاً ينبغي على المترجم القيام به، لأنّ مبدأ التعاون يشرح رغبة المترجم في محاورة معنى النصّ وقبوله بوصفه نصّاً. وقد يُؤدى الإخفاق في التعاون إلى فشل الترجمة، فالترجمة غير المناسبة هي إخفاق لأنّها لم تنجح في إقناع القارئ في المساهمة في التفاعل النصّي لخرقها مبدأ التعاون".

ويربط "شريف ونيوبرت" - Shereve & Neubert - (2008، ص ص 101-108)

مسلّمات مبدأ التعاون بالترجمة على النحو الآتي:

- مبدأ الكميّة، ويقوم على جعل المساهمة كما هو مطلوب. يخضع المترجمون لمبدأ الكميّة عندما يعيدون خلق نصوص لجمهور قراء اللغة الهدف، فهناك حالات يضطر فيها المترجم للتوسيع عن طريق الإضافة أو التقليل عن طريق الحذف في النصّ الهدف مقارنة بما كانت عليه التراكيب والصيغات في اللّغة الأصل. ويضطرّ المترجم لذلك نتيجة للفروقات في النظامين اللّغويين. ويقدم مبدأ الكميّة للمترجم إمكانية دراسة المتطلبات التواصلية في النصّ الهدف بوصفه نصّاً قائماً بذاته، بحيث يسمح له بإجراء التعديلات اللاّزمة للتعويض إذا لزم الأمر.

وينطبق مبدأ الكميّة أيضاً على الاختيار المعجمي في الترجمة، نظراً لاختلاف المعارف المشتركة بين جمهور الثقافة الأصل والثقافة الهدف. ويستعين المترجم بمبدأ الكميّة في هذه الحالة خاصة إن احتو بالنصّ الأصلي على سمات لغويّة معجمية لا توجد لها مرادفات في اللّغة الهدف مثل أسماء مؤسسات كالأحزاب المحليّة وأسماء

الأشخاص ومناطق أو أحداث تاريخية، هنا يقوم المترجم بإعادة صياغة وشرح هذه المفردات المعجمية بدلا من استعمال تقنية الاقتراض التي قد تجعل هذه الصيغ المعجمية غريبة على القارئ الهدف.

- مبدأ النوعية، ويُصص على أن تكون المساهمة صادقة، ويقوم هذا المبدأ في الترجمة على القيام بتصحيح الأخطاء الواردة في النص الأصلي، بدلا من الحفاظ عليها كما وردت. لكن ليس بإمكان المترجم، في جميع الأحيان، أن يتنبه لهذه الأخطاء، لذلك يُطلب من المترجم اعتمادا على مبدأ النوعية الحفاظ على الاتساق الداخلي الصحيح للنص، بحيث ينبغي عليه الإشارة إلى الأشياء والأحداث والأمكنة والناس بشكل يُلائم صحة النص المصدر. كما لا يجب أن يتدخل المترجم في صحة أو خطأ المعلومات في النص الأصلي إلا إذا اكتشف أن هناك خلافا في الاتساق الداخلي للنص. ويحتثنا مبدأ النوعية على خلق انسجام داخلي في النص الهدف في الحالات التي تبتعد فيها مقاصد النص المصدر بشكل كبير عن تلك التي في النص الهدف، وبهذا تصبح الترجمة تحويلية تخلق قيم الصحة أو الخطأ.

- مبدأ الملاءمة (العلاقة)، ويُصص هذا المبدأ على أن تكون المساهمة ملائمة. وتتم الترجمة وفق هذا المبدأ من خلال نقل النص بطريقة يتمكن فيها القارئ من تجاهل التفاصيل غير المهمة، وذلك بالإبقاء على الأفكار الأساسية فقط. إن تحقيق مبدأ الملاءمة في الترجمة لا يعني أن بعض أجزاء النص مهمة وأخرى أقل أهمية يمكن

حذفها. أن تكون ملائمة وعلى صلة بالموضوع يعني على المترجم توضيح محتويات النص الأساسية وعض النظر عن المعلومات الهامشية التي لا تسهم في تطوير النص، بحيث إن قام المترجم بحذف فكرة أساسية فقد يفقد النص تماسكه الداخلي.

كما أنه من مسؤولية المترجم خلق شبكة من العلاقات المعنوية في النص الهدف تتناسب مع بنية الصلة في النص المصدر، وأن يصل قارئ النص المترجم إلى نفس النتائج التي يتوصل إليها قارئ النص الأصلي. وفي حالة تغيير قصد الترجمة يجب على المترجم أن يخلق بنية صلة جديدة تعكس حاجات جمهور اللغة الهدف.

- مبدأ الكيفية، والذي ينص على تجنب الغموض والالتباس واعتماد الوضوح. وبهذا على المؤلف أن يكون واضحاً في عباراته، لكن لا يمكن ذلك في كثير من الأحيان، خاصة إن تعلق الأمر بالخطب السياسية التي تهدف إلى الإقناع والتحفيز، والنصوص الساخرة التي تحتوي على أساليب غير مباشرة، فمثل هذه النصوص تعتمد على الغموض والتعظيم الدلالي. وتكمن أهمية مبدأ الكيفية في الترجمة في أنه يطالب بالتقييم المستمر للمكونات النصية في النص الهدف. يجب على المترجم أن يقرر إن كانت مكوناته النصية تحمل حقاً رسالة وأفكار النص المصدر بفعالية. وقد يتوجب على المترجم الامتناع عن مبدأ الكيفية إن كان ذلك يؤدي إلى خرق قصد النص ووظيفته، مثلما هو الحال في الخطب السياسية التي تعطي أهمية كبيرة للعبارات الغامضة، وقد

يكون هناك غرض من استخدام الغموض فيها. ونجد ذلك أيضا في التعابير الساخرة التي يراد بها النقد والإصلاح دون تجريح واستهزاء.

4.8.1. الترجمة ونظرية المناسبة (الصلة):

إن الترجمة التداولية تهتم بكلا الجانبين اللساني والاستعمالي، بالإضافة إلى الاعتماد على جميع المعلومات ذات الصلة التي قد تساعد في الترجمة. لهذا أثار موضوع الصلة أو المناسبة ثورة معرفية فيما يتعلق بعملية التواصل عن طريق الترجمة من خلال النظر في "القضايا الهامة التي تتعلق بطرق قراءة النصوص وترجمتها، وكذا بناء المفاهيم والمصطلحات الملائمة لحدس المتكلم والمتلقي في النقل والترجمة". (كروم، 2015، ص 129).

ومن بين الباحثين الذين طبقوا مبدأ الصلة أو المناسبة في الترجمة نجد "جوت" - Gutt - قد أشار إلى أنّ "جميع المبادئ والقواعد الخاصة بالترجمة إنّما هي تطبيق لمبدأ الصلة أو المناسبة. ويذهب "جوت" - Gutt - إلى أنّ الإطار العام لهذه النظرية أمر ضروري لاستيعاب وفهم عملية الترجمة" (جوت في عبد الرحيم، 2013، ص 537).

وأكد "جوت" - Gutt - (جوت في عبد الرحيم، 2013، ص 537) على أن هناك دوراً تداولياً لمفهوم الترجمة بكونها تقع -من منظور نظرية الصلة- ضمن الاستخدام التأويلي للغة، ذلك لأن الترجمة تقوم على إعادة صياغة في لغة الهدف ما قيل في لغة المصدر، وهي حالة شبيهة بالاقتراس وإن كانت اللغتان مختلفتين. كما اعتمد "جوت"

-Gutt - على رؤية أنّ الترجمة التي لا تعكس قصدية النصّ المصدر في علاقته بسياقه تعتبر اقتباساً بدون سياق، أو مواقف تواصلية ثانوية.

وخلص "جوت" -Gutt- (جوت في عبد الرحيم، 2013، ص538) إلى أنّ الترجمة في الأصل هي مفهوم تداولي، وأنّ المشكلة التي تواجه المترجم أيضاً مشكلة تداولية لا تتعلّق باللّغة بقدر ما تتعلّق بالسياق ومدى مناسبتها لهذا السياق.

ويؤكّد كروم (2015، ص129) على أنّ الترجمة التداولية تتعامل مع المعارف المخزونة في ذاكرة المترجم، بالإضافة إلى إدراك المعلومات الجديدة التي يقدّمها الخطاب الذي يجعل قصدية المتكلم مفهومة. أي أنّ هذه المعلومات المخزّنة هي التي ستساهم في اختيار السياق المناسب الذي ينقل من خلاله المترجم المقاصد والأهداف. ويمرّ المترجم خلال عملية الترجمة أولاً بالوصف ثمّ التأييل، وهما عاملان أساسيان "لكونهما يسعيان إلى "مناسبة" المعنى بعد قراءة النصّ، مع المعطى المعرفي الملائم في اللّغة الهدف. وبناء على هذا المنظور يمكن للمترجم أن يستفيد من عدد من المعطيات المعرفية لنظرية الملاءمة التداولية، التي تتبني أصلاً على أساس التأييل في وصف استعمالات اللّغة." (كروم 2015، ص129).

إنّ مباحث التداولية المتنوّعة تؤكّد على أنّ هذه النظرية هي مجال خصب يساهم بفعالية في الدراسات الترجّمية التي لا تزال إلى غاية اليوم تحاول إقامة علم للترجمة قائم بحد ذاته، بحيث تفيد مكتسبات المبحث التداولي في تطوير الوصول إلى ترجمة

متكافئة إلى أبعد الحدود، لأنها تتعرض لجميع الجوانب اللغوية وغير اللغوية. كما أنها تساعد المترجم على تبرير القرارات التي يتخذها أثناء الترجمة.

9.1. مظاهر النظرية التداولية في الترجمة:

تعتمد الترجمة في مهمتها لتحقيق التواصل على النص بنوعيه المكتوب والمنطوق، وحتى يتحقق هذا التواصل من خلال النص، لا بد من أن تتوفر في النص المترجم معايير نصية مختلفة، ومن بين هذه المعايير نذكر معيارين يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالتداولية ويظهران بوضوح في الترجمة، وهما معيار القصدية ومعيار المقبولية. وينتمي هذان المعياران إلى مجموعة المعايير النصية التي اقترحها ديبيجراند³⁴ (1998، ص103) "أساساً مشروعاً لإيجاد النصوص واستعمالها".

1.9.1. معيار القصدية:

سبق أن أشرنا إلى مفهوم القصدية في التداولية (أنظر العنوان رقم 7.2)، لذلك سنحاول في هذه النقطة أن نشير إليها بصفاتها مظهراً من مظاهر التداولية في الترجمة وبصفاتها معياراً تتحقق من خلاله نصية النص. ويتضمن معيار القصدية حسب "ديبيجراند" -De Beaugrande- (1998، ص103): "موقف منشئ النص من كون

³⁴ - وضع ديبيجراند سبعة معايير نصية تتمثل في السبك (cohesion) والالتحام (coherence) والقصدية (Intentionality) والقبول (acceptability) ورعاية الموقف (situationality) والتناص (Intertextuality) والإعلامية (Informativity) (ديبيجراند، 1998، ص ص103-105). وتذهب بوسحابة (2017، ص08)، إلى أن السبك يعود إلى البعد التراكمي والحك يعود إلى البعد الدلالي، أما المقبولية والقصدية والمقامية، فتتعلق بالبعد التداولي، وهي المعيير الثلاثة التي تشكل الظاهر الرئيسية للمقاربة التداولية في الترجمة. إلا أننا أثرنا في هذا البحث أن نذكر القصدية والمقبولية فقط كمظهرين تداوليين في الترجمة لأن المقامية تتعلق بالسياق ونحن خصصنا في هذا البحث، مبحثاً مستقلاً للسياق وعلاقته بتحليل المقاصد وترجمتها.

صورة ما من صور اللّغة قصد بها أن تكون نصًا يتمتّع بالسبك والالتحام" أي أنّ معيار القصدية يتعلّق بمنتج النصّ وحتى تتحقّق القصدية لابد من توفر السبك والالتحام، ويكون بذلك منتج النصّ قد قصد "تأليف مجموعة الوقائع اللّغوية، ليكوّن بذلك نصًا متضامنا ذا نفع عملي في تحقيق القصدية والوصول إلى المعنى وبلوغ هدف معيّن" (دي بوجراند وآخرون، 1992، ص30)

وقد لا يتوافق شكل اللّغة مع الهدف المقصود من تأليف النصّ، لأنّ "أفضل المقاصد لا تضمن أنّ النتيجة تتسق مع الغرض المقصود" (نورد، 2009، ص77). لكن كثيرا ما يترك المؤلّف في النصّ إشارات تساعد المتلقي الذي يشترك معه في نفس الخلفية، على الوصول إلى تلك الأهداف. لكن إن تعلّق الأمر بالترجمة فإنّه قلّمًا يشترك مؤلّف النصّ مع قارئ النصّ الهدف في الخلفية المعرفية، لذلك يصبح على المترجم لعب دور الوسيط بين مؤلّف النصّ الأصلي وقارئ النصّ الهدف. وهذا ما يؤكّده حسن قائلاً:

Even if the form of the utterance does not correspond to the intended function, the receiver recognizes the sender's intention. This is true because the sender and the receiver know each other. They share common background knowledge. In translation, the writer and the TL reader rarely share background knowledge. Therefore, the role of the translator is to mediate between the writer and the reader (Hassan, 2011, p.14).

حتى وإن لم يتوافق شكل القولة مع الوظيفة المقصودة، يمكن للمتلقي أن يتعرف على قصد المرسل. هذا الأمر صحيح لأن المرسل والمتلقي يعرفان بعضهما ويتشاركان نفس الخلفية المعرفية. لكن في الترجمة قلّمًا يتشارك الكاتب وقارئ النصّ المترجم نفس الخلفية المعرفية، لذلك يكون المترجم في هذه الحالة وسيطاً بين الكاتب وقارئ النصّ الهدف [ترجمتنا].

وحتى ينتج المترجم نصًا متكامل المعنى والأهداف والوظيفة يتعيّن عليه الوصول إلى
قصدية النصّ الأصلي. وتؤكد "نورد" - Nord - (2009، ص ص 78-79) أهمية

قصدية منتج النصّ بالنسبة للمترجم قائلة:

إنّ قصد المرسل ذو أهميّة خاصة بالنسبة للمترجم لأنّه يقرر بناء النصّ بما يتعلّق
بالمحتوى (الموضوع، واختيار التفاصيل الإخبارية)، والشكل (على سبيل المثال:
التكوين، والسمات الأسلوبية البلاغية، والاقتراسات، واستخدام العناصر غير
اللغوية... الخ)، كما أنّ قصد المرسل مهم أيضا بما يتعلّق بمبدأ الأمانة، حتى ولو تم
تغيير وظيفة النصّ في الترجمة، ينبغي ألا يتصرف المترجم عكس قصد المرسل (إن
كان ممكنا توضيحه).

ويتمكّن المترجم من معرفة قصدية المرسل من خلال تحليل النصّ بالاعتماد على
الوسائل اللغوية والخارج لغوية القائمة في النصّ، ومن خلال أغراض المرسل
التواصلية، وإن توّصل المترجم إلى معرفة هذه المقاصد تمكّن بذلك من نقل معاني
النصّ ووظائفه بكل أمانة. ويكون هذا الأمر ممكنا إن تطابق قصد المؤلف مع قصد
المتلقي

2.9.1. معيار المقبولية:

يعرّف "ديبوجراند" - De Beaugrande - المقبولية بأنّها "موقف مستقبل النصّ إزاء
كون صورة من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث السبك والالتحام"
(1998، ص 104)، ويكون النصّ الذي يتمّ إنتاجه بمراعاة معيار المقبولية " ذا نفع
للمستقبل، أي إكسابه معرفة جديدة، أو قيامه بالتعاون لتحقيق غاية ما، ويستجيب

بذلك هذا المعيار لعوامل مثل: نوع النص، والسياق الثقافي والاجتماعي ومرغوبية الأهداف" (دي بوجراند وآخرون، 1992، ص31)، وبهذا يتعلّق معيار المقبولية بمتلقي النص، أي مدى تقبله لمقاصد مؤلّف النص، ومدى تعاونه مع المؤلّف لاستيعاب وظيفة النص وأهدافه، لكن في بعض الأحيان "لا يستنتج المتلقي من النصّ القصد الحقيقي للمرسل، حتى لو تمّ تحقيق قصد المرسل بشكل لا لبس فيه في النصّ، قد يقرأ المتلقي النصّ بقصد (أو بالأحرى بتوقع) من عنده قد يكون مختلفا تماما عن قصد المرسل" (نورد، 2009، ص26). وكل هذا يعتمد بالدرجة الأولى على السياق الذي أنتج فيه النصّ، بحيث تؤكّد "نورد" -Nord- أنّ تلقي النصّ يعتمد على التوقعات الفردية للمتلقين التي يقررها السياق الذي يتلقون فيه النصّ إضافة لخلفيتهم الاجتماعية ومعرفتهم العامة و/أو حاجاتهم التواصلية.

وتتمثل المقبولية في تفاعل المتلقي مع الخطاب لتحقيق قصد المؤلّف لذلك على المترجم بصفته متلق أول للنصّ أن يتوقّع السياق الذي وقع فيه إنتاج النصّ، ليتمكّن بعد ذلك من تحقيق المقبولية عند القارئ الهدف، لأنّ الحكم على النصّ بالقبول يكون من خلال النظر إلى مدى ملاءمة النصّ للسياق الذي ورد فيه. وبهذا لا تكتمل قصدية المؤلّف إلا من خلال النظر إلى مقبولية النصّ عند المتلقي، وهذا ما تؤكّده "نورد" -Nord- (2009، ص27) قائلة: "يبقى النصّ بوصفه نتاجا لقصد المؤلّف

مؤقتا حتى يتم تلقيه فعلا. إن التلقي هو ما يكمل السياق التواصلي ويحدّد وظيفة النصّ. يمكننا القول أنّ النصّ بوصفه حدثا تواصليا يكمله المتلقي".

ويذهب "شريف ونيوبرت" - Shreve&Neubert (2008، ص 99-100) إلى أنّه، إن كان على المترجم تقديم نص مقبول في لغة الهدف انطلاقا من النصّ المصدر، عليه أولا أن يفهم معايير المقبولية عند قراءة اللّغة الهدف، ولا يكون الأمر صعبا إن اشترك مستخدمو اللّغة الهدف والمصدر معايير المقبولية نفسها، لكن في معظم الحالات تختلف معايير المقبولية بين هؤلاء المستخدمين، لذلك سعى المترجمون إلى التعامل مع الحاجة لجعل ترجماتهم مقبولة لدى جمهور لا يعرف التقاليد التي تحكم نص لغة المصدر.

ويرى "شريف ونيوبرت" - Shreve&Neubert (2008، ص 100-101) أنّ معيار المقبولية والقصدية يمثلان عنصرين استرشاديين للترجمة، لكنهما لا يعملان منفردين لتشكيل النّصية، فلكي يتم قبول النّصوص كما فُصد منها لابد من محاورتها، وتكون هذه المحاورّة وفقا لمبدأ التعاون في التواصل.

إن الترجمة بالاعتماد على مباحث التداولية تُمكن المترجم من توفير معيار القصدية والمقبولية في النصّ الهدف، كما أنّها تساعد على إحداث الأثر نفسه والوظيفة نفسها للنّص الأصلي.

إنّ مهمّة المترجم في نقل النّصوص من لغة معيّنة إلى أخرى مختلفة عنها تماما، تحتمّ عليه استخدام استراتيجيات معيّنة، وهي مجموعة من الوسائل والمبادئ والقواعد التي يعتمد عليها المترجم من أجل توظيف المعلومات والإمكانيات المتاحة لديه من أجل إنتاج ترجمة ناجحة يستجيب لها القارئ، وتوفر النظرية التداولية للمترجم مجموعة من الاستراتيجيات تسمح له بالتصرف العقلاني بما يوافق معاني وأهداف النصّ المباشرة عموما وغير المباشرة خصوصا، ونذكرها فيما سيأتي.

10.1. استراتيجيات الترجمة التداولية:

تُقدّم الإستراتيجية، في ميدان الترجمة، الحلّ للمترجم عند مواجهته مشاكل في نقل المعاني والمقاصد إلى اللّغة الهدف، خاصة إن تعذّر على الترجمة الحرفية القيام بذلك، ولكل مترجم نهج يتبعه في الترجمة لذلك وجدت الاستراتيجية لتوجيهه، ويقول "دوليل" - Delisle - (2003، ص60):

La stratégie de traduction est une stratégie utilisée de façon cohérente par le traducteur en fonction de la visée adoptée pour la traduction d'un texte donné. La stratégie de traduction oriente la démarche globale du traducteur à l'égard d'un texte particulier à traduire et se distingue des décisions ponctuelles comme l'application des divers procédés de traduction.

وبهذا تكون الاستراتيجية المتبعة من طرف المترجم هي المنهج العام في عملية الترجمة. وتتمثل هذه الاستراتيجية في مجموع الأساليب والتقنيات والإجراءات التي ينتهجها المترجم.

وتنقسم استراتيجيات الترجمة إلى مباشرة وغير مباشرة، فالمباشرة هي التي تعتمد على الاقتباس والنسخ والترجمة كلمة بكلمة، أما غير المباشرة فهي التي تعتمد على التحويل أو الإبدال والتضمين الدلالي والتكافؤ والتكييف والتعويض (التجاني، 2018، ص118)، وبما أننا بصدد دراسة ترجمة القصيدة التواصلية في النص الساخر وفق المنظور التداولي فإننا سنعتمد الاستراتيجيات غير المباشرة التي نجد أنها تحمل جانبا تداوليا، وسنبيئها من خلال التكافؤ التداولي والإيضاح والتضمين والتعويض.

1.10.1. التكافؤ التداولي (Equivalencia pragmática):

إنّ ظاهرة التكافؤ ليست بالجديدة في ميدان الترجمة، حث يسعى المترجمون إلى إنتاج ترجمة متكافئة نحويا ودلاليا وتداوليا، ولقد تطرّق المنظرون والدارسون في ميدان الترجمة إلى موضوع التكافؤ بحيث يصفه "مونداي" -Munday- (مونداي في التجاني، 2018، ص110) بأنه:

وصف وتفسير العلاقة بين النص المصدر والنص الهدف التي يتم قياسها وتحليلها بخمسة عناصر هي: (كتابة وتحرير الكلمات سواء كانت جملا أو نصوصا، وتحليل المعنى المعجمي سواء كان معنى صريح أو ضمني، وأثر التواصل الذي يحدثه التكافؤ الحر، وتشابه الخصائص اللغوية التي يحدثها التكافؤ الشكلي، والحالة وهي الهدف من وظيفة الترجمة التي يحدثها التكافؤ الوظيفي).

ويعود مفهوم التكافؤ التداولي إلى التكافؤ الدينامي الذي أقره "نيدا" -Nida- في الترجمة. وينطوي على "القول بأنّ على المترجم استخدام استراتيجيات نقل تتماشى والجنس النصي ومع التوجّه الإجتماعي والثقافي لجمهور النص الهدف، بحيث لا يتم

الحكم على كفاية ترجمة النص الهدف بطريقة انطباعية أو غامضة ولكن بناء على معرفتنا بالعالم وخلفيات القراء الحقيقية والمتوقعة" (Al-Qinai في عبد الرحيم، 2013، ص531).

ويرى "حاتم ومونداي" - Hatim & Munday - (حاتم ومونداي في بلعكرمي، 2017، ص48) أن الترجمة المستمدة من التداولية بصفتها دراسة للمعنى المقصود هي التي تلائم بشكل مثالي ديناميكية التكافؤ.

وحتى يصبح المترجم قادرا على بناء مثل هذه التصورات فإنه عليه أن يقوم بعدة مهام قبل الترجمة من أهمها "أن يتمثل المترجم قصدية وغرض منتج النص المصدر، فكثير من سمات هذا النص التركيبية والأسلوبية وغيرها يمكن تأويلها بصورة جيدة من حيث علاقتها بالمعنى المقصود من النص المصدر" (عبد الرحيم، 2013، ص531).

وهذا يعنى أن على المترجم أن يهتم بمعاني العبارات اللغوية بالإضافة إلى القصدية من استخدام هذه العبارات في سياق يمكنه من إعادة تمثيل الأفعال الكلامية وقوتها الإنجازية.

وبناء على ما سبق يرى هيوز (عبد الرحيم، 2013، ص532) أن "الترجمة لا تتعامل مع الجمل وإنما مع المنطوقات لذلك يجب تجاوز التكافؤ إلى المستوى التداولي، وعليه فالاهتمام الرئيس للترجمة هو وحدات الخطاب المميزة من خلال قيمتها الاستعمالية داخل التواصل".

2.10.1. الإيضاح (explicitación):

استخدم مصطلح الإيضاح لأول مرة من قبل "فينائي ودرابلني" - Vinay & Darbelnet - عام 1958، وعرفاه حينها (فينائي ودرابلني، 1972، ص 09) بأنه " Procédé qui consiste à introduire dans LA des précisions qui restent implicites dans LD, mais qui se dégagent du contexte ou de la situation ". وبهذا يكون الإيضاح بالنسبة لـ "فينائي ودرابلني" - Vinay & Darbelnet -، هو التصريح بما هو ضمني، من خلال إضافة معلومات موجودة في النص الأصلي بصورة غير واضحة وضمنية ويبقى السياق هو المؤشر الذي يمكن من خلاله الاستدلال على هذه المعلومات.

يرتبط هذا التعريف ارتباطاً وثيقاً بالجانب التداولي لأن المعاني الضمنية هي مبحث هام تدرسه النظرية التداولية والسياق هو أساس استعمال اللغة واكتشاف المعاني وفهم المقاصد فيها.

قدّم بعد ذلك "نيدا" - Nida - (1976، ص 433) من خلال تجربته في ترجمة النصوص المقدّسة، مفهوم الإيضاح من خلال ثلاثية الإضافات والمحذوفات والتبديلات وهي تقنيات يطلق عليها "نيدا" - Nida - اسم تقنيات التكيف وهي مصمّمة للحصول على مكافئات صحيحة في اللغة الهدف بالإضافة إلى تقديم تبريرات للتبديلات التي تطرأ على اللغة المصدر. وتتمثل أغراض هذه التقنيات فيما يقدّمه "نيدا" - Nida - (1976، ص 434) كمايلي:

- السماح بإجراء تكييف في شكل الرسالة وفق متطلبات تركيب لغة المتلقي.

- توفير التلاؤم الأسلوبي المكافئ.

- نقل شحنة إيصال مكافئة.

وضع "نيدا" - Nida - (1976، ص434) هذه التقنيات لتتوافق مع متلقي النص الهدف، وتكثيف حسب درجة معلومات المتلقي، فإن كان المتلقي لا يملك معلومات عن مادة الموضوع، أو يملك معلومات قليلة في "حلّ الرموز اللغوية" للنص المترجم فلا بد من إجراء تكييفات مكثفة وإدخال شروحات أكثر في الترجمة من أجل تمكين الفهم.

إنّ تقنيات التكييف هذه تتلاءم بشدة مع الجانب التداولي لأنها تُعنى بالسياق المعرفي، ونعني بذلك، المعرفة المشتركة بين منتج النص والمتلقي، كما أنّها وظيفية كونها تركز على القيمة التأثيرية للترجمة أي مدى المتلقي استجابة قارئ النص الهدف لها.

ولقد تطرّق "برمان" - Berman - (2010، ص75) إلى استراتيجية الإيضاح وعدّها نوعاً من الميولات التحريفية الثلاثة عشر، والتي يرى بأنّها "هدم حرف الأصول لفائدة المعنى والشكل".

ويذهب "برمان" - Berman - (2010، ص77) إلى أنّ الإيضاح هو نتيجة طبيعية للعقلنة والتي يعدّها بأنّها "تحريف العمل الأصلي بقلب ميله الأساسي بإخضاع تفرعاته

التركيبية، إي إعادة تركيب الجمل وتحويل المتفرعة منها إلى خطية، أي أن يصبح ما كان مجرداً في النص الأصلي، ملموساً في النص الهدف.

ويظهر الإيضاح على المستوى الملموس للكلمات أو لمعانيها، واستبدال اللامحدود في النص الأصلي بما هو محدود في النص الهدف (برمان، 2010، ص78)، أي أن المعاني المضمرة في النص الأصلي تكون غير محدودة، وعندما يلجأ المترجم إلى إيضاحها وجعلها ملموسة من خلال الكلمات تصبح هذه المعاني محدودة.

رغم ذلك لم ينف "برمان" - Berman - (2010، ص ص78-79) أنّ الإيضاح بوصفه مبدأً، هو أمر ضروري ولا مناص منه، وهو ملازم للترجمة على اعتبار أنّ كلّ ترجمة هي بالضرورة تفسيرية أو شارحة، لكنّه يؤكّد على وجوب التفريق بين التفسير والشرح لأنّ الأوّل، هو فعل إيجابي لأنّه يكون تجلياً لشيء غير ظاهر وامتوار داخل النصّ، أما الشرح فيحمل معنى سلبي لأنّه يهدف إلى إيضاح ما لم يكن في النصّ أو ما لم يرد مؤلف النصّ أن يظهر فيه. ويعلّل "برمان" - Berman - وصفه للترجمة الشارحة بالسلبية لأنّه من حق الكاتب أن يقصد مواراة بعض المعاني لأسباب معيّنة لذلك على المترجم الحدق ألاّ يقوم بشرحها وبيقيها غير ظاهرة كما جاءت في النصّ الأصلي.

إن النصوص تتشكّل من عناصر لغوية وأخرى غير لغوية تكمل بعضها، وفي بعض الأحيان تكون العناصر غير اللغوية أكثر أهميّة خاصة إن تعمد المؤلف إخفاء

مقاصده، ونظرا لاختلاف الأنظمة اللغوية والفوارق في السياقات الثقافية يتحتم على المترجم إجراء بعض التبديلات وإضافة بعض المعلومات لتوضيح المقاصد الضمنية، وقد يجد المترجم، خاصة فيما يتعلّق بالنصوص الفكاهية والساخرة أنّه "أحيانا من الضروري تغيير العناصر غير الكلامية إلى عناصر كلامية أو العكس بالعكس" (نورد، 2009، ص ص 24-25).

ونجد ممّن ساهم منهجيا في هذا الصدد، "بلوم كولكا" - Blum-Kulka - (بلوم كولكا في الكنائي وآخرون، 2018، ص ص 103-104) التي قدّمت ما يُسمّى بـ"فرضية الإيضاح" (Explicitness Hypothesis) في عملها المتمثّل في "تحولات الترابط والاتساق في الترجمة". وتقول "بلوم كولكا" - Blum-Kulka - (بلوم كولكا في سلمى، 2009، ص 57):

إنّ عملية التأويل التي يقوم بها المترجم على النّص المصدر يمكن أن تُؤدي إلى إنتاج نص في اللّغة الهدف يتضمّن درجة عالية من الإطناب، ويمكن تفسير هذا الإطناب بأنّه ناتج عن زيادة في عدد أدوات التماسك في نص اللّغة الهدف. ويُمكن اعتبار هذه الحجّة فرضية للإيضاح، تسلّم بوجود زيادة في عدد أدوات التماسك من لغة النّص المصدر إلى لغة النّص الهدف، وهذا بغض النظر عن الاختلافات بين الأنظمة اللّغوية والأنظمة النّصيّة. وبذلك يمكن اعتبار الإيضاح في هذه الحالة خاصية ملازمة لعملية الترجمة.

لم تبتعد "بلوم كولكا" - Blum-Kulka - عن رؤية "فينائي وداربلني" - Vinay & Darbelnet - في تفسير الإيضاح من حيث أنّه يرتكز على إضافة معلومات في لغة

النص الهدف، واعتمدت بلوم كولكا على الإيضاح في الترجمة من أجل إنتاج نص منسجما ومتسقاً وواضحاً ومفهوماً بالنسبة للقارئ الهدف.

تطوّرت "بلوم كولكا" - Blum-Kulka - إلى الإيضاح بالنظر إلى عمليّة التّأويل التي يقوم بها المترجم وبهذا تكون قد أشارت إلى الجانب التداولي لتقنية الإيضاح بالإضافة إلى جانبه اللساني. كما ترى أن "لجوء المترجم إلى استراتيجية الإيضاح يكون بغض النظر عن الاختلافات بين الأنظمة اللغوية، بمعنى أن الإيضاح استراتيجية ملازمة لعملية الترجمة في حدّ ذاتها" (سلمي، 2009، ص58). وفي هذا تأكيد على أن المترجم يحتاج الجانب التداولي واللساني لنقل نصوص منسجمة ومفهومة إلى لغة مغايرة تماماً عن لغة النصّ المصدر.

اقترحت "كلودي" - Klaudy - (كلودي في Alvarez-Lugrís، 2001، ص ص24-25) تصنيفاً يضمّ 4 أنواع لفرضية الإيضاح وتتمثل في الإيضاح الإلزامي والإيضاح الاختياري والإيضاح التداولي والإيضاح الخاص بالترجمة وسنوضحها كما يلي:

- الإيضاح الإلزامي (explicitacion obligatoria)، ويكون نتيجة للاختلافات النحوية والدلالية بين اللغات، وهو إلزامي لأن المترجم مجبر على نقل المعاني الأصلية باستخدام تراكيب نحوية صحيحة، ونظراً لاختلاف الأنظمة اللغوية لابد على المترجم أن يقدّم إيضاحات على المستوى النحوي والدلالي. ويلجأ المترجم إليها في حالتين:

- حين تفتقد اللغة المصدر إلى فئات نحوية معيّنة في اللغة الهدف، فيلجأ المترجم إلى إضافة بعض هذه الفئات المفقودة في النص الهدف من أجل سدّ الثغرات ونقل مضمون الرسالة (Dimitrova في بوسحابة، 2017، ص58).
- في حالات الاختلاف بين اللغات من حيث التعبير عن نفس الوقائع بواسطة اللغة كالألوان والألفاظ المعبرة عن علاقات القرابة مثل أَلِفاظ (العم والعمّة والخال والخالّة) التي لا تُقابلها ألفاظ مكافئة دقيقة في اللغة الإسبانية أو الفرنسية أو الإنجليزية... الخ، حيث تجمع دلالة لفظ Tío في الإسبانية بين دلالة لفظي العم والخال في اللغة العربية، لذلك على المترجم أن يقدّم شروحات لتوضيحها للقارئ الإسباني.

- الإيضاح الإختياري (explicitacion opcional)، ويرجع ذلك إلى الأساليب التي تفضلها اللغات المختلفة أو الاختلافات في البناء النصي وهي، وفقاً لـKlaudy، اختياريّة، لأنه بإمكان المترجم إنشاء نصوص صحيحة نحويًا دون اللجوء إليها، لكن النصوص التي تنتج بالتخلي عن هذا النوع من الإيضاح تكون غير طبيعية وغامضة وغير مريحة بالنسبة للمتلقّي. وقد يلجأ المترجم في هذا النوع، إلى إضافة أدوات الربط أو جملاً موصولة بدل الطويلة من أجل تحقيق نص منسجم.

- الإيضاح التداولي (explicitacion pragmatica)، وينشأ الإيضاح التداولي نتيجة للفجوات الثقافية، والاختلافات المرجعية التي يحركها غياب اشتراك جمهور الثقافة

المصدر والثقافة الهدف في نفس دلالة العناصر الثقافية المتمثلة في المفاهيم والمعارف العامة الموجودة في ثقافة النص المصدر. وفي مثل هذه الحالات يحتاج المترجم لإضافة شروحات وتفسيرات لعناصر ثقافية مثل أسماء البلدان والقرى وأنواع المأكولات والمشروبات التي تكون خاصة بثقافة النص المصدر ولا تكون معروفة عند جمهور الثقافة الهدف.

- الإيضاح الخاص بعملية الترجمة (explicitacion especifica de la traduccion)، وهو يعزى إلى طبيعة عملية الترجمة نفسها. أي أن الإيضاح كامن في عملية الترجمة بغض النظر عن الفروقات بين اللغة المصدر واللغة الهدف من ناحية التركيب النحوية أو الدلالية) كلودي في الكناني وآخرون، 2018، ص108).

3.10.1. التعويض (adaptacion):

ويسمى أيضا بالتكييف عند "فيثاي وداربلني" - Vinay&Darblnet - (1972، ص 52-53)، وهي استراتيجية يلجأ إليها المترجم عند انعدام، في ثقافة اللغة الهدف، الوضعية أو الموقف الذي يشير إليه الخطاب في اللغة الأصلية. وبما أنّ هذه الوضعية يصعب نقلها بالوضعية التي جاءت عليها في النص الأصلي، فالمترجم مطالب بتعويضها بما يستجيب له قارئ اللغة الهدف. ومثال ذلك جملة " el padre besa a su hija en la boca " في اللغة الإسبانية وهي وضعية منعدمة في الثقافة الإسلامية لذلك لابد من تعويضها بما يتناسب وهذه الثقافة بجملة "قبل ابنته على

جبينها". أو عبارة "الرقية الشرعية" التي يقوم بها المسلمون لمعالجة الأمراض غير العضوية مثل المس أو السحر، وهنا يلجأ المترجم إلى تعويضها بعبارة تتوافق والثقافة المسيحية مثلاً فيترجمها بلفظ (exorcismo) والذي يعني طرد الأرواح الشريرة ويقوم بها كاهن متخصص من الكنيسة.

ومع تزايد الاهتمام بهذه التقنية نظراً لاختلاف السمات الثقافية بين اللغات، قدّم "هارفي وهيجينز" - Herevy and Higgins - (هارفي وهيجينز في بوسحابة، 2017، ص ص 64-65) أنواعاً متعدّدة لاستراتيجية التعويض نذكرها كمايلي:

- التعويض في النوع، ويستخدم فيه المترجم عناصر لغوية مختلفة لخلق التأثير نفسه الموجود في النصّ الأصلي.
- التعويض في المكان، ويتم ذلك عندما يكون عنصر التأثير في النصّ الهدف يختلف عن مكان حدوثه في النصّ الأصلي.
- التعويض بالدمج، وفي هذا النوع يلجأ المترجم إلى دمج مميّزات النصّ الأصلي مع النصّ الهدف.
- التعويض بالتوسيع، ويكون ذلك من خلال إضافة عناصر دلالية تنتج عنها جملاً أطول في النصّ الهدف.

4.10.1. التضمين (Implicaciónomodulación):

وهي استراتيجية تعمل عكس الإيضاح، ينتهجها المترجم لتضمين بعض الأفكار والملفوظات التي تكون واضحة في النص الأصلي، يتم تحويلها إلى ضمنية، عند ترجمتها في اللغة الهدف (بوسحابة، 2017، ص62)، يقول "فيفيري" - Fevere - (فيفيري في بوسحابة، 2017، ص62): "يتّجه المترجمون إلى "تهريب" التوضيحات في نصوصهم لأنّهم، غالبا، يحملون على محل الجّد وظيفتهم كوسطاء بين النصّ الأصلي وقرائه الجدد".

وبهذا تسمح استراتيجية التضمين للمترجم بأن يتصرّف وفقا لمقاصده من الترجمة إلى تضمين بعض المعلومات والأساليب بإضفاء صيغة جمالية أو للوصول إلى هدف معيّن في النصّ المترجم.

تسمح هذه الاستراتيجيات للمترجم بإنتاج نصّ يحتوي على سمات تداولية يتحقق من خلالها التواصل. ويحافظ من خلالها على وظيفة النصّ الأصلي وعلى المقاصد الأصلية ليثير استجابة لدى القارئ، أو خلق مقاصد جديدة في نصّ اللغة الهدف حسب توجّهه.

11.1. خلاصة الفصل:

في نهاية هذا الفصل نخلص إلى بلورة أهمّ الأفكار التي تناولناها بالدراسة، بحيث توّصلنا إلى أنّ النظرية التداولية لم تخلق من العدم وإنّما ظهرت نتيجة لاتجاهات

معرفية سابقة نذكر منها الاتجاه الفلسفي المتمثل في الفلسفة التحليلية، والتي ينتمي إلى مدارسها رواد النظرية التداولية، حيث ظهرت كثورة على الفلسفة الكلاسيكية، وركزت على اللغة واتخذتها موضوعا للدراسة. ورأينا أنّ الفلسفة التحليلية تنقسم إلى ثلاثة اتجاهات أساسية هي الوضعية المنطقية بزعامة رودلف كرناب الذي يرى بأنّ تحليل اللغة لا بد من أن يكون منطقيا، والظاهرية اللغوية بزعامة إدموند هوسرل والتي ساهمت في الانتباه إلى القصديّة في الكلام وهي لب النظرية التداولية، رغم ذلك فإنّ هذا الاتجاه غير تداولي لعدم تبنيه البعد الاستعمالي للغة كمبدأ أساسي. إضافة إلى فلسفة اللغة العادية بزعامة "فتجنشتين" - Wittgenstein -، وهو اتجاه يُركّز فيه على اللغة ودراستها من حيث الاستعمال. وبهذا فإنّ اتجاهات الفلسفة التحليلية ليست كلّها تداولية وإنّما ساهمت في إظهار أساسيات النظرية التداولية التي تتمثل في القصديّة والجانب الاستعمالي للغة، وأنّ فلسفة اللغة العادية هي الاتجاه الرئيسي الذي انبثقت منه النظرية التداولية لأنّها ركّزت على اللغة في الاستعمال.

وخلصنا إلى أنّه رغم اختلاف الآراء حول النظرية التداولية إلاّ أن جميع الباحثين يتشاركون فكرة أن التداولية هي دراسة اللغة في الاستعمال بالنظر إلى السياق الذي وردت فيه.

ولقد أشرنا في هذا الفصل إلى أنّ معالم التداولية لم تتضح إلاّ بجهود أوستن ورأينا كيف توصل أوستن إلى إرساء نظرية أفعال الكلام من خلال رفض فكرة أن معيار

الصدق والكذب هو الوحيد الذي تقاس عليه دلالة الجملة وأنّ الجملة في اللّغة العادية ليست بالضرورة إخبارا. وأكّد على فكرة أنّا حين نتكلّم، فإنّنا ننجز فعلا ونقصد من خلاله معنى يظهر من خلال السياق الذي ورد فيه الكلام. كما انتهى، بعد أن اهتم في البداية بتقسيم العبارات الملفوظة إلى إنجازية ووصفية، إلى أنّ النطق بالعبارة سواء كانت وصفية أو إنجازية هو إنجاز لفعل أو إنشاء لجزء منه. وبعد أن عزل أوستن الفعل الانجازي، ذهب إلى أنّ الفعل الكلامي يتكوّن من ثلاثة أفعال، فعل قولي وفعل إنجازي وفعل تأثيري، إلا أنّ أوستن ركّز اهتمامه على الفعل الانجازي لأنّه أساس نظريته وأن العبارة لديه لا تكون إنجازية إلا إذا ارتبطت بقصدية المتكلّم.

كما رأينا أنّ "سيرل" - Searle - أعاد النظر في مقاربة أستاذه "أوستن" - Austin -، حيث انطلق في بناء مقاربه من التمييز بينالمحتوى القضوي (contentoproposicional) وبين القوة الإنجازية (fuerza ilocutiva)، ونتج عن هذا التمييز تعديل التقسيم الثلاثي لأفعال الكلام مضيفا الفعل القضوي الذي ينقسم بدوره إلى فعل إسنادي وفعل إحالي، وبهذا قدّم شروطا جديدة للفعل الانجازي. كما أضاف تصنيفا جديدا لأفعال الكلام يتمثل في الاخباريات والتوجيهات والالتزامات والتعبيريات والتصريحات معتمدا على الغاية من إنجاز الفعل وشروط الإخلاص واتجاه المطابقة الذي يسمح بالتمييز بين الأفعال الكلامية الإنجازية المتشابهة. ولم يتوقّف "سيرل" - Searle - عند هذا الحدّ بل قدّم مفهوما إجرائيا مهّما سمّاه بالأفعال الكلامية غير

المباشرة التي لا يمكن لمجرد النطق بها التوصل إلى معناها، أي أنّ معناها الظاهر لا يتطابق مع قصدية المتكلم، ويدخل في هذا الباب أسلوب السخرية والاستعارة وغيرها من الأساليب غير المباشرة.

كما خلصنا إلى أنّه إلى جانب أفعال الكلام توجد مباحث تداولية أخرى تساهم في الكشف عن مقاصد الكلام سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة. وبالتالي عرضنا مختلف هذه المباحث المتمثلة في متضمنات القول والتي تكون المعاني التي يحملها الكلام فيها ضمنية، وهي تنقسم إلى افتراض مسبق وأقوال مضمرة. إضافة إلى نظرية الاستلزام الحواري حيث ركّز "غرايس" - Grice - على التفريق بين ما قيل وما هو مستلزم، لأنّ معاني الجمل لا تكون دائماً صريحة وإنّما قد تحمل معاني ضمنية أخرى يحددها السياق. ومن هذا المنطلق ميّز غرايس بين نوعين من الاستلزام عرفي وحواري، وخصّ الاستلزام الحواري بدراسة مفصّلة تقوم على مبدأ التعاون (principio de cooperación) ومسلماته الأربعة (مسلمة الكمية والكيفية والملاءمة والجهة)، حيث يعمل هذا المبدأ على ضبط العملية التواصلية ومساعدة المتحاورين على بلوغ مقاصد الكلام. وقد يؤدي اختراق إحدى المسلمات إلى تضمين المعاني مثلما هو الحال في السخرية.

إن العملية التواصلية لا تقوم على مبدأ التعاون فقط وإنّما هناك مبدأ آخر ضروري لبلوغ تواصل متكامل ألا وهو مبدأ التأدب الذي أهمله "غرايس" - Grice - وانتبهت

إليه "لاكوف" - Lakoff -، حيث رأينا أن هذا المبدأ يقوم على مجموعة من القواعد التأديبية المتمثلة في قاعدة التأدب وقاعدة التشكك وقاعدة التودد.

أثرت نظرية الاستلزام الحواري في العديد من الباحثين منهم "سبيربر وولسن" - Sperber & Wilson -، اللذان أسسا نظرية المناسبة الصلة معتمدين على مسلّمة واحدة من المسلمات الحوارية لـ "غرايس" - Grice - وهي مسلّمة الملاءمة، حيث يذهبان إلى أنّها المسلّمة الوحيدة التي يستدلّ من خلالها المتحاورون على المقاصد المعلنة والخفية. وتركّز نظرية المناسبة على القصدية في التواصل البشري ذلك لأنّ التواصل يكون قصديا كون الأشخاص، يصدرون، تارة، دلائل مباشرة على مقاصدهم فتكون هذه المقاصد إخبارية، وتارة أخرى تكون الدلائل غير مباشرة تحتم وجود سياق مشترك بين طرفي الحوار للوصول إلى المقاصد وبهذا تكون المقاصد في هذه الحالة تواصلية. وخلصنا إلى أنّ مبدأ المناسبة يساعد طرفي التواصل على الاستدلال على المقاصد دون بذل جهد معالجة الكلام.

كما أشرنا إلى النظرية الحجاجية نظرا لقيامها على الأدلّة والبراهين وهي آليات تعتمد عليها التداولية في دراسة القصدية من الكلام وقوته التأثيرية. وتوصّلنا من خلالها إلى أنّ المتحاورون يعتمدون على أسلوب الحجاج لإثبات أفكارهم والتأثير من المتلقي سواء بإظهار القصد أو بتضمينه.

وقفنا بعد ذلك على مبحث القصدية وتطرقنا إلى مفهوم القصدية في اللغة الاصطلاح، إضافة إلى تطوره وخروجه من الفلسفة ليدخل حقل التداولية ورأينا أن القصدية برزت من خلال نظرية أفعال الكلام مع أوستن وسيرل من خلال الفعل الانجازي. ورأينا أن مفهومها متمركز عند غرايس من خلال نظرية الاستلزام الحواري وعند سبيربر وولسن من خلال أنموذج التواصل الإظهارى الاستدلالي الذي يقوم على مبدأ الصلة ويتكوّن من طبقتين من المقاصد، قصدية إخبارية تكون فيها الافتراضات التي يقدر المتكلم إيصالها ظاهرة وقصدية تواصلية يكون فيها القصد غير ظاهر، بحيث يترك المتكلم معلومات ذات صلة في الكلام، مشتركة بين طرفي التواصل، ليستدل بها المستمع على مقاصد المتكلم.

كما وضّحنا أنّ عملية تحليل المقاصد تقوم على التأويل والسياق، وهما عنصران أساسيان للوصول إلى القصدية سواء كانت إخبارية أو تواصلية. ثم ركّزنا على أنّ المترجم لا يحتاج للاستدلال على المقاصد إلى تأويل الملفوظات ومدلولاتها فقط بل يحتاج إلى التأويل التداولي لأنّ الترجمة عملية تأويلية بالدرجة الأولى. كما يحتاج المترجم في هذه العملية إلى الأخذ بعين الاعتبار السياق الذي أنتجت فيه المقاصد.

وفي آخر في مرحلة من هذا الفصل تطرقنا إلى علاقة أهمّ مباحث التداولية بالترجمة، وتوصلنا إلى أنّه كان للنظرية التداولية تأثيرا إيجابيا على عملية الترجمة وأنّ نظريات الترجمة التي نشأت في حضان التداولية هي الأكثر إثمارا، بحيث تساعد المترجم على

الوصول إلى ترجمة صحيحة متكافئة لأنها تكشف عن الجوانب اللغوية وغير اللغوية للنص، وتساعد المترجم على تبرير القرارات المتخذة أثناء الترجمة. وللتداولية مظاهر في الترجمة تتمثل في معيار القصدية ومعيار المقبولية وهما معياران يمكنان من معرفة قصدية الكاتب من النص وجعل النص المترجم مقبولا لدى جمهور ليس على دراية بثقافة وقواعد اللغة المصدر. وخلصنا إلى أن للترجمة التداولية استراتيجيات تقدم له الحلول عند مواجهته صعوبات في نقل المقاصد والمعاني الضمنية وتتمثل هذه الاستراتيجيات في التكافؤ التداولي والايضاح والتعويض والتضمين.

الفصل الثاني:

السخرية في النص وتجلياتها في

الترجمة

الفصل الثاني: السخرية في النص وتجلياتها في الترجمة

0.2. تمهيد الفصل:

يتناول هذا الفصل السخرية في النص وتجلياتها في الترجمة، مثلما يدل عليه العنوان. وبناء عليه، سنقوم أولاً بإدراج تعريف النص الساخر من خلال التطرق إلى تعريف السخرية بصفاتها أسلوباً في النص لغة واصطلاحاً. لنشير بعد ذلك إلى السخرية واضطراب ترجمة المصطلح كوننا وجدنا عدة مقابلات لمصطلح (Ironía) في اللغة العربية، لننتقل فيما بعد، إلى عملية تأويل السخرية من طرف القارئ لأن السخرية هي خطاب مزدوج الدلالة يحتاج تأويلاً دقيقاً لفهمه بالاعتماد على مؤشرات يتركها المؤلف في نصّه للتلميح إلى قصديته الحقيقية، وتتمثل هذه المؤشرات، كما أوردناها، في مؤشرات مصاحبة للكلام ومؤشرات نصية وسياق لساني وغير لساني.

بعد ذلك، سنتطرق إلى أنواع السخرية وسنحصرها، حسبما يخدم بحثنا، في السخرية السقراطية والسخرية الرومانسية والسخرية اللفظية والسخرية الموقفية. لنتناول بعدها السخرية عند الجاحظ التي تنقسم إلى سخرية فكاوية وأخرى انتقادية. ومن أجل التعمق في فهم السخرية عند الجاحظ، ارتأينا أن نقدّم خصائص السخرية عنده المتمثلة في التصوير الكاريكاتوري والتصوير النفسي والتصوير الواقعي. لنستعرض بعد ذلك أساليب السخرية عند الجاحظ من خلال كتاب البخلاء وهي التعريض والتورية والتهكم

والحوار الجدلي والقياس العقلي والردّ بالمثل والدعابة والتلميح والكناية والمبالغة والمغلطة والمفارقة والاستفهام الساخر.

وفي آخر خطوة في هذا الفصل، سنتوقّف عند ترجمة السخرية مُشيرين إلى أن ازدواج الدلالة في السخرية والغموض فيها يثيران التساؤل حول إمكانية نقلها وأن المترجم مطالب بفهم قصدية الكاتب من السخرية أولاً ثم نقل التأثير نفسه الموجود في النصّ الأصلي.

1.2. تعريف النصّ الساخر

عند الحديث عن النصّ الساخر فهذا يعني أننا نتكلم عن السخرية بوصفها أسلوباً فنياً في حد ذاته، حيث تتجلى السخرية في النصّ سواء كان شعرياً أو مسرحياً أو نثرياً

أوخطاباً، وهذا الأسلوب قد يرد في بعض الأجزاء من النصّ وقد يطغى في كثير من الأحيان على النصّ بأكمله ويعطيه قيماً وأبعاداً فكرية تحفظ بقاءه طويلاً.

إنّ التفكير الساخر قديم قدم الإنسان، فلقد كشفت الدّراسات والأبحاث الأثرية عن وجود "رسومات كاريكاتورية خلفها الإنسان القديم على جدران الأهرامات المصرية وكذا في أرجاء المعابد القديمة. نذكر من ذلك "بردية" مصرية قديمة بيد رسام ساخر مجهول عن طائر يصعد إلى الشجرة بواسطة سلّم خشبي" (واقف زاده، 1390هـ، ص 104). فمن خلال الرسم نستنتج أن السخرية كانت معروفة منذ الأزل، فرسم طائر يصعد

السلم هو مخالف للواقع الطبيعي، الأمر الذي جعل من الطائر موضعا للسخرية. ولطالما تضمنت النصوص بشتى أنواعها الفلسفية والأدبية والملحمية... الخ، السخرية نثرا وشعرا وخطابا، كما أنها اقترنت بالنقد الأدبي والفلسفي مما أدى إلى اللبس في تحديد مفهوم السخرية من الجانب التاريخي والغوي أو الاصطلاحي وكذا إحداث صراع بين التخصصات كالأدب والفلسفة فكل كان يحاول أن يربط مفهوم السخرية بتخصصه.

ولقد كان للسخرية حضور مشهود عند اليونان حيث وجدت للتعبير عن معارضة المواقف السياسية، " فمشكلة السخرية هي مشكلة سياسية وهذا ما هو موجود فعلا في فلسفة سقراط وأفلاطون اللذين اعتمدا على السخرية بوصفها موقفا يعبر عن استهجان الواقع، أحيانا بأسلوب التصريح النقدي الساخر أو بأسلوب التورية" (عبيس، 2016، ص 38)، وبهذا تجلّت السخرية عند اليونان في النقد السياسي، فكثيرا ما كانوا يعبرون عنها عن طريق الأعمال الأدبية كأعمال هوميروس ومسرحيات أريستوفاتيس الهزلية. (عبيس، 2016، ص 38).

وبالحديث عن ارتباط مفهوم السخرية بالفلسفة نتيجة تأثر الفلاسفة بمنهج وأسلوب سقراط في تبني السخرية، بوصفها وسيلة للبحث عن الذات الأصلية والذات المستقلة نسبيا في خضم الحالات النفسية والاجتماعية والسياسية، يذهب "كيركجارد" - Kierkegaard - إلى أنّ السخرية موجودة في الأعمال الجمالية بشكل خاص، وهو

يَدَّعي أنّ الحياة لا يمكن أن تكون أصيلة من دون سخرية، فعلى الفرد أولاً أن يعرف أنّ حياة الإنسان الأصيل لا يمكن أن تكون دون سخرية. وثانياً، عليه أن يتقن السخرية بحدودها وتعريفها واستقرارها وطابعها وسياقها، حتى يتمكن من تحقيق أهدافه منها (Kierkgard في عيبس، 2016، ص 68-69).

ويقصد "كيركجارد" - Kierkegaard - بإتقان السخرية، بمعنى "استعمالها كأداة وليس كغاية في حدّ ذاتها، بل استعمالها بطريقة رقابية لا عاطفية وهذا من أجل الحقيقة". (عيبس، 2016، ص 69).

إن استعمال السخرية كأداة يحمل دلالة غائية، أي استعمال السخرية لهدف معيّن، وغالبا ما يكون إصلاحياً وتصحيحياً وهي دلالة ارتبطت بمفهوم السخرية في اللّغة والأدب.

وبما أن السخرية ظاهرة لغوية فلا بد من أن نستعرض مفهومها اللّغوي من خلال المعاجم اللّغوية القديمة، حيث يجدالمتتبع لهذه المعاجم بأنّها لا تختلف كثيراً في دلالة مادة سخر، بل تكاد تكون نفسها. فنجد مادة "سخر" في معجم تهذيب اللّغة للأزهري أنّها تعني الهزأ والضحك والتسخير، بحيث يعرفها قائلاً: "يقال: سخر منه وبه - إذا تهزأ به، [...] والسُّخرة: الضحكة، فأما السُّخرة: فما تسخّرت من خادم أو دابة بلا أجر ولا ثمن [...]". (الأزهري، 1964، ج7، ص 167).

ولقد ورد هذا المعنى عند ابن فارس (1979، ج3، ص 144)، حيث يعرف مادة

"سخر" فيقول: "السَيْنُ والخَاءُ والزَّاءُ أصلٌ مُطَّرِدٌ مستقيمٌ يَدُلُّ على احتقار واستدلال.

ومن الباب سَخِرَتْ منه، إذ هَزَيْتَ به"

لقد جاء ابن فارس بمعنى الهزأ مثلما فعل الأزهري، إلا أن ابن فارس أضاف لمادة

سخر معنى الاحتقار والاستدلال.

وممن تبعهم في ذلك، نجد الفيروز أبادي (2008، ص 757) يقول: "وسخر منه وبه،

كفرح، سَخِرَا وسَخِرَا وسُخِرَةً ومسخرًا وسُخِرَا وسُخِرَا: هزىء، كاستسخر. والاسم:

السُّخْرِيَّةُ والسُّخْرِيُّ... وسَخَّرَهُ تسخيرًا: ذَلَّلَهُ"

كذلك الزمخشري (1998، ج 1، ص 443) يعرفها قائلاً: "سخر: فلان سُخِرَ سَخِرَةً:

يضحك منه النَّاسُ ويضحك منهم"

وجاء في الصحاح، "والتسخير أيضا التذليل". (الرازي، 1979، ص 122)

ولقد جاءت السخرية في معجم لسان العرب في مادة سخر بالمعنى الآتي:

سَخِرَ منه وبه سَخِرًا وسَخِرًا وَمَسَخِرًا وسُخِرًا، بالضم، وسُخِرَةً وسُخِرِيًّا وسُخِرِيًّا وسُخِرِيَّةً: هزى به [...] والتأنيث للكلمة. قال الأزهري: وقد يكون نعتاً كقولهم: هُم لك سُخِرِيٌّ وسُخِرِيَّةٌ، من ذَكَرَ قال سُخِرِيًّا، ومن أنثَ قال سُخِرِيَّةً. الفراء: يقال سَخِرْتُ منه، ولا يقال سَخِرْتُ به. قال الله تعالى: لا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ. وسَخِرْتُ من فلان هي اللغة الفصيحة. وقال تعالى: فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ، وقال: إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ؛ وقال الأَخْفَشُ: سَخِرْتُ مِنْهُ وسَخِرْتُ بِهِ، وَصَحِكْتُ مِنْهُ وَضَحِكْتُ بِهِ، وَهَزَيْتُ مِنْهُ وَهَزَيْتُ بِهِ؛ كُلُّ يُقَالُ، وَالاسْمُ السُّخْرِيَّةُ وَالسُّخْرِيُّ وَالسُّخْرِيُّ، وَالسُّخْرَةُ: الصُّحْكَةُ. وَرَجُلٌ سُخْرَةٌ: يَسْخَرُ بِالنَّاسِ، وَفِي التَّهْدِيبِ: يَسْخَرُ مِنَ النَّاسِ. وَسُخْرَةٌ:

يُسَخَّرُ منه، وكذلك سُخْرِيّ وسُخْرِيَّة؛ من نكَّره كسر السين، ومن أنثه ضمها إذا استهزأ. (ابن منظور، د.ت، مج 4، ص 352-353)

نتوصّل من خلال ما عرضناه من تعريفات لمادة "سَخَّرَ" في المعاجم العربية القديمة، إلى أنّ جلّ هذه التعريفات اتفقت على أنّ دلالة السخرية تتطوي على معنى الهزأ والضحك والتسخير والاحتقار والتذليل. ولعلهم اتخذوا الأزهري مرجعا لتعريف مادة "سخر"، ونستنتج بذلك أنّ الأزهري هو من وضع الإطار المعجمي للسخرية، والدليل على ذلك أنّ المعاجم من بعده لم تأتي بمعاني جديدة. ولقد ركزت هذه المعاجم على المعنى اللغوي للسخرية لا غير.

إنّ ما يقابل السخرية في اللغة الإسبانية هو (Ironía) ولقد جاء تعريف السخرية في القواميس الإسبانية اصطلاحا أكثر ما هو لغة، حيث ورد شرحها في قاموس اللغة الإسبانية للأكاديمية الملكية كالاتي:

1. Burla fina y disimulada.
 2. Tono burlón con que se expresa ironía.
 3. Expresión que da a entender algo contrario o diferente de lo que se dice, generalmente como burla disimulada.
- (Diccionario de la lengua española, 2019, "ironía")

- السخرية:1. تهكم رقيق مخفي
 2. نبرة تهكمية تعبر عن السخرية
 3. هي تعبير يفهم منه ما هو مخالف أو مختلف عما يقال، وعادة ما يشمل معنى التهكم المخفي
- [ترجمتنا]

حيث جاءت السخرية في قاموس اللغة الإسبانية بمعنى التهكم غير الظاهر، كما ركز التعريف على مفهوم المخالفة أي قول عكس الشيء.

وجاء في القاموس اللغوي لـ "كاريتير" - Carreter - (2008، " ironía ") على أنّها:

Figura retórica que consiste en expresar, dentro de un enunciado formal serio, un contenido burlesco.

أسلوب بلاغي يتمثل في التعبير عن محتوى تهكمي عن طريق خطاب رسمي (ترجمتنا)

يرى "كاريتير" - Carreter - أن السخرية هي أسلوب بلاغي يعبر فيه عن التهكم بطريقة غير مباشرة أي أن يكون الخطاب رسمياً لكن يحتوي على التهكم. ولكن أن يكون الخطاب رسمياً ويحتوي على التهكم لا يكون دائماً سخرية، فيمكن أن نتحدث عن تهكم ضمن خطاب رسمي لكن لا نريد بذلك السخرية وإنما التطرق للمزاح والدعابة فقط.

أما في قاموس الاستعمال الإسباني لـ "مولينر" - Moliner - (مولينر، 2007، "ironía") جاءت السخرية على أنّها:

Manera de expresar una cosa, que consiste en decir, en forma o con entonación que no deja lugar a duda sobre el verdadero sentido, lo contrario de la cosa.

طريقة في التعبير عن الشيء، والتي تتمثل في قول عكس الشيء بشكل أو بنبوة لا تترك مجالاً للشك حول المعنى الحقيقي (ترجمتنا)

تذهب "مولينر" - Moliner - إلى أنّ السخرية هي قول عكس الشيء مثلما، وأشارت أيضاً إلى أن الخطاب لا يجب أن يترك مجالاً للشك حول المعنى الحقيقي، لكن، حتى تكون هناك سخرية، لا بد أن يكون مفهوم القصد غير المباشر وخفياً بعض الشيء.

نلاحظ من خلال المعنى الذي أوردته القواميس الإسبانية، أنّ معنى السخرية في اللغة يشتمل على معنى التهكم وقلب للمعنى.

وقد يصعب تحديد دلالة مفهوم السخرية وتعريفها بوصفها أسلوباً، تعريفاً جامعاً مانعاً والسبب وراء ذلك يكمن في أنّ دلالة مفهوم السخرية لقي تبايناً وتضارباً وتكراراً في الدراسات النقدية والبلاغية والمعاجم وهذا التباين يرجع إلى كون السخرية تتداخل مع كثير من الأساليب كالتهميم والهزل والاستهزاء والدعابة والفكاهة والهجاء وغير ذلك من الأساليب الفكاهية وأنها تحمل في اللغة والأدب العديد من الدلالات والصيغ المختلفة، وهذا ما ذكره رائد عبيس (2016، ص 29) في قوله:

والسخرية في الأدب واللغة لها دلالات وصيغ مختلفة مثل الاستهزام الساخر والأمر الساخر والنداء الساخر والنهي الساخر والتشبيه الساخر والاستعارة الساخرة والكناية الساخرة والاستطراد الساخر والتهميم الساخر والتجاهل الساخر والاقْتِباس الساخر والتضمين الساخر وغيرها من معاني وإشارات ساخرة يعبر عنها شعراً ونثراً.

ما من باحثٍ في حدود بحثنا-توصل إلى إعطاء تعريف جامع لأسلوب السخرية. وفي هذا الأمر صرّح الفيلسوف أدلر (آدلر في طه، 1978، ص 10) عند تطرقه للسخرية بصعوبة تعريفها عندما قال: "ولست مقتنعاً إلى اليوم بأي تعريف لها فيما قرأته إلى الآن".

وليس الفيلسوف أدلر فقط من صرّح بصعوبة تعريف للسخرية، حيث نجد "دي مان"-

De Man - بدوره يتحدّث عن صعوبة إعطاء تعريف للسخرية خلال محاضرة ألقاها

حول مفهوم السخرية، حيث يقول:

[...] si la ironía fuera concepto, entonces debería ser posible dar una definición de la ironía. Si se mira los aspectos históricos de este problema, parecemisteriosamente difícil dar una definición de la ironía, aunque más adelante, en el curso de esta conferencia,

trataré de dar una definición, si bien ello no lehará entenderla mejor. Parece imposible conseguir una definición[...] (De Man en Abdel Lafif, 2013, p. 38)

إذا كانت السخرية عبارة عن مفهوم، فينبغي أن يكون من الممكن إعطاء تعريف للسخرية. لكن إذا نظر المرء إلى الجوانب التاريخية لهذه المشكلة، فسيبدو من الصعب إعطاء تعريف للسخرية، على الرغم من أنني سأحاول إعطاءها تعريف، في وقت لاحق خلال المحاضرة، لكن هذا التعريف لن يسهل من فهمها فهما أفضل. لهذا يبدو من المستحيل الحصول على تعريف لها [ترجمتنا]

وتشير "راوس" -Raus- (2007، ص 06) في مقال لها عن صعوبة تحديد مفهوم

السخرية مصرحة بأنه:

Il est difficile et même restrictif d'essayer de cerner les contours sémantiques de cette notion, d'abord parceque tout paradigme définitoire résulterait fortement réductif par rapport à l'extraordinaire variété des données d'analyse réelles, ensuite parce-que l'ironie étant une notion interdisciplinaire, elle est à plus forte raison fortement hétérogène.

ويذهب الباحثون إلى أن اضطراب مفهوم السخرية راجع لعدة أسباب، وقد عبّر "مويك"

- Muecke - (مويك في العمري، 2012، ص 83) عن هذا الاضطراب قائلاً:

لأسباب مختلفة، بقي مفهوم السخرية مفهوماً غير مستقر، مطاطاً وغامضاً. فهو لا يعني اليوم ما كان يعنيه في القرون السابقة، ولا يعني نفس الشيء من بلد إلى آخر، وهو في الشارع غيره في المكتبة، وغيره عند المؤرخ والناقد الأدبي. فيمكن أن يتفق ناقدان أدبيان اتفاقاً كاملاً في تقديرهما للعمل الأدبي، غير أن أحدهما قد يدعوه عملاً ساخراً، في حين يدعوه الثاني عملاً هجائياً أو هزلياً أو فكاهياً أو مفارقاً أو غامضاً.

ويقول المازني (1999، ص 309) بعد تعريف موجز للسخرية: "[...] ولسنا نظن أننا

أحطنا في هذا التعريف بكل ما ينبغي أن يحاط به، أو أقمنا كل المعالم والحدود".

وبالتالي، نجد أنه من الصعب إقامة معالم وحدود لمفهوم السخرية لأنه يختلف من أديب لآخر ومن ناقد لآخر، حتى من شخص لآخر. ونجد أنّ مدلول مفهوم السخرية يكون متداخلا مع مفاهيم أخرى تكون أقرب إليه في الدلالة أو تكون لصيقة به. وعلى الرغم من صعوبة تحديد مفهوم السخرية إلا أنّ الباحثين والدارسين حاولوا إعطاء مفهوما للسخرية، فهناك من أدخلها في حقل البلاغة باعتبارها وصفا للكلام مثلما ورد في معجم المصطلحات في اللغة والأدب على أنّها "طريقة في الكلام يعبر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل كقولك للبخيل (ما أكرمك!)، وهناك صورة أخرى للسخرية هي التعبير عن تحسر الشخص عن نفسه كقول البائس (ما أسعدني!)". (وهبة والمهندس، 1984، ص 198).

وبهذا تكون السخرية، باعتبارها وصفا للكلام، هي قول عكس ما يقصده الشخص ويكون القصد خفياً وراء الألفاظ فقولك للبخيل "ما أكرمك!"، يكون للدلالة على السخرية من شدة بخله، وهنا تأتي السخرية في صيغة المدح المراد به الذم. ويكون قول البائس "ما أسعدني!"، دلالة على السخرية من وضعه.

أمّا التنوخي (1999، ص 522) فقد أخرج السخرية من السياق البلاغي ليدخلها في السياق النقدي، مشيراً إلى أنّها "نوع من الأسلوب الهازئ الذي لا يستخدم فيه الأسلوب الجدّي أو المعنى الواقعي، بعضه أو كلّه بأن يتبع المتكلم طريقة في عرض الحديث

بعكس ما يمكن أن يقال، وهو أسلوب شائع بين العامة والأدباء على السواء وقدموه بشكل ساخر".

على الرغم من أن التتوخي وضع السخرية في حقل النقد بوصفها أسلوباً ضمن الخطاب إلا أنه لم يستغن على المعنى اللغوي للسخرية والمتمثل في معنى الاستهزاء. وهناك من ذهب بتعريف السخرية إلى الأصول الفلسفية لها مثلما ورد في المعجم الأدبي على أنها: "نوع من الهزأ قوامه الامتناع عن إسباغ المعنى الواقعي كله على الكلمات والإيحاء عن طريق أسلوب وإلقاء الكلام بعكس ما يقال، وتتركز على طريقة في طرح الأسئلة مع التظاهر بالجهل وقول شيء في معرض آخر" (جبور، 1979، ص138)

اعتمد جبور في تعريفه على الأصول الأولى لأسلوب السخرية الذي جاء مع سقراط والذي كان يعتمد التظاهر بالجهل وطرح الأسئلة لكشف المعرفة عند الآخرين.

ويعرفها الألويسي (القرطبي في الألويسي، د.ت، ج26، ص 152) قائلاً: "السخرية: الاستحراق والاستهانة والتنبية على العيوب والنقائص بوجه يضحك منه، وقد تكون بالمحاكاة بالفعل والقول أو الإشارة أو الإيماء أو الضحك على كلام المسخور منه إذا تخبط فيه أو غلط، أو على صنعته وقبح صورته".

ركّز الألويسي في تعريفه للسخرية على جانب الاستحراق والإشارة إلى العيوب بطريقة مثيرة للضحك ولقد عدّ بعض طرق السخرية كالمحاكاة والقول والإشارة أو الإيماء، لكنّه

أغفل في تعريفه الجانب الذي قد تعبر فيه السخرية عن حقيقة نفسية واجتماعية وسياسية وفكرية مرتبطة بالإنسان والواقع الذي يعيش فيه.

ويصف العوبي (2012، ص07) السخرية بأنها:

تفيد نسبة عيب إلى شخص أو تفخيم عيب في شخص لغرض التهذيب والإصلاح ليبراً منه أو من بعضه أو ليخالفه إن لم يكن فيه ولهذافهي -فضلا عن كونها أداة للتسلية-وسيلة لخدمة الفرد والمجتمع لما فيها من تهذيب وتقويم وإصلاح وتطهير، لأنها تتضمن نوعا من الزجر أو الردع، إلا أنّها أقلّ منه وقعا ومع هذا فهي تحبب إلينا الحياة إنها تكسوها بثوب قشيب، وتزود النفوس والعقول والأذواق بثقافة وافرة صادرة عن عقل واع دقيق، يدرك النظائر والفروق ويحملها على محمل الذوق الرفيع والإدراك السامي.

وفي هذا التعريف إشارة إلى الغرض الإيجابي الذي تتطوي عليه السخرية ألا وهو التهذيب. كما أنّها وسيلة لإصلاح المجتمع.

ويعرف بوحجام السخرية (2004، ص 32) على أنّها:

طريقة فنيّة أدبية ذكية لبقّة في الإبانة عن آراء ومواقف ذات رؤية خاصة، وبصيغة فنيّة متميّزة، وهي أسلوب نقدي هازئ، هادف في التعبير عن أفعال معيّنة كعدم الرضا بتناقضات الحياة وتصرفات النّاس وكشف الحسرة والمرارة بطريقة غير مباشرة بعيدا عن العاطفة الجامحة والانفعال الحاد قصد الإصلاح والتقويم والتغيير نحو الأحسن، وطلبا للتنفيس عن الآلام المكبوتة.

إنّ هذا التعريف قريب من تعريف العوبي، فهو يرى أنّ السخرية هي أسلوب غير مباشر، يوظف صاحبها الأسلوب النقدي بطريقة ذكية بغية الوصول إلى هدف معيّن وهو التقويم والإصلاح والتغيير وإعادة التوازن للنفس البشرية عن طريق التنفيس عن الآلام المكبوتة.

ويقول الهوال (1982، ص 16) أنه:

يمكننا أن نتصور السخرية وهي تعني الضحك والاستهزاء والتهكم وهو الاستخفاف بالشيء والعبث الهادف به. إنها تثير الضحك في الهزل أو غير الهزل، لأنها كثيرا ما توحى الجدية رغم ظاهرها الضاحك_ فتوجه اهتماما خاصا إلى عيب ما، تجسم هذا العيب وتبالغ فيه تسعى إلى إبرازه بوسائل عديدة [...] وهي نوع من الضحك الكلامي أو التصويري الذي يعتمد على العبارات البسيطة أو على الصورة الكلامية، مع التركيز على النقاط المثيرة فيها.

ويقول الهوال في السخرية أيضا (1982، ص ص 18-19):

وتثير السخرية بالكلام وطريقة تركيبه ضحكا أو ابتساما، كما تثير ذلك بالألوان والصور والرسوم والحركات، وحين تسخر فإنما تصور وتنتقد تصلبا شادا، أو ذهولا عن الحياة وما فيها من نظم وأساليب، أو تتافرا مع قوانين الطبيعة، وتبرزه بطريقة خاصة، كاللعب بالألفاظ، أو المبالغة، أو المقارنة بين عامل ما ونتيجة له لم تكن متوقعة أو غير ذلك. وحين نسخر بهذه الطريقة الفكاهة... فإننا نرسم صورة مضحكة فيها لدغ وفيها تهكم شديد أو ضعيف.

تطرق الهوال من خلال هذا المفهوم إلى خصائص السخرية، فهي تأتي كوسيلة للضحك والترويح عن النفس حتى وإن تحلت بطابع الجدية، وهي تأتي في شكل تصوير حسي كاريكاتوري أو قصصي يهدف إلى التفكه والنقد في آن واحد، كما يرى بأنها تتراوح بين الجد والهزل وهي تجسد معاناة الناس والامهم بطابع هزلي مضحك وفكه، وهذا بالضبط ما جاء به الجاحظ في بخلائه، كما سنرى لاحقا.

ويعرف طه السخرية (1978، ص 09) قائلا:

النقد الضاحك أو التجريح الهازئ، وغرض الساخر هو النقد أولا والإضحاك ثانيا، وهو تصوير الإنسان تصويرا مضحكا، إما بوضعه في صورة مضحكة بواسطة التشويه

الذي لا يصل إلى حد الإيلام، أو تكبير العيوب الجسمية أو العضوية أو الحركية أو العقلية أو ما فيه من عيوب حين سلوكه مع المجتمع، وكل ذلك بطريقة خاصة غير مباشرة".

تناول "طه" جانبيين من جوانب السخرية ألا وهما النقد والضحك ولكن بالنسبة له، يفوق النقد الضحك مرتبة لأن الهدف الحقيقي وراء السخرية ليس الضحك وإنما هو تصوير واقع أليم بطريقة غير مباشرة، وقد يُوظف أسلوب السخرية بغرض التجريح والتهزأ لكنه لا يصل إلى حد الإيلام والهدف منه التقويم والإصلاح.

وحاول حفني (1992، ص11) إعطاء السخرية تعريفاً آخر مركزاً على مضمونها حيث يقول:

أما مضمون السخرية فمهما يكن نوعه أو شأنه فهو سلاح، بمعنى أنه سلاح يوجهه الساخر نحو الشخص الذي يسخر منه، أو الموضوع الذي يوجه إليه السخرية، وهذا السلاح مصوغ في أسلوب قد تشدّد حدّته وقد تلين، ولكنّه في كل الأحوال محاط بهذا الغلاف المحبب إلى النفوس، وهو غلاف الفكاهة، أو التصوير الطريف الذي يجد طريقه إلى القلوب في يسر وسهولة. فهو سلاح من أسلحة الحرب النفسية، ولكنّه من أشدّ أسلحتها خطورة وتأثيراً، فالسخرية في حقيقتها إذن سلاح لا يتصور إلا في موقف العداة والخصومة، بصرف النظر عن درجة العداة والخصومة.

من خلال هذا التعريف نجد أن حفني أعطى للسخرية طابعاً عدائياً رغم أنّها لا تتميز بالعداء دائماً، إلا إذا اقترنت بالهجاء، بل السخرية نقدية غايتها تقويمية وإصلاحية ويمكن أن تتميز في بعض الأحيان بطابع عدائي نوعاً ما لكنه هادف، إلا أنّها ليست عدائية مهما كانت دوافعها كما ذكر إلا إذا أخذها من زاوية المسخور منه، بحيث

يمكن للمسخور منه أن يأخذ السخرية على أنها عدائية لانفعال نفسي في داخله لا غير.

ويعرف شاكر (2003، ص51) السخرية كالاتي:

السخرية نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي الذي يقوم على أساس انتقاء الرذائل والحماقات والنقائص الإنسانية فردية كانت أم جماعية، وكأنها عملية رصدٍ ومراقبةٍ لها، وتكون في أساليب خاصة منها التهكم أو الهزل أو الإضحاك، كل ذلك في سبيل لتخلص من خصال وخصائص سلبية.

ونلاحظ في هذا التعريف أنه ركز على الجانب الإيجابي للسخرية الذي يتمثل في التخلص من النقائص الإنسانية والرذائل والحماقات بأسلوب تهكمي هزلي مضحك.

ونجد كذلك صليبيا(1982،ص 356) قد أورد تعريفا للتهكم والمراد به السخرية حيث يقول:

[...] أما عند المحدثين فهي تعد طريقة من طرق البلاغة، بمعنى أن تريد شيئاً وتظهر غيره، أي أن تعبر عما تريد قوله بقول مضاد له فتجيء بالذم في قالب المدح، أو بالجد في قالب المزح، أو بالحق في قالب الباطل. والغرض من هذا التعبير المخالف للحقيقة تقويم السلوك بطريقة الفكاهة، وسرعة البديهة، لأن النفوس تستعذب الجد الذي يعرض عليها بثوب الهزل.

تتجلى القصدية الحقيقية للسخرية في الهدف الإصلاحى الجدى، لكن يكون ذلك في ثوب هزلي. كما أشار عبيس (2016، ص 29) إلى أن مُلقي السخرية لابد من أن يتسم بسرعة البديهة والذكاء الحاد حتى يتمكن منه، مستدلاً بذلك على قول "إسبر" "الأدب الساخر لون صعب الأداء يتطلب موهبة خاصة وذكاء حادا وبديهة حاضرة.

ويؤكد ذلك طه (1978، ص 12) قائلاً:

كما أن الساخر يجب أن يكون قوي الأعصاب، يحمل في طياته روح -اللامبالاة، أو المجون، كذلك لابد له من أن يكون على قدر كبير من الذكاء وقوة المخيلة أو الخيال الهازل الذي يمكنه من اقتناص أو ابتداء الصور النادرة التي يستطيع بها إغاطة خصمه من جهة، وإضحاك نفسه والناس منه، من جهة أخرى.

لم تُعط التعريفات والمفاهيم السابقة تعريفاً مانعاً جامعاً لأسلوب السخرية ولم تُحط بالجوهر الحقيقي للسخرية وإنما لاحظنا أنّ لكلّ منهم شأن في تعريفها، فمنهم من يذكر شكلاً من أشكالها أو يسرد أساليبها أو عناصرها أو يشير إلى معانٍ تتطوي تحت أسلوب السخرية كالتهكم والاستهزاء والهزل وغير ذلك من المعاني أو يشير إلى الغاية التي ترتبط بها السخرية والتي تتمثل في النقد والإصلاح. وأنّ السخرية في تعريفها على أنّها قلب للمعناؤ قول عكس الشيء، يُبقي السخرية في الإطار اللفظي فقط ولا يعطي لمفهومها حقّه فهي أعمق من ذلك بكثير، لأنّها تجمع العديد من الأساليب وتتداخل مع عدة مجالات وتجتمع فيها العديد من المعايير مثل قصدية المتكلم والوعي عند المتلقي، بالإضافة إلى السياق اللساني الذي يتجاوز المعنى الحرفي.

ولدراسة السخرية لابدّ ألاّ نحصرها في مجال واحد فهي تتداخل مع عدّة مجالات وتتطوي على عدّة أساليب ونجد "شارودو ومنجونو" - Maingueneau &

Charaudeau (2002، ص 330) يعرفان السخرية كمايلي:

La réflexion sur l'ironie accompagne la philosophie depuis ses origines et la rhétorique la décrit traditionnellement comme un trope qui consiste à dire le contraire de ce qu'on veut faire comprendre au destinataire. Dans l'ironie, il y a en effet non prise

en charge de l'énonciation par le locuteur et discordance par rapport à la parole attendu dans tel type de situation. C'est donc un phénomène foncièrement contextuel dont les composantes interactionnelles et paraverbales sont fortes, cela explique l'intérêt qu'il suscite chez les tenants des courants pragmatiques.

وبالنظر إلى هذا التعريف، نجد أنّ القاموس قد وسع مفهوم السخرية، حيث نقله من المفهوم البلاغي الضيق، الذي يعتبر السخرية صيغة مجازية تتمثل في قول عكس المعنى، إلى المفهوم السياقي، ذلك كون السخرية، داخل إطار السياق، تضم مكونات تفاعلية وشبه لغوية قوية، وأصبح ينظر للسخرية بهذا المفهوم من وجهة نظر تداولية. ومن أشهر الباحثين التداوليين الذين اهتموا بصيغ الكلام غير المباشرة التي تضمّ السخرية بوصفها أسلوباً، نجد "غرايس" - Grice - رائد نظرية الاستلزام الحوارية، الذي أشار إلى أنّ السخرية تنتج عن خرق إحدى مسلمات المحادثة (las maximas conversacionales).

لكن حسب "شارودو ومانجونو"-Charaudeau&Maingueneau-(2002، ص331) مازالت "القيمة التداولية لهذا الخرق محل نقاش".

ومن بين من تناول السخرية بالنقد، "أوريكيوني"- Orecchioni-، حيث تطرقت إليها في معظم كتاباتها، وميّزت بين الكذب والسخرية قائلة (1984، ص134): "Ironiser, c'est dire le "contraire de ce qu'on veut faire entendre", et "non"dire le "contraire de ce qu'on pense". ولقد أضافت محللة لهذا القول أنّ الكذب هو أن تقول "أ" وتفكر في غير "أ" وتريد أن تُسمع "أ" أما السخرية فهي أن تقول "أ" وتفكر في غير

"أ" وتريد أن تُسمع غير "أ"، فالمتكلم الذي يكذب يعمل جاهدا على أن يحوو وبغناية كل قرائن كذبه بينما المتكلم الساخر يعمل جاهدا لإيجاد قرائن تدل على عدم صدقه، حتى وإن كانت خفية أو يصعب إدراكها. لكن شبشوب (2016، ص76) ترى بأن:

تعريف أوريكيوني للسخرية من خلال مقارنتها بالكذب لا يرتبط بكل أنواع السخرية، فقد بينت هذه الباحثة أنّ السخرية ترتبط بمبدأين تصنيفيين متنافرين لأنها تتأسس على عنصر تخاطبيوعنصر لساني صرف. وهي بمقتضى الأول تهاجم وتعنف وتفضح وترمي إلى هدف، وبمقتضى الثاني تعتمد سلوكا لسانيا هو قلب المعنى.

فإذا أخذنا السخرية من باب عنصرها التخاطبي، يعني أننا سنتعامل مع معان هجومية لكنها هادفة، أما إذا نظرنا إلى عنصرها اللساني، فهذا يعني أنّها قلب للمعنى أي قول عكس ما نقصد وهو لب السخرية.

كما ربطت "أوريكيوني" - Orecchioni (أوريكيوني في حمو الحاج، 2013، ص 23) السخرية بالمجاز، لأنه "يوجد مجازات لا تلتقي إلا في الصيغة المعجمية، وهناك مجازات أخرى دعيت بمجازات إبداعية [...] والأمر نفسه بالنسبة للسخرية، حيث إذا كانت بعض العبارات مستعملة باستمرار وبطريقة متضادة يمكن اعتبارها نوعا من السخرية".

وتقول حمو الحاج (2013، ص23) معقبة على قول "أوريكيوني" - Orecchioni - أنه " بتقبل مفهوم المجاز، تفترض "أوريكيوني" - Orecchioni -الكشف عن جدوى بعض المفاهيم مثل: المعيار، القصدية، المرجع الخطابى وعودتها إلى الاستعارة، هي العودة

إلى التحليل الذي يركز على الكلمة، ورفضها للسخرية التي تتجاوز بعد الكلمة أو المقطع، فهي إذن ترفض السخرية المقامية والسخرية التي تقحم النص بكامله".

وإن كانت السخرية مجازاً، فإن "أوريكيوني" - Orecchioni - تصنّف المجازات على أساس نوعين من المعنى، وبذلك فهي تقابل المجازات الدلالية بالمجازات التداولية، ومن ثمّ فهي تتحدث عن السخرية من كونها مجازات دلالية-تداولية. والمعنى التداولي هو المعنى الحقيقي، ذلك أن العلاقة بين المعنى الحرفي والمعنى الانزياحي أو المعنى

التداولي هي علاقة التقابل الدلالي. (حمو الحاج، 2013، ص 24)

وتُعرّف "أوريكيوني" - Orecchioni - السخرية أيضاً على أنّها:

Un trope sémantico-pragmatique qui se constitue d'une antiphrase tout en prenant en considération l'acte de moquerie. Dans cette approche, l'ironie actualise simultanément deux niveaux: le niveau des indices cotextuels (qui sont repérables à partir du cotexte linguistique) et le niveau des indices contextuels (qui sont repérables à partir du contexte extralinguistique).

(Orecchioni dans Bors, 2009, p. 12)

لم تقف "أركيوني" - Orecchioni - على عكس المعنى في الحرف أو الجملة فقط وإنما ركزت على جانبيين مهمين ألا وهما السياق اللساني النصي والسياق الخارج لساني. وقد أكدت "أركيوني" - Orecchioni - على قيمة السياق اللساني في تحديد المواقف الساخرة، فحين يتضمن النص مقطعين متناقضين، نخضع أحدهما للقلب الساخر حتى نمتص العاهة، كما أشارت إلى السياق خارج اللساني الذي قد يتجسد في التقابل بين الأقوال وبين ما نعرفه عن المرجع الموصوف، كأن نقول: " ما أجمل الطقس" فإذا كان

المتلقي حاضرا ويكتشف أن الجملة لا تتماشى مع الأحوال الجوية، أي إذا قيلت في يوم ممطر على سبيل المثال، فغالبا ما يؤولها المتلقي تأويلا ساخرا. وقد يتجسد هذا السياق خارج اللساني بوجود تناقض بين الأقوال وما نعرفه، أو نحسب أننا نعرفه، عن المتكلم ومنظومته القيمية (شيشوب، 2016، ص77).

وركزت "أوريكيوني" - Orecchioni - في دراستها للسخرية إلى مستوى التلفظ وترى أنها تضم خمسة مكونات أساسية (أوريكيوني في موهاب 2014، صص 21-22) ألا وهي:

- مكونة إنشائية، وترى "أركيوني" - Orecchioni - أن "السخرية تهاجم وتعتدي وتندد وتستهدف هدفا، كما أنها مرتبطة [...] بتقابل الأفكار والجدل، مما يعني وجود حالة اتصال ووجود محلل للرمز.

- مكونة لسانية، لأنّ السخرية هي نشاط بين متكلمين وهي عبارة عن ترميز يليه فك رموز دال واحد ينطوي على مدلولين اثنين.

- مكونة فاعلة، وتقدم "أركيوني" - Orecchioni - في ذلك مخططا صغيرا لفعل القول مكونا من ثلاثة عناصر:

- الفاعل 1: المتكلم
- الفاعل 2: المستمع
- الفاعل 3: المستهدف

- محور الابتعاد، ويُقصد بذلك ضرورة الابتعاد عن المعنى الحرفي لفهم المعنى الحقيقي المقصود

- الغموض الضروري، وذلك لأنّ الغموض خاصية أساسية من خصائص السخرية، ولكن لا يجب المبالغة فيه إذ لا بد من وجود حد أدنى من الشفافية.

إن السخرية عند "أوريكيوني" -Orecchioni- تعتمد على المتكلم والمستمع والمستهدف وبهذا إشارة إلى أنّ السخرية عندها قائمة على التلفظ أي الجانب التخاطبي، بيد أنّه يمكننا استبدال المتكلم بالكاتب والمستمع بالقارئ عند الحديث عن السخرية داخل النصّ الأدبي. كما ترى "أوريكيوني" -Orecchioni- أنّ السخرية تكون ذات طابع هجومي، لكن قد تكون لطيفة هادفة ولا تأتي دائما في طابع هجومي. ولتحليل السخرية لابد من فك شيفرة الدال الذي ينطوي على مدلولين، فالمدلول الأول يكون واضحا وصريحا أما المدلول الثاني يكون مضمرا ويحمل القصدية من السخرية، وللوصول إلى فهم السخرية لابد من الاعتماد على تحليل علاقة التضاد الموجودة بين المدلولين وذلك من خلال ما يعرف بالقلب الدلالي.

كما تجد أوريكيوني " -Orecchioni- أنّه يجب على القارئ أو المتلقي أن يبتعد عن المعنى الحرفي الذي تأتي فيه الصيغة الساخرة ليتسنى له الوصول إلى المعنى المقصود من السخرية. ولابد على المرسل (الكاتب) أن يتجنّب المبالغة في الغموض، فالغموض المبالغ فيه يحول دون الانتباه إلى وجود السخرية من طرف المتلقي.

وبما أننا بصدد دراسة السخرية في إطار النص، وعلى الرغم من أنّ "أوريكيوني-Orecchioni"- ركّزت على السخرية في جانبها التخاطبي التلفظي، إلا أنّنا نرى أنّ ما جاءت به أوريكيوني-Orecchioni- يمكن تطبيقه على السخرية النصية وذلك لاعتبار أنّ السخرية فعل لغوي، وأنّها تكون في إطار القول، والقول يكون إما متلفظاً أو مكتوباً.

وترى "هيوتشون" -Hutcheon- أنّه بالتركيز على البعد التداولي للسخرية لابد أن ننظر إلى ما هو أبعد من النصّ وتقول في ذلك: " الشيء الذي يتفق حوله المنظرون للسخرية هو وجوب قراءة النصّ الساخر خارج النصّ ذاته، نحو تفكيك القصد التقديري لسخرية المخاطب" (هيوتشون في حمو الحاج، 2013، ص 24)

وبهذا ينبغي، لقراءة السخرية، أن نستند إلى ما هو أبعد من النصّ، بمعنى الاستعانة بالسياق غير اللغوي حتى يُفكّك القول الساخر نظراً لاحتماله البعد الضمني الذي يؤطر السخرية. (حمو الحاج، 2013، ص: 24)

وتذهب "جماعة مو"-GroupeMU- إلى أن السياق اللغوي وغير اللغوي ضروريان للتعرف على الخطاب الساخر وإدراكه وفي هذا يرون أنّ: "السياق اللغوي والسياق غير اللغوي هما اللذان يسمحان بإدراك المفارقة" (جماعة مو في حمو الحاج، 2013، ص 26).

وللتمكن من تحديد ما يقوله المخاطب كان لابد من النظر إلى السياق الذي جاء فيه الخطاب سواء كان لغويا أو غير لغوي والنظر إلى الإشارات ما وراء نصية التي تساهم في فهم الملفوظات الساخرة.

إن السياق الذي تأتي فيه السخرية هو سياق غير مستقر لأن لغتها غير مستقرة، في الأصل، لذلك يمكن أن تتجاوز المعنى المقصود كثيرا، وتقول "هيوتشون" - Hutcheon- في هذا المضمار أن:

"السخرية يجب أن تتجاوز قرارات السياق البسيطة وتحدد الفرق بين نصوص السخرية المقدمة والتي هي خلافا للمعنى بين استعمالات اللغة في سياق مستقروهذا خلافا للغة المستقرة - لغة السخرية لغة غير مستقرة. من هذا يتضح أن السخرية إذا كانت مقترنة مع السياق، فإنها لا محال متغيرة على وفق الإستعمال السياقي، فقوتها تعتمد على (الموقف واللغة والمعنى). (هيوتشون في عبيس، 2013، ص76)

وبالتوقف عند المعنى، تضع "هيوتشون" - Hutcheon- السخرية بوصفها معنى الكلام في صلب نظريات فعل الكلام اللغوي أو البحث عن سلوكيات الكلام، بكونه مجموعة مفردات وعبارات مشتملة على مجموعة من حروف، أو البحث عما وراء العناصر المكونة لتلك الكلمة أو الجملة. فضلا عن البحث في طبيعة هذا الكلام كونه نصا أو بحثا عما وراء القصدية أو التأويل. والسخرية بهذا المعنى لها الحق في اختراق لغة التفكير، من أجل البحث عما يثيرها وما يجعلها تثبتُ موقفا تجاه تلك المواقف بقراءاتها المختلفة. (هيوتشن في عبيس، 2013، ص81).

تدخل السخرية ضمن نظرية أفعال الكلام غير المباشرة وذلك لأنها تحمل في طياتها دلالات ومقاصد خفية ومضمرة، وللوصول إلى تلك المقاصد كان لابد من تقصي ذلك الكلام وتأويله. ولقد أهتم "سيرل" -Searle- بأنواع الكلام هذه وخصّها بالدرس ضمن السياق مثل السخرية والاستعارة. وحسب "سيرل" -Searle- فإن السخرية بوصفها فعلا للكلام " لديها إمكانية التعرف على معنى الجملة التي يمكن أن تحددتها خلفية الافتراضات السياقية، فالمعنى يعتمد على الاتفاقيات والافتراضات المحددة، ووفق هذه الاتفاقيات يتحدد معنى الكلام والسياق ليحضى باعتراف واضح" (سيرل في عبيس، 2013، ص83)، وبهذا فإنّ السياق هو الذي يكشف معنى السخرية ويظهرها بوضوح، كما يتوقّف شرح السخرية حسب السياق على قصدية المتكلم، فإن كان المتكلم والسامع ينتميان لنفس الظروف التي نشأ فيها الكلام ويتشاطران نفس المعلومات الافتراضية، يستطيع المستمع الوصول إلى قصدية المتكلم من خلال التفريق بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى الذي يقصده المتكلم.

وترى "هيوتشون" -Hutcheon- (هيوتشون في عبيس، 2013، ص82) أيضا أنّ الخطاب الساخر ينطوي بطبيعة الحال، على معان تأويلية مختلفة، ربّما تدخل في فهم قصديات قريبة أو بعيدة عن الفكر الساخر وهدفه. وهنا يدخل الآخر في تفسير سخريّة الذات الساخرة من أجل الكشف عن مضامين ومعان جديدة. وهذا ما حدث على مرّ

التاريخ في التعامل مع المواقف ذات الأسلوب والمنهج التهكمي الساخر والتي تُسجل وفق كل مرحلة فهما جديدا.

ومن خلال ما سبق، نخلص إلى أنه للتمكن من فك شيفرة السخرية والوصول إلى مقاصدها وَجِبَ النظر إلى البعدين الدلالي والتداولي للجملة الساخرة والبحث فيما هو أبعد من النص والنظر إلى السياق اللغوي وغير اللغوي، وكذا تقصي المعاني التأويلية المختلفة التي ينطوي عليها الخطاب الساخر.

ومن خلال ما أوردناه من تعريفات مختلفة لأسلوب السخرية في الجانب اللغوي والبلاغي والتداولي، خلصنا إلى أنّ تحديد مفهوم النص الساخر هو أمر بالغ الصعوبة لأن مفهوم السخرية غير مستقر، على حد تعبير "ميويك" - Muecke -، وذلك لاختلاف الاتجاهات الفكرية لكل باحث في الميدان، ولا يسعنا إلا القول بأنّ النص الساخر يحمل في ثناياه السخرية بوصفها أسلوباً يميز به، وتكون إمّا في جزء منه أو تغطي عليه كلياً وتلعب القصديّة دوراً هاماً في تكوينه. والنص الساخر يميّز بالغموض ويرسل معانٍ ضمنية مختلفة للقارئ الذي لا بد أن يميّز بدوره بقدرات تأويلية يستمدّها من معرفته للمعايير الأدبية والبلاغية والجمالية، وكذا الإحاطة بالسياق اللغوي وغير اللغوي الذي يرد فيه النصّ الساخر.

2.2. السخرية واضطراب ترجمة المصطلح:

إن المتتبع لمختلف دراسات السخرية يجد أنّ هناك اضطراباً واضحاً في ترجمة هذا المصطلح من اللغات الأخرى وبالأخص من اللغة الإنجليزية والتي يُعرف فيها بمصطلح (Irony). ولقد أدّى هذا الاضطراب إلى تداخل المفاهيم والمصطلحات بين السخرية والمفارقة والتهكم. ومن الملاحظ أنّنا كثيراً ما نجد أنّ مصطلح (Irony) تُرجم إلى اللغة العربية بالمفارقة التي تعني (Paradoxe)، وهذا ما نجده عند مترجم كتاب المفارقة لـ "ميويك" - Muecke (1993)، فلقد فضل المترجم أن يترجم (Irony) بالمفارقة رغم عدم اقتناعه بهذه الترجمة، وقال في هذا الصدد "المفارقة (Irony) أحسن الحلول السيئة لترجمة هذه الكلمة إلى اللغة العربية (لؤلؤة في ميويك، 1993، ص114)، فالإشارة إلى أن المفارقة هي من الحلول السيئة لترجمة (Irony) يعني أن المترجم يرى أن الكلمة تحمل في طياتها العديد من الدلالات التي تتداخل فيما بينها. ونجد العبد (1994، ص230) كذلك يفضّل مصطلح المفارقة لترجمة للفظ (Irony)، بحيث وجدنا في ملاحق دراسته، قائمة لترجمة المصطلحات ظهرت فيها المفارقة ترجمةً لـ (Irony)، لكنه ترجم "القصد الساخر" بـ (ironicintention) و "تهكمي" بـ (Ironic) ونجد كذلك أن السخرية والتهكم عنده هما (sarcasm) والسخرية بمعنى الهزء هي (ridicule)، كما ترجم كلمة (Paradoxe) التي تعني في الأصل "المفارقة" بـ "التناقض الظاهر"، وبالتالي تعني لفظة (Irony) عنده "المفارقة" و (Paradoxe) هي

التناقض الظاهر والسخرية هي (Sarcasm)، لكن ترجمته للقصد الساخر والتهكم بـ (Ironic) دليل على تداخل دلالات المصطلح عنده.

ولقد أستعمل لفظ المفارقة ترجمةً للفظ (Irony) بدل السخرية بكثرة عند العديد من الباحثين مثل قاسم (1982) ومحرز (1986) وتبعهم في ذلك العديد من الباحثين منهم ابراهيم (1987) وعلي (2008) وشحادة (2011). والأمثلة على ذلك كثيرة. ويعتقد بامؤمن (2016، ص 07) أنّ السبب وراء ترجمة مفهوم المفارقة بديلاً عن السخرية راجع لكون المفارقة آلية من آليات السخرية. وهذا ما نجده في مقالة الغرابية (2014)، حيث أدرج الغرابية المفارقة على أنّها آلية من آليات السخرية في الأدب وهذا ما يشير إليه العنوان.

وتقابل المفارقة عند العديد من الباحثين لفظة (Paradoxe) لاحتوائها على معنى النقيضة والضدية. ويذهب أبو ديب (أبو ديب في جريو، 2015، ص 02) إلى القول أنّ المفارقة هي صفة ضدية، وقابلها في اللغة الانجليزية بلفظ (Paradoxe).

ويرى الزموري (الزموري في جريو، 2015، ص 110) أنّ الاعتناء بالتحديد الاصطلاحي يفرض علينا تحديد مفهوم المفارقة (Paradoxe) الذي لا يخلو من اضطراب في الترجمة، حيث سيكون من الإجحاف وضع عبارة مفارقة ترجمة لعبارة (Irony).

وترى جريو (2015، ص110) أن الزموري يُلح على ترجمة مفارقة بـ (Paradoxe) ويستبعد ترجمتها بـ (Irony) نظرا للاختلاف الاصطلاحي بينهما.

ويرى الجريني (الجرينيفي بامؤمن، 2016، ص08) أنّ "المفارقة تتدرج في باب المنطق، وهي ترجمة لمصطلح (Paradoxe).

وبالعودة إلى المعاجم اللغوية والنقدية الحديثة كثيرا ما نجد أنّها تَرجمت (Irony) بالسخرية و(Paradoxe) بالمفارقة، حيث ورد في معجم مصطلحات الأدب أنّ "السخرية" جاءت مقابلة للفظ (irony) ويتم تعريفها فيه على أنّها "في الأدب اعتماد ألوان الهزل وصنوف الدعابة والهزل والمزاح" (بوزواوي، 2009، ص165).

وأما في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، جاءت السخرية مقابلة للفظ (Irony) والمفارقة مقابلة للفظ (Paradox) (وهبة والمهندس، 1984، ص197). ووفقا لمعجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (علوش، 1985، ص ص 282، 287)، وردت السخرية مقابلة للفظ (Ironie) والمفارقة مقابلة للفظ (Paradoxe).

وجاء أيضا في قاموس النقد الأدبي أنّ (Ironie) هي قول عكس ما نقصد بتعبير ساخر، وهي غالبا ما تخلق تأثيرا هزليا الغرض منه نقد بعض الأمور التي تثير الجدل. أمّا (Paradoxe) فهي الرأي الذي يتناقض مع الرأي السائد، وهي تعني التناقضا والرأي المخالف، وقد تحمل شيئا من الغرابة أو الكلام الغير مألوف (جريو، 2015، ص110).

كما نجد في المعجم الفلسفي لصليبا (1982، ص356) أن مصطلح (Ironie) جاء مقابلا للفظ تهكم ويتم تعريفه فيه على أنه " الاستهزاء أو السخرية، وهو ما كان ظاهره جدًا وباطنه هزلاً"، واستدل بطريقة إظهار الجهل عند سقراط وكذا كتاب البخلاء للجاحظ. ووردت المفارقة عنده مقابلة لـ (Paradoxe)، ويقول في تعريفها: "شاع استعمال هذا اللفظ في اللغة العربية الحديثة للدلالة على الآراء المخالفة للمعتقدات المألوفة. وقد أطلق هذا اللفظ أيضا على الرأي الغريب الذي لا يعتقد صاحبه، لكنه يدافع عنه أمام الناس لحملهم على الإعجاب به" (صليبا، 1982، ص 402).

كما نجد في موسوعة لالاند الفلسفية (2001، ص 935) المعاني التالية: مفارق، مفارقة (Paradoxe) تعني"ما هو متناقض للرأي المسلم به عموما، للتوقع أو للاحتمال [...] وفي وجه المضاة: رأي يُدافع عنه بلا اقتناع، لأجل متعة التسلي والظهور أو إدهاش المستمعين". وتهكم، سخرية (Ironie) بمعنى "عملية التساؤل مع التظاهر بالجهل [...] وبمعنى الحديث والمتداول ضرب من قلب المعنى: شكل بياني قوامه إبلاغ ما يراد قوله من خلال قول العكس بالتحديد، مع قصد التهكم والطعن" (لالاند، 2001، ص708).

وفي قاموس أطلس الموسوعي نجد أنه تمّ تعريف (Irony) على أنّها " استخدام الكلمات لنقل معنى معاكس للمعنى الحرفي، تعبير ساخر، أسلوب أدبي يستخدم الاختلاف بين المعنى الحرفي والمعنى المقصود لتأثير بلاغي أو هزلي" (جريو،

2015، ص111)، ومن خلال هذا التعريف نجد أن لفظة (Irony) يقابلها في اللغة العربية السخرية وليس المفارقة.

ولقد جاءت السخرية ترجمة لألفاظ أخرى مثلما جاء عند الحاني (بامؤمن عن الحاني 2016، ص08)، الذي قابل السخرية بـ (Burlesque)، ولكنه يرى ترادفا بينها وبين لفظ (Parody)، وللتفريق بينهما يرى أنّ (Burlesque) هي "كل إنتاج يعمد إلى كتابة موضوع جدي بمنوال ساخر وذلك بالمبالغة أو الغلو أو التصوير والعرض، أمّا لفظة (Parody) فتستعمل استعمالا خاصا كتقليد أسلوب كاتب معين مثلا للضحك عليه"، لكن لفظتي (Burlesque) و (Parody) تتطويان تحت أسلوب السخرية ولا يمكن أن تكونا مقابلين له.

أما شاكر (2003، ص ص 40، 51)، فقد قام بترجمة (Irony) بلفظ "التهكم" وترجم "السخرية" بلفظ (Satire) الذي يعني "الهجاء". ولعل هذا التداخل في المصطلحات عند شاكر هو نتيجة للتشابه الدلالي بين التهكم والسخرية، فالتهكم يحمل في طياته معنى الاستهزاء الذي نجده في السخرية فيقال تهكم فلان بفلان أي استهزأ به وهو الأمر الذي ينطبق على السخرية. ويقول العوبي(2013، ص34) في هذا الأمر: "والسخرية من هذه الزاوية أيضا شبيهة بالتهكم، فهو شقيقها بل إنّهما توأمان للفكاهة، بيد أنه أرقى درجة من السخرية، لما فيه من رمز وإيحاء وإضحاك عقلي، وهو يصدر عن نفس ساخرة ناقدة، مبرأة من الحقد والموجدة، ويقوم على التصريح بالفكرة المقصودة".

ومن خلال ما ذكره العوبي، نستنتج أنّ التهكم والسخرية قريبان جدا من حيث المعنى لكن التهكم أعم من السخرية ويقوم على مبدأ التصريح بالقصد من القول عكس السخرية التي تقوم على قول عكس ما نقصد.

وفيما يخص ترجمة السخرية بالهزاء فهذا ربّما راجع لكون السخرية استعملت بكثرة في الهزاء ويؤكد ذلك التوزاني (التوزاني في العمري 2012، ص89) قائلا "استعملت السخرية بكثرة في الهزاء في الآداب الأوروبية خلال القرن 18 حتى صارت تضم صورا بلاغية موازية لها مثل الاستهجان (Sarcasm)، بل صارت مرادفة للهزاء (Satire).

ويرى عبيس (2013، ص23) أنّ:

مرادفة السخرية لمفهومي التهكم والمفارقة، فيه إشكال معرفي واصطلاحي نحاول توضيحه. فقد يفهم للوهلة الأولى أنّ السخرية تعني الإضحاك، والتهكم يعني الهجوم، والمفارقة تعني التناقض. فما يدعو إلى السخرية والتهكم هو التناقض، والمفارقة هي أشمل وأعم وهي تتضمن في مضامينها معنيي السخرية والتهكم، وهذا من الناحية المعرفية وليس التداولية. وتستعمل عبارتا (Sarcasm و Irony) في اللغة الانجليزية بكثرة بمعنى ساخر ومتهكم، أما المفارقة فقد تستعمل عبارة (Paradox) بمعنى العبارة الموهمة للصحة والمتناقضة. فإذا كانت السخرية مترادفة مع التّهكم فالمفارقة لا تترادف الاثنتين معا.

وبناء على ما سبق نخلص إلى أنّ هذا الاختلاف في الترجمات ما هو إلا نتيجة لما تحمله السخرية من دلالات مختلفة تجعلها عرضة للتداخل مع مصطلحات أخرى كالمفارقة والتهكم والمحاكاة والهزاء ولعلنا نجد أن التداخل الأكثر شيوعا يكمن بين

السخرية والمفارقة وذلك لانطوائهما على مبدأ التناقض، إلا أنّ السخرية أعمّ من هذه الأساليب المذكورة، وأنّ الساخر يعتمد عليها لإظهار سخريته.

3.2. تأويل السخرية:

إنّ التأويل نشاط فكري يساهم في عملية الفهم وعملية التواصل، ويُطرح موضوع إشكالية التأويل وحدوده بشدة في الخطاب الساخر وذلك لأنّ السخرية إضافة إلى كونها خطاباً مزدوج الدلالة فإنّ فهم هذه الدلالة وفك شفرتها لا يتم إلا بأخذ الجانب التداولي بعين الاعتبار، والانتباه إلى المؤشرات التي تساعد على فهم القول وتأويله تأويلاً صحيحاً. بحيث يتعلّق الإشكال المطروح في السخرية بغموض وتعتميد دلالي مقصود وتناقض أو تفاوت بين مستويين دلاليين أو بين حدثين. (الشايب، 2015، ص17).

ومفاد ذلك أنّه يصعب على المتلقي الوصول إلى تأويل قصدية النصّ الساخر المضمرة، ولا يتمّ التأويل إلاّ بالنظر إلى المعاني التداولية والسياقات اللغوية وغير اللغوية المختلفة للوصول إلى القصدية المضمرة، بحيث يتطلب الأمر جهداً مضاعفاً من المتلقي، وبالتالي وجب عليه البحث في المؤشرات النصّية والقرائن التي تساهم في تذليل صعوبات التأويل والفهم، لأنّ كل كاتب، خاصة الكاتب الساخر، يضع في نصه أمارات ومؤشرات تجعل القارئ يكشف عما وراء الحرف. وفي ذلك يقول "إيكو" -

Eco-" إئننا حين نتكلم أو نكتب نضع أمارات في كلامنا نقود بها القارئ إلى ما نريد

الوصول إليه" (إيكو في أم السعد، 2015، ص 309)

وبذلك، يكون تعمّد إخفاء السخرية موضوعاً بغرض اكتشافها من طرف القارئ أو المستهدف من السخرية وليس إخفاءها كلياً، إذ لا يمكن أن نقول على أي خطاب أنه ساخر إن لم يتم اكتشاف هذه السخرية وأزّيح عنها الغموض وتبيّنت الدلالة المزدوجة للدال.

وخاصية الغموض هذه وازدواج الدلالة وتفاوتها هي التي جعلت بعض التداوليين يصنفون السخرية ضمن أفعال الكلام غير المباشرة: " فالقول بأنّ السخرية شكل من التكلم (فعل كلام غير مباشر) يتأسس على انفصال بين القضية المعبر عنها، أي الحرفية والقضية المقصودة والاستلزامية، هو تأكيد على أنّ الغموض يعتبر ظاهرة مركزية" (الشايب، 2015، ص 17-18).

إن القدرة اللسانية للقارئ أو السامع تمكّنه من فك شفرة ما هو مضمّر ومستتر وراء ما هو ظاهر ومصرح به، والسخرية تفترض مسبقاً توافر هذه القدرة عند القارئ أو السامع، أمّا القدرة البلاغية فتقتضي معرفة المعايير الأدبية والبلاغية والجمالية التي تشكل القانون والقاعدة، وهذه المعرفة تُمكن القارئ والسامع من إدراك كل انزياح يترتب عن تلك المعايير. وتتعلق القدرة الإيديولوجية بمجموع المعارف الفكرية والثقافية المشتركة بين المشاركين في عملية التخاطب. (الشايب، 2015، ص 18).

1.3.2. مؤشرات تأويل السخرية:

لطالما كان الغموض لصيقا بدلالة السخرية ويكمن الدور الرئيسي للتأويل في التخلص من الغموض الذي يكتسبها وذلك بالاعتماد على المؤشرات التي وضعها كاتب النص الساخر أو ملقيه، ومن بين المؤشرات المساعدة على التلميح لقصدية صانع السخرية نجد:

1.1.3.2. المؤشرات المصاحبة للكلام:

تساهم هذه المؤشرات في تنبيه السامع. "ويعتبر أي تغيير في مقامات الصوت أو في طريقة نطق بعض الكلمات والعبارات مؤشرا على سخرية الخطاب". (الشايب، 2015، ص19)، كما يمكن أن تظهر المؤشرات المصاحبة للكلام في الحركات وتغيير تقاسيم الوجه والغمز وهز الكتف وتحريك الرأس وما إلى ذلك.

2.1.3.2. المؤشرات النصية:

أشارت كذلك "أركيوني" - Orecchioni - (أوريكيوني في شبشوب، 2016، ص77) إلى بعض المؤشرات النصية مثل الظفرين ونقاط التعجب ونقاط الاسترسال، وبعض التعابير من قبيل " من المعروف أنّ " و "طبعاً". كما بيّنت أنّ عبارة " كما يعلم الجميع" دخلت المعجم وأصبحت متخصصة في السخرية، ولا تكون هذه الإجراءات ساخرة إلا إذا ارتبطت بمعارف مشتركة.

3.1.3.2. السياق اللساني:

يفيد السياق اللساني السخرية عندما تحمل العبارة الواحدة تناقضا صريحا بين متواليتين لا يحل إلا باعتبار إحداها ساخرة، أو عندما تحمل هذه العبارة مبالغة أو غلوا لا يستقيم المعنى معه ولا يتحقق انسجام العبارة إلا بحمله على محمل السخرية (الشايب، 2015، ص20). مثلما هو الحال في قول الشخص للبطيء "ما أسرعك!" فهذه العبارة تحمل معنيين متناقضين، ولا يمكن للقارئ أن يفهم هذا التناقض إلا من خلال السياق.

4.1.3.2. السياق الخارج لساني:

يفيدنا التناقض وعدم التناسب في العبارة في الوقوف على سخرية الخطاب أحيانا، فإنّ هذا التناقض في القول والواقع الخارجي عادة ما يشير إلى أن الكلام يجب أن يؤول على أنه ساخر، فعندما يسمع المتلقي هذه العبارة " ما أجمل الطقس!" ويتحقق عكس ذلك من أنّ الجو مضطرب فإنّه يؤول الكلام على أنه سخرية، هكذا يكون السياق الخارجي المتمثل في أحوال الطقس هو المؤشر الذي يهدي السامع إلى القصدية من الكلام. (الشايب، 2015، ص20)

4.2. أنواع السخرية:

إن للسخرية أنواع مختلفة وهذا نظرا لانتمائها إلى مجالات مختلفة، أدبية وفكرية ولغوية وبلاغية وفلسفية، وهذا التعدد هو بسبب طبيعة النمط الذي يقدم فيه أسلوب

السخرية، ولعل دلالات مصطلح السخرية المتعددة هو الأمر الذي أدى إلى تعدد أنواعها حسب مجال البحث، فأنواع السخرية تختلف من باحث لآخر.

1.4.2. السخرية السقراطية:

إن هذا النوع من السخرية هو ما جاء في محاورات أفلاطون، حيث تتميز سخرية سقراط في هذه المحاورات بالتظاهر بالجهل وإخفاء الذكاء، وباستعداده للتسليم بآراء مختلفة عن رأيه بغية الوصول إلى البرهنة على بطلانها، وبذلك تمثل سخرية سقراط في منهج جدلي يعتمد على الاستفهام مع التظاهر بالجهل بقصد جعل الطرف الآخر في المحاورة يدلي برأي خاطئ يضطر إلى تصحيحه بنفسه. (وهبة والمهندس، 1984، ص198).

ومن خلال محاورات أفلاطون يتبين بأن المنهج الذي كان يتبعه سقراط لإنشاء سخريته هو المنهج الحوارى التوليدي والمقصود بالتوليد حسب شاكرا (شاكرا، 2003، ص68) هو "استخلاص الحقيقة الكامنة في داخل الخصم ذاته، والتي ينطوي عليها عقله، وإن كان يغشاها نوع من الضباب الذي يمكن تبديده بالتوجيه السليم". ولقد كان سقراط يعتمد في منهجه على طريقة طرح الأسئلة التي يشوبها التشكيك بطريقة ساخرة حتى يوقع محاوره في الارتباك ويدفعه إلى العودة إلى معتقداته ومراجعتها.

لم يكن سقراط يمارس السخرية بهدف الفكاهة والضحك وإنما كان استعماله لها للتعبير عن مواقفه ولإظهار حقيقة المعرفة عند أولئك الذين يدعونها. ويقول عبيس (2016،

ص47) في هذا الأمر، أنّ سقراط " كان قد جبل على استعمال السخرية في كثير من الأحيان بوصفها وسيلة لتبيان حجّة وهذه الحجّة هي تعبير عن الوعي".

ويردف (عبّيس، 2016، ص47) قائلاً:

فقد كان الحس النقدي عند سقراط والأسلوب الساخر، دعاه أيضا إلى اعتماد أسلوب التهكم الهجومي على خصمه عبر أساليب لغوية ومغالطات وحيل منطقية توقع الخصم في مفارقاته من دون أن يعلم، فغالبا ما كان يتحدث سقراط ولو كان جاهلا أو غير محترم، تحديدا عندما أعرب عن رغبته في فضح الجهلة المشاركين في الحوار. ويقول: أنّه كان يطلب من الشخص تعريف الصداقة والعدالة ومن ثم يسمح له بالمحاوره معه، لكي يكشف تناقضه بين فهمه للعدالة أو الصداقة بوصفها مفاهيم وبين ما هو مصداق ذلك لكي يبطل إدعائهم على أنّهم سادة الحكمة، فكان استعمال سقراط للسخرية ليس من قبيل الصدفة بل من باب التحدي وكسلاح لتلقي المعرفة.

وبهذا نجد أنّ السخرية عند سقراط هي سخرية مواقف ويتضح ذلك من خلال الحكم على الشخص في موقف ما بأنّه عارف، في حين يقصد بأنّه جاهل، فالسخرية عنده لا تقوم على استبدال كلمة بكلمة أخرى تخالف معناها ومقصدها وإنّما هي مخالفة لموقف ما يقصد من خلاله عرض الحقائق.

والهدف من السخرية عند سقراط هو هدف نفسي أخلاقي، وهذا ما تطرق إليه "شونتجس" - Shoentjes - (2001)، حيث ربط السخرية السقراطية بسلوك الإنسان وأشار إلى أنّ دراستها ترتبط بعلم الأخلاق. حيث أنّ السخرية السقراطية "هي أخلاقية ومعقدة، وغالبا ما يقال أنّ استعمال السخرية عند سقراط يكون لإحداث الحقيقة

والاعتراف حتى لو كان ذلك ظاهرا أو غامضا" (تشتجس في عبيس، 2016، ص47-48).

إنّ ما يقابل الفلسفة السقراطية في البلاغة العربية ما يسمى "بتجاهل العارف"، ويقصد به "إخراج ما يعرف صحته، مخرج ما يشك فيه، ليزيد بذلك تأكيدا" (العسكري، د.ت، ص412) ويقابله عند السكاكي (د.ت، ص ص287، 537)"سوق المعلوم مساق غيره"، فتجاهل العارف يحمل في مفهومه نفس دلالات السخرية السقراطية.

1.4.2. السخرية الرومانسية:

إن مفهوم السخرية عند الرومانسيين ارتبط ارتباطا وثيقا بعلاقة الإنسان بالطبيعة والعلاقة بين الأنا والعالم، وهي الصراع بين المطلق والنسبي. ولقد ظهر هذا المفهوم للسخرية مع "شليجل" - Schlegel - وهو من أهم المفكرين والفلاسفة الألمان المحدثين، ويقول "ميويك" - Muecke - (1993، ص111) أننا "مدينون بمفهوم المفارقة الرومانسية أساسا إلى "شليجل" -Schlegel-. ولقد عالج "شليجل" - Schlegel- السخرية، حسب "راموس" - Ramos - (2015)، بصفتها ظاهرة أدبية وجعل منها مبدأ للتكوين الأدبي. كما يُعد "شليجل" -Schlegel-، حسب عبيس (2016) وعلي (2008)، أوّل من أدخل مصطلح السخرية Ironía في مجال الأدب. ولقد أسهم "شليجل" -Schlegel- إسهاما ملحوظا في تطوير مفهوم السخرية من المفهوم الكوني إلى المفهوم الرومانسي.

على الرغم من أن "شليجل" -Schlegel- كان من المتأثرين بمبدأ السخرية عند سقراط باعتبارها السخرية الأم في الفلسفة وبمبدأ الجدية الوعي والذات المتعالية عند سقراط، إلا أنه أخذ بالسخرية إلى منحى آخر وهو المنحى الرومانسي المتمثل في العلاقة المركبة بين الإنسان والعالم.

ولعلّ مفهوم شليجل للسخرية استمدته من ملاحظة العلاقة بين الإنسان والطبيعة، فهو يرى "أنّ الطبيعة فوضى متدفقة بلا حدود، عملية جدلية من الخلق المتواصل في الإفناء، وأنّ من أبرز خصائصها أنّها دفق لا ينتهي من الطاقة الحيوية" ("ميويك" Muecke 1993، ص32)، فالطبيعة غير محدودة وطاقاتها غير متناهية أما الإنسان فيتسم بالمحدودية، لكنّه دائم البحث للوصول إلى الحقيقة غير المحدودة، لأنّ "المفارقة الأساسية في الإنسان هي أنّه كائن محدود يجتهد في أن يدرك حقيقة غير محدودة، ولذلك فالمفارقة هي الصراع بين المطلق والنسبي" (حماد، 2005، ص25) وليس الإنسان "سوى واحد من الأشكال المخلوقة التي سوف تقنى عن قريب، حيث يجب أن يدرك أنّه ليس بمقدوره بلوغ نفوذ دائم على الكلّ في مجال الفكر أو الخبرة. وهو رغم ذلك يُدفع، أو كما يقال اليوم يُمنهج ليستوعب العالم، ليختزله إلى نظام ووضوح، لكن أي تعبير عن فهمه سوف يكون محدودا لا محالة لأنّه هو نفسه محدود" (حشيشي، 2012، ص17).

ويرى "شليجل" -Schlegel- (شليجل في علي، 2008، ص73) أن السخرية تهدف إلى

إدراك الحقيقة لأنّ:

العالم في جوهره ينطوي على تناقض، وأن الوعي الضدي هو الذي يستطيع الإمساك بكليته المتنافرة. والمفارقة عنده تعنى أيضا ذلك الصراع بين المطلق والنسبي، وهو الوعي المصاحب للاستحالة، لذا ينبغي على الكاتب - في نظر شليجل - أن يشعر بالحيرة إزاء عمله، فهو يقف على مقربة منه وبمعزل عنه في الوقت نفسه. ويتعامل معه بطريقة تشبه اللعب تقريبا.

وبالتالي فالسخرية مبنية على التناقض، والتناقض هو أساس الحياة عند "شليجل" -

Schlegel-، وحتى نتمكن من إدراك السخرية لأبد من الابتعاد عن مبدأ الذاتية والترفع

عنه. ويقول "ميويك" - Muecke (ميويك، 1993، ص109) أنّ "المفارقة الرومانسية

مفارقة كاتب يعي أن الأديب لا يمكن أن يبقى غريرا لا ينطوي على تأمل، بل يجب

أن يقدم نفسه واعيا بطبيعته المتناقضة، التي تضم النقيضين، فحضور الذهن عند

المؤلف يجب أن يكون عنصرا رئيسا في عمله إلى جانب القوة الدافعة في الحماس

والإلهام". وبهذا تولدت السخرية الرومانسية عن التأمل وهي شكل من النقيضة وتثير

الجدل.

إذن، السخرية عند شليجل هي "شكل من أشكال النقيضة وهي جوهر الحياة، وعليه

فإن إدراك المفارقة لن يتحقق إلا بعد الابتعاد عن التحيز والذاتية من طرف الكاتب

بالسمو فوق الذات بعد أن تدرك الذات وتعي أن الحياة دفق لا ينتهي من التناقضات

وأنّ المفارقة جوهر الحياة وهي الموضوعية عنده أيضا" (عبيس، 2016، ص66).

كذلك يرى "شليجل" -Schlegel- أن السخرية "وعي جلي بالفوضى الكاملة اللانهائية، وهي وعي بالذات بدرجة عالية، لأن المفارقة عنده محاكاة ساخرة، فهي الهزل الغامض الذي يحاول أن يرتفع فوق إبداع الإنسان وفضيلته ونبوغه" (علي، 2008، ص 73).

وبهذا توضح السخرية الرومانسية عند "شليجل" -Schlegel- وغيره من الفلاسفة الرومانسيين الألمان "العلاقة بين الأنا والعالم وتوضح فكرة جوهرية مفادها أن تجاوز المتناقضات جزء أساس من بنية الوجود الدائم للمفارقة على السواء وأنّ الحقيقة خليط من التناقضات" (عبيس، 2016، ص 65).

تكمن السخرية الرومانسية في العلاقة بين الأنا والعالم وتعتمد على مبدأ التناقضات ومبدأ الصراع بين المحدود واللامحدود وبين المطلق والنسبي، فالتناقضات هي جوهر الحياة وهي أساس الصناعة الأدبية. كما أنّ السخرية الرومانسية تتادي بالابتعاد عن مبدأ الذاتية والتحيز من طرف الكاتب، فهي ترفض إقحام الكاتب نفسه بقوة في العمل. وبذلك نجد السخرية الرومانسية في أي شكل وأي وقت ضمن الطبيعة لأنها تقوم على التناقضات والطبيعة قائمة على مبدأ الضد، فالسخرية عند "شليجل" -Schlegel- سخريّة غير مقصودة عكس السخرية السقراطية التي كانت مدبرة من طرف سقراط لهدف معيّن.

3.4.2. السخرية اللفظية:

ويعدّ هذا النوع من السخرية الأكثر شيوعاً واستعمالاً في الأدب، لأنها لا تتسم بالغموض ويكون معناها الظاهري، في أغلب الأحيان، واضحاً، وهي تفرض وجود صاحب السخرية وهو الشخص الذي يقوم بها ويحدثها عن قصد، ويقول "ميويك" - Muecke (1993، ص43) بأنها "مفارقة يصنعها صاحبها فيتعمد المفارقة [وهذا يدعى عادة مفارقة لفظية]"، لكن كثيراً ما تكون ذات طابع هجومي ونجد هذا الطابع بكثرة في شعر الهجاء، وهي طريقة للتعبير يكون فيها المعنى المقصود مخالفاً للمعنى الظاهر.

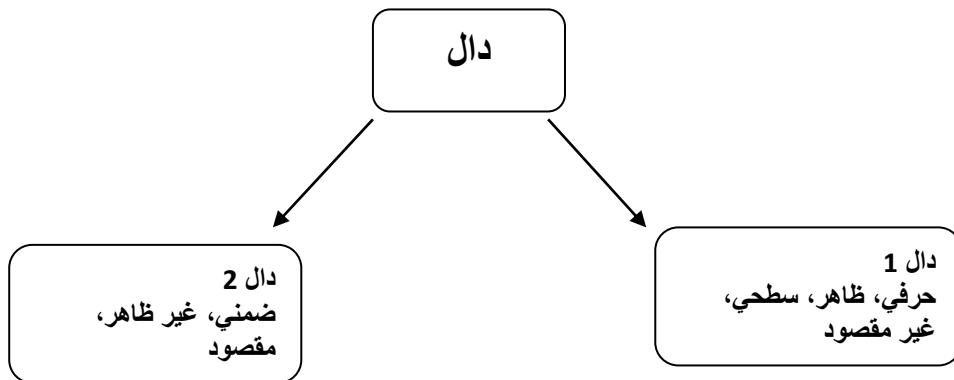
ويرى العبد (1994، ص71) أنّ السخرية اللفظية " في أبسط تعريف لها، شكل من أشكال القول، سياق فيه معنى ما، في حين يقصد منه معنى آخر يخالف غالباً المعنى السطحي الظاهر".

لكن رغم هذه البساطة الظاهرة في السخرية اللفظية إلا أنّ العبد (1994، ص71-72) يشير إلى أنّها أكثر تعقيداً، وهذا لأنها تتحقّق في مجموعة من المستويات ويجتمع فيها أكثر من عنصر، وتشتمل هذه العناصر على عنصر يتعلق بالمغزى وهو مقصد القائل، وهذا العنصر قد يتراوح في درجات عنفه وقوته بين العدوان والتذليل اللين، وعنصر لغوي أو بلاغي وهو عملية عكس الدلالة وهو يتمثل في شكل المغايرة.

وحتى تتحقق السخرية اللفظية وتترك تأثيرا لدى المتلقي، "ينبغي لنا أن ننفذ من الحدث اللغوي أو اللفظي إلى حدث المغزى من القول إلى مقصد القائل وتأثيره الذي يصل إليه هنا بواسطة بنائه على المفارقة في المستمع أو المخاطب" (العبد، 1994، ص72).

وأشار "ميويك" - Muecke - (1993، ص147) إلى أنها " انقلاب في الدلالة" كوننا إذا نظرنا إلى مفارقة الأحداث على أنها انقلاب يحدث مع مرور الزمن، وإلى المفارقة اللفظية على أنها انقلاب في الدلالة، يسهل إطلاق كلمة "المفارقة" على انقلابات ذهنية متجاوزة أخرى، أي يمكن ملاحظتها، وبخاصة ما يأتينا منها جاهزا في الأدب".

ومعنى هذا الانقلاب أن هناك مدلولين متضادين لدال واحد، فالمدلول الأول يكون حرفيا متلفظا ويكون ظاهرا سطحيا غير مقصود، أما المدلول الثاني فيكون ضمنيا غير ظاهر، مقصودا ونفهمه من خلال السياق. ويمكن أن نقترح الشكل البياني للتمثيل لازدواجية الدلالة كالآتي:



- شكل بياني 2: ازدواجية الدلالة -

وهذا ما يؤكد شبانة (2002، ص64) في قوله: "والمفارقة اللفظية لا تخرج عن كونها دالا يؤدي مدلولين نقيضين أحدهما قريب نتيجة تفسير البنية اللغوية حرفيا، والآخر سياقي".

ولعل الشبانة قد استنتج هذا التعريف من عند خالد سليمان في كتاب المفارقة والأدب، حيث يقول سليمان (1999، ص26) في نشأة السخرية بأنها تنشأ:

[...] من كون الدال يؤدي مدلولين نقيضين : الأول، مدلول حرفي ظاهر، والثاني مدلول سياقي خفي، وهنا تقترب المفارقة من الاستعارة أو المجاز، وكلاهما في حقيقته بنية ذات دلالة ثنائية، غير أن المفارقة، إلى جانب كون المعنى الثاني نقيضا للأول، تشتمل على علاقة توجه انتباه المخاطب نحو التفسير السليم للقول.

أما كون السخرية انقلاب في الدلالة، حسب "ميويك" - Muecke -، فيعلق عليه شبانة (2002، ص64) قائلا: "وهو بالتالي انقلاب غير زمني، في حين مفارقات الأحداث هي مفارقات زمنية لأنها انقلاب يحدث مع مرور الزمن". وبالتالي، لا بد من أن يكون المعنى السطحي في السخرية اللفظية ظاهرا ويكون تأثيره قويا لكي يتحقق إخفاء المعنى المقصود. وذلك لأن المعنى الظاهر في المفارقة اللفظية يجب أن يكون ذا قوة وجرم، لا أن يكون شفافا إلى درجة التلاشي" (ميويك، 1993، ص53)، وبالتالي فإن كان المعنى الظاهر شفافا، يمكن أن يؤدي هذا الأمر إلى بروز المعنى المخفي وأن يصبح هو ظاهرا وبالتالي تكون السخرية ضعيفة ولن يستطيع صاحبها أن يؤثر في متلقيه.

تكون السخرية اللفظية، إذن، مبنية على المخالفة والتضاد، وكثيراً ما يكون هذا التضاد نتيجة لقلب المعنى، وتصبح السخرية بذلك، قول نقيض ما نريد إسماعه وإفهامه، لكن الوعي بالتضاد له دور كبير في فهمها لأنه "شرط أساس في إدراك المفارقة، ففي المفارقة اللفظية، قد يكون التضاد بين النص والسياق، والعبارة المكتوبة "أنا شديد الوله بفلان" لا تتصف بالمفارقة إلا عندما تكون في تضاد مع سياق الحقائق ولا يستطيع تمييزها في إطار المفارقة إلا الذين يعرفون الحقائق" (ميويك، 1993، ص 79)، حيث تكون معرفة الحقائق والظروف التي أدت للسخرية والوعي بالسياق الذي ظهرت فيه شرطاً أساسياً لتكون هناك سخرية لفظية، فإن لم يتوفر هذا الوعي بالتضاد والتناقض الموجود لما كانت هناك سخرية لفظية، الأمر الذي يؤدي إلى غياب فهمها وبالتالي إلغائها.

ولقد ميّز "ميويك" - Muecke (1993، ص 171)، بين نوعين من السخرية اللفظية وهما السخرية الهادفة والسخرية الملحوظة، فالسخرية الهادفة هي: "العبه يقوم بها اثنان (رغم أنّها أكثر من ذلك). فصاحب المفارقة الذي يقوم بدور الغرير ليعرض نصّاً، ولكن بطريقة أو سياق يدفع أو يرفض ما عبر عنه من معنى حرفي، مفضلاً ما لا يعبر عنه النص من معنى منقول ذي مغزى نقيض"، حيث يوجب هذا النوع من السخرية وجود صاحب السخرية وهي تشترط وجود مدلولين لدال واحد وصفة التظاهر والتخفي.

وأما السخرية الملحوظة فهي "أشد قريبا من المفارقة الهادفة إلى الصفة الدرامية والمسرحية [...] لأن جميع المفارقات الملحوظة (مسرحية) بحكم التعريف من حيث وجود مراقب ضروري لاستكمال المفارقة" (ميويك، 1993، ص ص 212-213).

وللتمكن من تنفيذ هذه المفارقة يشترط إقامة مسرح ذهني ويكون هناك دور لمراقب غير مراقب حتى تتسنى لنا رؤية الموقف بوضوح ويقول "ميويك" - Muecke (1993)، ص 213) في ذلك:

[...]المفارقة ليست محض شيء يحدث، إنها شيء يمكن على الأقل تصور حدوثه. قد نقول أنه من باب المفارقة أن يندفع شخص على يد شخص أراد الأول أن يخدعه، ولكن لأجل أن نستطيع قول ذلك يجب أن نكون قد أقمنا مسرحا ذهنيا نقوم فيه نحن بدور المراقب الغير مراقب، نرى الموقف بوضوح كما هو عليه ونشعر بعض الشيء بقوة اللاوعي المطمئن لدى الضحية.

وبالتالي لا تشترط السخرية الملحوظة وجود صانع المفارقة، وهذا يعني أنه لا يوجد عنصر التظاهر في السخرية الملحوظة، ولكنها تشترط وجود مراقب يقوم بتجسيد هذه المفارقة والتقاط شفرتها، وقد يكون المراقب، حسب "ميويك" - Muecke -، ضحية للمفارقة، لأنه من الممكن ألا يكون المراقب عنصرا ثالثا ملاحظا لهذه المفارقة وحسب وإنما قد يكون ضمنها ويكون ضحية لها، ولا يشترط في الضحية أن يكون فردا واحدا يقع ضمن شبك السخرية وإنما قد تكون الضحية حضارة بأكملها.

على الرغم من أن السخرية اللفظية غالبا ما تكون ذات طابع هجومي إلا أنها كثيرا ما تحمل عنصرا جماليا وذلك نظرا -ليس في جميع الأحوال- لارتباطها بالفن والمسرح. وفي

المسرح يكون الأسلوب الذي تقع فيه متأنفا، لأنّ " المفارقة اللفظية إذا لم تقع في باب الفن دائما فهي تحمل عنصرا جماليا دائما" (ميويك، 1993، ص 66).

وقد تساهم السخرية في إضافة مزيد من التماسك والترابط في النص وذلك لأنها تترك القارئ يبحث عما وراء هذه الجمل وعن المعنى الحقيقي للنص في كُليته. وحتى يتمكن القارئ من تفكيك هذه الشيفرة التي بُنيت عليها دلالات السخرية ويعيد إنتاجها لإدراكها، أن يكون ذا وعي ومَلَكة.

4.4.2. سخرية الموقفية:

السخرية الموقفية يقال لها أيضا، سخرية ظرفية وسخرية الأحداث وسميت كذلك بالسخرية السياقية لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالسياق. ولقد ارتأينا أن نعتمد مصطلح السخرية الموقفية لأنها تعتمد في ظهورها على موقف ما، عكس السخرية اللفظية التي تشترط وجود شخص يقوم بها، ويقول "ميويك" - Muecke (1993، ص 43) في ذلك: "أما الصنف الثاني فهو موقف أو حدث ليس فيه صاحب المفارقة، بل ثمة ضحية ومراقب ويدعى هذا الصنف عادة مفارقة موقف، ويمكن أن يدعى كذلك مفارقة غير مقصودة أو غير واعية".

إن، يكون هذا الصنف من السخرية نتيجة موقف أو حدث ما ويستدعي وجود مراقب وضحية، فالمراقب هو من يقوم باستنباط التعارض القائم بين المعنى الظاهر

والخفي.وتكون هذه السخرية غير مقصودة وهذا نتيجة لعدم وجود صاحب السخرية الذي يتعمد إحداثها عن قصد.

ويقول "ميويك" - Muecke - (1993، ص40) في صعوبة تعريف هذه الأنواع من السخرية أنه "ليس من الصعب جدًا تعريف المفارقة اللفظية بشكل معقول مقبول يمكن تذكره، لكنه ليس من السهولة بمكان تعريف مفارقة الموقف أو ما يتفرع عنها من مفارقة درامية، وقد يفسر ذلك بشكل جزئي سبب التأخر الطويل في تحديد ذلك المفهوم". كما أن " تعريف المفارقة بطريقة لا تتال من نوعيها الرئيسيين، المفارقة اللفظية ومفارقة الموقف، مسألة صعبة تثير اليأس" (ميويك، 1993، ص40).

وبهذا يقرّ "ميويك" - Muecke - بصعوبة إعطاء مفهوم لنوعي السخرية اللفظية والموقفية، خاصة ما يتعلق بمفهوم سخرية الموقف وذلك لأنها لا تحتوي على صاحب المفارقة وإنما تكون نتيجة موقف ما. ولعلّ ما يزيدها صعوبة هو تفرع أنواع أخرى منها مثل السخرية الدرامية.

ويرى "كيركجارد" - Kierkegaard - (كيركجارد في ميويك، 1993، ص68) أنّ السخرية الموقفية " لا توجد في الطبيعة أمام امرئ غرير أكثر من المقبول، بل إنّها لا تعرض نفسها إلاّ لمن كان له ميل في مجال المفارقة"، وتتطلب سخرية الموقف عند "كيركجارد" - Kierkegaard - وجود مراقب فطن عارف بمجال السخرية ليتمكن من التعرف عليها.

وهذا ما يذهب إليه جاب الله (2008، فقرة 01)، حيث يرى أنّ "المفارقة وخاصة مفارقة الموقف أو السياقتحتاج إلى كدّ ذهن، وتأمل عميق للوصول إلى التعارض، وكشف دلالات التعارض بين المعنى الظاهر والمعنى الخفي الغائص في أعماق النّص وفضاءاته البعيدة"، فالسخرية الموقفية تحتاج تأملا عميقا للكشف عن الدلالات الخفية في البنية العميقة للنّص، عكس السخرية اللفظية التي يسهل فيها التعرف على المعنى الخفي مقارنة بالسخرية الموقفية.

ويرى "ميويك" -Muecke- (1993، ص71)، أنّ التفريق بين السخرية اللفظية وسخرية الموقف "مقبول بشكل عام رغم أنّه ليس بالقبول الشامل، ويقوم النوع الأول على مفارقة يتعمّد صاحبها اتخاذ تلك الصفة، كما يقوم النوع الثاني على حالة أو حدث يُرى في إطار المفارقة"، أي أنّ صاحب السخرية يتعمّد إحداث السخرية اللفظية أمّا سخرية الموقف فتكون في إطار حدث أو موقف ما وهي غير مقصودة وإنّما ظهرت من ذلك الحدث الجاري.

5.2. السخرية عند الجاحظ:

تأثر الجاحظ في سخريته بالطابع الثقافي والسياسي والاجتماعي لعصره، حيث كان أسلوب السخرية "المُعبر الحقيقي عن المشكلات السياسية والاجتماعية والثقافية الجديدة، وهو ما لم يستطع الشعر التعبير عنه إلا في حدود ضيقة" (قطش، 2007، ص52). ولم تكن سخرية الجاحظ لمجرد السخرية، وإنّما "أراد الجاحظ، من ورائها، أن

يُظهر عيوباً كانت بادية في مجتمعه، وما لحق به من آفات اجتماعية، ومحاولة علاجها ولو عن طريق توجيه الأنظار إليها، وإن كانت سخرية الجاحظ تدفعنا إلى الضحك في كثير من الأحيان، إلا أنه اختار هذا الأسلوب كيف يدفع عنّا الملل" (المحروقي، 2010، ص26).

واتّصف مذهب الجاحظ في السخرية بالموضوعية، ونستثني من ذلك سخريته من نفسه، لأنه لم يكن يسخر بغرض التشنيع وإنما كان يسخر لدحض صفة البخل المنقشية في عصره ورفع راية الكرم والجود، حيث كان ينطلق في سخريته " من الشيء المسخور منه بوصفه ظاهرة خلقية أو اجتماعية أو فكرية، ثم يربط بين هذه الظاهرة والتفسير العلمي في أكثر الأحيان" (المحروقي، 2010، ص54).

عمد الجاحظ من خلال أسلوبه في الكتابة إلى مواراة السخرية، حيث لا يكاد يظهر عليها أثر الاستهزاء أو التهكم أو المبالغة أو التعريض، لأنه كان يدسّها دسّاً في الكلام. ويذهب جبري (1932، ص46) إلى أنّ الجاحظ "بدلاً أن يتعرّض لطائفة البخلاء تعرّضاً ويجادلهم جدلاً، يكتفي في أكثر الأوقات بالدلالة على آرائهم والإشارة إلى مذاهبهم". ورغم أنّ الجاحظ كان يشير إلى هذه الطائفة بخفاء، ولا يظهر ذلك إلاّ رمزاً، لم تخلُ إشارته من السخرية لأنه يجرّ القارئ بأسلوبه في السرد إلى التفتّن لهذه السخرية، ويستقي منها حكمة مفيدة.

وظهرت سخرية الجاحظ طريفة لأنّه كان متطبعا بطبع الضحك ومحبا له وهذا ما كانت تعكسه كتاباته ونوادره، حيث يقول في الضحك، " وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيما ومن مصلحة الطباع كبيرا، وهو شيء في أصل الطباع وفي أساس التركيب لأن الضحك أول خير يظهر من الصبي، وبه تطيب نفسه وعليه ينبت شحمهويكثر دمه الذي هو علة سروره ومادة قوته" (الحاجري في الجاحظ، 2009، ص06).

ويذهب جبر (2008، ص ص152-153) إلى أنّ الجاحظ حاول قبل "برغسون" - Bergson - بأكثر من ألف سنة، أن يجعل الضحك مذهبا بدراسة مقدماته وخواتيمه،

واستدل في ذلك بقول الجاحظ:

لو كان الضحك قبيحا من الضاحك، وقبيحا من المضحك ، لما قيل للزهرة والخبرة والحلي والقصر المبني، كأنّه يضحك ضحكا، وقد قال جلّ ذكره: "وانّه هو أضحك وأبكى، وانّه هو أمات وأحى"، فوضع الضحك بحداء الحياة، ووضع البكاء بحداء الموت، وانّه لا يضيف الله إلى نفسه القبيح، ولا يمنّ على خلقه بالنقص، [...]، ولفضل خصال الضحك عند العرب تسمى أولدها بالضّحّاك، وببَسَام وبطليق، وقد ضحك النبي صلّى الله عليه وسلّم وفرح، وضحك الصالحون وفرحوا، وإذا مدحوا قالوا هو ضحك السن، وبسام العشيات، وهش إلى الضيف، وذوا أريحية واهتراز، وإذا ذمّوا قالوا: هو عبوس، وهو كالح، وهو قطوب، وهو شتيم المُحيا، وهو مكفهر أبدأ، وهو كرية، ومقبض الوجه، وكأتما وجهه بالخل منضوح، وللضحك موضع وله مقدار، وللمزح موضع وله مقدار، حتّى جازهما أحد، وقصر عنهما أحد، صار الفضل خطأ، والتقصير نقصا، فالناس لم يعيبيوا الضحك إلّا بقدر، ولم يعيبيوا المزح إلّا بقدر، ومتى أريد بالمزح النفع وبالضحك الذي جعل له الضحك، صار المزح جدّا والضحك وقارا.

ويقول جبر (2008، ص153) معلقاً على ذلك أن الجاحظ استعان بالكتب المقدسة والعلم والمنطق وسير العظماء لتأييد رأيه في الضحك، وقد ساعده ذلك في جذب انتباه قُرَّائه، والاستئثار به على وعورة المواضيع التي كان يعالجها. وبذلك استثمر الضحك وجعل له السخرية أسلوباً يستنكر به طبائع قومه وإسرافهم في التحلي بصفة البخل الذميمة، حيث " لم تقف جهود الجاحظ في ميدان الضحك عن سرد النكت والنوادر، والتوسل بالهزل والفكاهة، بل حاول أن يترك منظومة نظرية، وضّح فيها الدور الاجتماعي للإضحاك ووظيفته التعليمية والمعرفية وشروطه التداولية والإبلاغية." (الشايب في العنزي، 2015، ص74)، وبهذا تتمثل السخرية المضحكة عند الجاحظ في رؤية فكرية يعكس من خلالها احتجاجه عن طبائع الناس ونفسياتهم البخيلة وتوجُّهاتهم المغلوطة.

وقد يكون السبب الأول في سخرية الجاحظ هو خلقه الذميم، حيث كان قصير القامة، أسود البشرة، جاحظ العينين، ولعلّ منظره بثّ في نفسه الشعور بالنقص، الأمر الذي جعله ينكب على القراءة والمطالعة، وكان يسخر من نفسه في كثير من المناسبات، حيث روى عن نفسه الكثير من المواقف الساخرة، مثل السخرية من قبح صورته بهدف الضحك والتفكه، حيث قال معرضاً بقصر قامته:

ما أحجلني إلا امرأتان: رأيت إحداهما في العسكر، وكانت طويلة القامة، وكنت على طعام فأردت أن أمازحها فقلت: انزلي كلي معنا! فقالت: اصعد أنت لترى الدنيا! وأما الأخرى فإنها أتتني وأنا على باب داري، فقالت: لي إليك حاجة، أنا أريد أن تمشي معي، فقمتم معها إلى

أن أتت بي إلى صائغ يهودي، فقالت: مثل هذا، وانصرفت، فسألت
الصائغ عن قولها، فقال: إنها أتت إلي بفص، وأمرتني أن أنقش عليه
صورة شيطان، فقلت: يا سيدتي، ما رأيت الشيطان، فأنت بك!
(الجاحظي طه، 1978، ص60)

ومن جملة أخباره عن قبح صورته وسبيل ذلك التفكه، أنه روى: "ذُكرت للمتوكل
لتأديب بعض ولده، فلما رأي استبشع منظري فأمر لي بعشرة آلاف درهم
وصرفني" (ابن خلكان، 1972، مج3، ص471)، حيث بلغ الجاحظ موضعا من
السخرية لم يبلغه أحد قبله، وهو السخرية من نفسه وصفته. ولم يسلم الجاحظ من
سخرية أمه التي "سخرت به منذ صغره حينما تعبت في محاولة ثنيه عن القراءة
والانكباب على الإطلاع إلى عمل يكسب منه قوته، فقدمت إليه سخرة -لما طلب منها
طعاما - طبقا عليه كراريس!" (طه، 1978، ص62).

وكان ينتمي البخلاء الذين نكروهم الجاحظ إلى الطبقة الميسورة الحال آنذاك ودليل ذلك
قوله في موضع ذكر أهل مازح:

وأهل المازح لا يعرفون بالبخل، ولكنهم أسوأ الناس حالا، فتقتيرهم على قدر عيشهم.
وإنما نحكي عن البخلاء الذين جمعوا بين البخل واليسر، وبين خصب البلاد وعيش
أهل الجذب. فأما من يُضيق على نفسه لأنه لا يعرف إلا الضيق، فليس سبيله سبيل
القوم (الجاحظ، 2009، ص122).

ومن خلال ما ذكره نجد أن الجاحظ يميّز في قوله هذا بين صنفين من البخلاء،
فالصنف الأول هم من كان بخلهم بسبب حالتهم المعيشية الفقيرة (أهل مازح) أما
الصنف الثاني، فهم الأغنياء ميسورو الحال ولكنهم شديدي الحرص على الدرهم. أي

أنّ الجاحظ لم يخص الصنف الأول بسخريته، وإنّما كان يتجه بها إلى أصحاب الصنف الثاني وهم الميسورو الحال، المقترون على أنفسهم وليس بهم خصاصة. والبخل طبع ذميم تشمئز منه النفس البشرية وتتفر منه لكن الجاحظ بطبعه كان ميّالا للضحك والمزاح لذلك صور لنا البخيل ونفسيته بطريقة ساخرة، وكانت سخريته سخريّة هادفة ولم تكن فارغة من المضمون. والمتتبع لأسلوب السخرية في كتاب البخلاء يجد أنّها كانت تتراوح بين الفكاهة والانتقاد، وهذا ما أشار إليه العوبي (2013، ص245) عند تطرّقه لأنواع السخرية في كتاب البخلاء.

1.5.2. السخرية الفكاهية:

إنّ الفكاهة صفة متغلّطة في شخصية الجاحظ، فهو شخص يميل إلى المزاح والضحك، وكان، في بعض الأحيان، يقحم هذه الفكاهة حتى في مواقفه الجدية. وكان يولي أهمية كبيرة للضحك في حياة الإنسان ويرى أنّه لا غنى له عنه، بحيث يقول في "التربيع والتدوير":

ولو استعمل النَّاس الدمائيّة في كل حل، والجد في كل مقال، وتركوا التسمّح والتسهيل، وعقدوا في كل دقيق وجليل، لكان الشّرّ صراحا خيرا لهم، والباطل محضا أردّ عليهم، ولكن لكل شيء قدر، ولكل حال شكل. فالضحك موضعه كالبكاء في موضعه، والتبسم في موضعه كالقطوب في موضعه. (الجاحظ في عبيد، 1982، ص12)

ونجد من خلال ما جاء به الجاحظ أنّه يولي أهمية كبيرة للضحك والفكاهة لكن يقر بضرورة الموازنة بين الجد والمزاح.

وحرص الجاحظ حرصا شديدا أن تدخل فكاهته السرور على قلوب الناس، من خلال السخرية والهزل وذلك قصد الترويح عن النفس والتسلية.

ولقد تراوحت السخرية الفكاهية عند الجاحظ بين تصوير نفسي وحسي وتخللتها أساليب أخرى كالتعريض والدعابة والجدل.

ومثال السخرية الفكاهية قول الجاحظ على لسان شيخ من المسجدين:

ماء بئرنا، كما قد علمتم مالح أجاج، لا يقربه الحمار، ولا تسيغه الإبل، وتموت عليه النخل، والنهر منا بعيد، وفي تكلف العذب علينا مؤونة. فكنا نمزج منه للحمار فاعتل منه، وانتفض علينا من أجله؛ فصرنا، بعد ذلك، نسقيه العذب صرفا. وكنت أنا والنعجة كثيرا ما نغتسل بالعذب مخافة أن يعترني جلودنا منه مثل ما اعتري جوف الحمار. فكان ذلك الماء العذب الصافي يذهب باطلا. ثم انفتح لي فيه باب من الإصلاح، فعمدت الى ذلك المتوضأ، فجعلت في ناحية منه حفرة، وصهرجتها، وملستها، حتى صارت كأنها صخرة منقورة، وصوبت اليها المسيل، فنحن الآن إذا اغتسلنا صار الماء اليها صافيا، لم يخالطه شيء. ولولا التعبد لكان جلد المتغوط أحق بالنتن، من جلد الجنب، فمقادير طيب الجلود واحدة، والماء على حاله. والحمار أيضا لا تقزز له من ماء الجنابة، وليس علينا حرج في سقيه منه. وما علينا أن كتابا حرّمه، ولا سنّة نهت عنه، فربحنا هذه منذ أيام. وأسقطنا مؤونة عن النفس والمال. قال القوم: هذا بتوفيق الله، ومنّه. (الجاحظ، 2009، ص 29)

وفي هذه القصة تصوير نفسي نتجت عنه سخرية فكاهية مبطنّة، ساقها الجاحظ مساق الجدّ، ولقد صور لنا الجاحظ من خلالها حسرة الشيخ على الماء العذب الذي كان يُعطى للحمار والذي كان يستعمل للوضوء. ومن كثرة تأسف البخيل من ضياع مائه وحرصه على الاستفادة من كلّ شيء، وجد طريقة يستفيد بها من ماء الوضوء حيث

عمد إلى المتوضأ، وجعل من ناحيته حفرة، صوب إليها المسيل بعد أن ملّسها بالكلس لكي يعبر الماء بسلسلة، ويسقي بذلك الحمار من ماء الوضوء ذاك.

2.5.2. السخرية الانتقادية:

إنّ المتتبع لأسلوبالسخرية عند الجاحظ يجد في السخرية جانبا نقديا بارعا، ولقد شاعت سخريته الانتقادية في كتاب البخلاء وكان يريد بها الإصلاح والتأديب والتخلص من السلبيات المتفشية في ذلك العصر كالبخل والجشع والنفاق وغير ذلك، كما سبق وأن أشرنا.

ولقد كانت سخرية الجاحظ النقدية تظهر في قالب اجتماعي يصور الانحرافات السلوكية والنفسية للبخلاء، وجاءت على طريقة التصوير الحسي والنفسي لهؤلاء القوم باعتماده على أساليب شتى لبيان حجته.

ومن بين القصص التي تنطوي على السخرية الانتقادية في كتاب البخلاء نجد قصة الأصمعي، حيث يقول الجاحظ (2009، ص144):

تمشى قوم إلى الأصمعي مع تاجر كان اشترى ثمرته، لخسران كان ناله. وسأله حسن النظر والحطيطة. فقال الأصمعي: (اسمعتم بالقسمة الضيزي؟ هي والله ما تريدون من شيخكم عليه. اشترى منّي على أن يكون الخسران علي والربح له. هذا وأبيكم تجارة أبي العنيس. اذهبوا فاشتروا على طعام العراق على هذا الشرط. على أنني والله ما أدري أصادق هو أم كاذب. وها هنا واحدة، وهي لكم دوني -ولا بد من توجبون حقه وتوجبون رفته. ولو كنت أوجب له مثل ما توجبون لقد كنت أغنيته عنكم. وأنا لا أعرفه ولا يضربني بحق، فهلما نتوزع هذه الفضلة بيننا بالسوية. هذا حسن ممن احتمل حقا لا يجب عليه، في رضى من يجب ذلك علي). فقاموا ولم يعودوا. فخرج إليه التاجر ممن حقه، وايس مما قبله.

تتميز القصة باللوم والانتقاد المشوب بالسخرية للتاجر الذي أراد أن ينقص من ثمن التمر، حيث دعى الأصمعي القوم ليقسم معهم ما بقي من الثمر وذلك على سبيل التهكم والسخرية وانتقاده لهم لأنهم أوجبوا التاجر وهو لم يفعل وعلل أنه لو أوجبه كما فعلوا لأغناه وهو لا يعرفه. وفي ذلك يقول العوبي (2013، ص289) أن "في كل ذلك انعكاس لشكل الطابع العقلاني الذي يحرك به الجاحظ أبطاله إلى غاية ما يريد بأسلوبه الساخر الذي يشكل قوة في إضفاء صفة الحيوية المطلقة على موضوعاته".

6.2. خصائص السخرية عند الجاحظ:

كان للجاحظ أسلوبه الخاص في الكتابة ولهذا الأسلوب خصائص يتميز بها، حيث كان يميل بأسلوبه الفكاهي الساخر، تارة، لإخفاء سخريته من البخلاء ويشير إليها تضمينا وتلميحا ولا يتقطن إليها إلا صاحب ملكة، وتارة يميل إلى إخفائها والتصريح بمنبهات تدل عليها عن طريق الهزء والتعريض والتهكم، وفي ذلك يقول أبو عيسى (أبو عيسى العوبي، 2013، ص402): "فلا يكتفي فيها بالتعريض، بل يميل إلى إظهار الاستهزاء والتهكم، على أنه يحصن نفسه بنطاق الذوق السليم في إخراج تهكمه الموجه".

وبهذا تعكس خصائص أسلوب السخرية لدى الجاحظ براعته في انتقاء الألفاظ وصياغتها وبيان دلالاتها وقدرته على السبك المتين بعقل ناضج وذكاء لمّاح. ومن بين خصائص أسلوب السخرية التي وظّفها الجاحظ في البخلاء نجد:

1.6.2.التصوير:

استطاع الجاحظ أن ينقل لنا، من خلال البخل، صورة البخل في قالب واقعي حسي، حيث صوّر لنا شريحة البخل "بملابسهم وعاداتهم وسلوكهم ومنطقهم وصفاتهم النفسية والجسمية، فالجاحظ من الأدباء الذين عاشوا في فضاء الحقيقة، ولم يغرقوا في آفاق الخيال البعيدة" (المحروقي، 2010، ص27)، فاستطاع بذلك أن يبرز لنا نظراتهم وتحركاتهم وتقاسيم وجوههم وتعبيراتهم الجسدية وهياتهم وأن يكشف لنا نفسياتهم وأسرارها بأسلوب فُكاهي ساخر.

ولقد حرص الجاحظ أن يقرب صورة البخل المادية من خلال ملكة انتقاء الكلمات والوصف العجيب، فجعل القارئ يرى الصورة حيّة في ذهنه كأنّها أمامه. وتأتي خاصية التصوير في كتاب البخل في ثلاثة أنواع:

1.1.6.2. التصوير الكاريكاتوري:

إنّ التصوير الكاريكاتوري هو فن ساخر من فنون الرسم الفُكاهي الذي يغالي في إبراز العيوب، وذلك بالتهويل في إبراز السمات الواضحة أو الشاذة في الصورة، بغية إحداث أثر ضاحك أو ساخر (العوبي، 2013، ص405).

يظهر لنا هذا التصوير الكاريكاتوري في كتاب البخل في حلّة ساخرة فكاهية وذلك عن طريق التلميح إلى العيوب الجسمية أو الخلقية أو المظهرية، وذلك لأن هذه الأصناف كثرت في عصر الجاحظ وكانت تشكل مادّة دسمة لسخريته.

ومن أمثلة التصوير الكاريكاتوري في كتاب البخلاء، قصة ليلي الناعطية والتي يسخر

فيها من مظهرها البالي من شدة البخل ويقول:

وأما ليلي الناعطية، صاحبة الغالية من الشيعة، فإنها مازالت ترقع قميصا لها
وتلبسه، حتى صار القميص الرّقاع، وذهب القميص الأول. ورفرت كساءها ولبسته،

حتى صارت لا تلبس إلا الرّفوف، وذهب جميع الكساء. وسمعت قول الشاعر:

البس قميصك ما اهتديت لجيبه *** فإذا أضلك جيبه فاستبدل

فقلت: إنّي إذا خرّقاء. أنا_والله_ أحوص الفئق وفتق الفئق، وأرقع الخرق وخرق

الخرق (الجاحظ، 2009، ص37).

استطاع الجاحظ من خلال قصة ليلي الناعطية أن يصور لنا مظهرها الخارجي

تصويرا كاريكاتوريا ساخرا، فمن شدة بخلها وترقيعها للباس زال أصله ولم يبقى غير

الرقاع، ومن المتعارف عليه أن المرأة تهتم بنفسها وبمظهرها الخارجي وتسهر على أن

تظهر بأحسن حلة لديها، لكن بخل ليلي الناعطية الشديد أفقدها حس الاهتمام وأفقدتها

تكريمها لنفسها.

ورُزق الجاحظ ملكة التحليل والتصوير، وكان فطنا لأدق التفاصيل، فبراعته في

الوصف والتمثيل جعلته قادرا على نقل الصورة بجميع تفاصيلها حتى النفسية منها في

أسلوب كاريكاتوري قصصي جميل.

ويتجسّد التصوير الكاريكاتوري عند الجاحظ كذلك فيما حكاه على لسان الحارثي، وهو

من بين الشخصيات التي ركّز عليها الجاحظ في تأليفه لكتاب البخلاء، حيث قال

مصورا هيئة الأسواري وهو يأكل:

والله إني لم أترك مؤاكلة الناس واطعامهم إلا لسوء رعة علي الأسواري لتركته. وما ظنكم برجل نهش بضعة لحم تعرقا، فبلع ضرسه وهو لا يعلم. فعل ذلك عند ابراهيم بن الخطاب، مولى سليم. وكان إذا أكل ذهب عقله، وجحظت عينه، وسكر وسدروانبهر وتربد وجهه وعصب ولم يسمع، ولم يبصر، فلما رأيت ما يعتريه وما يعترى الطعام منه، صرت لا أذن له إلا ونحن نأكل التمر والجوز والباقلي. ولم يفاجأني قط وأنا أكل تمرا إلا استفه سفا، وحساه حسوا، وزدا زدوا ولا وجده كنيزا إلا تناول القطعة كجمجمة الثور، ثم يأخذ بحضينها، ويقلها من الأرض. ثم لا يزال ينهشها طولا وعرضا، ورفعا وخفضا، حتى يأتي عليها جميعها. ثم لا يقع غضبه إلا على الأصناف والاثلاث. ولم يفصل ثمرة قط من ثمرة. وكان صاحب جمل و لم يكن يرضى بالتفريق. ولا رمي بنواة قط، ولا نزع قمعا. ولا نفي عنه قشرا، ولا فتشه مخافة للسوس والدود. ثم ما رأيت قط إلا وكان طالب ثار، وشحشان صاحب طائلة وكأنه عاشق مغتلم. أو جائع مقرر" (الجاحظ، 2009، ص ص 79-80)

وفي هذه القصة برع الجاحظ في تصوير الأسواري وهو يأكل بنهم تصويرا كاريكاتوريا دقيقا يجعل القارئ يرسم صورة الأسواري في ذهنه كأنه يراها أمامه، ودليل ذلك دقة وصفه للأسواري في قوله " كان إذا أكل، ذهب عقله، وجحظت عينه، وسكر وسدر، وانبهر وتربد وجهه وعصب، ولم يسمع، ولم يبصر [...] وفي هذا وصف دقيق ساخر لهيأة الأسواري وطريقته في الأكل وما يزيد السخرية بيانا قوله: " وما ظنكم برجل نهش بضعة لحم تعرقا فبلع ضرسه وهو لا يعلم" فمن شدة شره الأسواري لم ينتبه إلى أنه بلع ضرسه إلى أن استقر في بطنه ولم يبالي. ومن بين الأوصاف التي تثبت لنا الصورة الساخرة قوله " استفه سفا وحساه حسوا وزاد به زدوا" لم يتوانى الجاحظ في تقريب الصورة للقارئ عن طريق دس بعض التشبيهات في قوله " تناول القطعة كجمجمة الثور، ثم لا يزال ينهشها طولا وعرضا ورفعا وخفضا حتى يأتي عليها جميعها".

2.1.6.2. التصوير النفسي:

غاص الجاحظ في شخصية البخلاء، وتمكّن بذلك أن يقدّم لنا صورة غاية في الإتقان عن نفسيتهم، حيث "رسم لنا محيط البخيل الذي يتحرّك فيه، وبيئته التي يعيش فيها، كلّ هذا وظّفه الجاحظ ليقدم لقارئه نفسية البخيل، بما يخالطها من وساوس وأفكار، وما يعتريها من خوف وقلق دائمين" (المحروقي، 2010، ص31).

ويتجه هذا التصوير إلى وصف الأمور الباطنية للنفس الإنسانية، فهو:

وصف للأخلاق والعادات، وخاصة النقائص والعيوب الذاتية، وأثرها في المجتمع من خلال تصوير صاحبها في بعده الجسمي وحركاته وأقواله، على أن تكون كل التفاصيل الدقيقة الخارجية معبرة عن دخيلة النفس وبواعث أفعالها، ويتطلب هذا التصوير مقدرة فنية نادرة لإطواء النفس، وحتى تتضح المدلولات المستعصية دون أن يفتن أكثر الناس لدلالاتها. وتتألف من مجموع الخصائص والسمات وحدة تبين عن نمط حي من الناس، محددا كل التحديد لا يشتهه غيره. (غنيمي في العوبي، 2013، ص410).

وهذه الصورة الخلقية تعتمد على دقائق الواقع ومدلولاته المباشرة، في شكل لوحة، نستدل من معالمها الخارجية على جوانبها النفسية، وكل هذا في واقعية نفسية وتصويرية، ترتبط بالتحليل العلمي للعواطف والانفعالات والميولات النفسية. (العوبي، 2013، ص410)

ولقد اهتم الجاحظ كثيرا بالسلوكيات الإنسانية وكشف أسرار طبائع الناس في عصره ونزعاتهم، الأمر الذي جعله خبيرا في تحليلها وملاحظتها وتصويرها تصويرا نفسيا من خلال حركاتهم وأقوالهم وتصرفاتهم. ونجد هذا التصوير النفسي في كتاب البخلاء ذا

غلبة، ومن بين ما جاء من هذا النوع قصة معاذة العنبرية التي رواها على لسان أحد

الشيخوخ المسجدين ويقول فيها:

أهدى إليها العام ابن عم لها أضحية. فرأيتها كثيبة حزينة مطرقة، فقلتُ لها: مالك يا مُعَاذَة؟ قالت أنا امرأة أرملة وليس لي قيم، ولا عهد لي بتدبير لحم الأضاحي. وقد ذهب الذين كانوا يدبرونه ويقومون بحقه. وقد خفت أن يضيع بعض الشاة، ولست أعرف وضع جميع أجزائها ي أماكنها. وقد علمت أن الله لم يخلق فيها ولا في غيرها شيئاً لا منفعة فيه. ولكن المرء يعجز لا محالة. ولست أخاف من تضييع القليل إلا أنه تضييع الكثير. (الجاحظ، 2009، ص33)

ثم راح الجاحظ يصوّر لنا ما تفعله بكل جزء من أجزاء الأضحية قائلاً على لسان معاذة:

أما القرن فالوجه فيه معروف، وهو أن يُجعل منه كالخطاف، ويسمّر جذع من أجداع السقف، فيعلق عليه الزبل والكيران، [..]. وأما المصران فإنه لأوتار المندفة، وبنا إلى ذلك أعظم الحاجة. وأما قحف الرأس واللحيان وسائر العظام فسيبيله أن يُكسر بعد أن يُعرق، ثم يطبخ، فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللإدام وللعصيدة ولغير ذلك، ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها، فلم ير الناس وقوداً قطّ أصفى ولا أحسن لها منه. وإذا كانت كذلك فهي أسرع في القدر، لقلّة ما يخالطها من الدخان. وأما الإهاب فالجلد نفسه جراب. وللصوف وجوه لا تعد. وأما الفرث والبعر فحطب إذا جفّ عجيب.

ثم قالت: بقي الآن الانتفاع بالدم. وقد علمت أنّ الله -عزّ وجلّ- لم يحرم من الدّم المسفوح إلاّ أكله وشربه، وأنّ له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها، وإنّ أنا لم أقع على علم ذلك حتّى يوضع موضع الانتفاع به، صار كية في قلبي وقذى في عيني، وهما لا يزالان يعودني. قال: فلم ألبث أن رأيتها قد طلقت وتبسمت. فقلت: ينبغي أن يكون قد انفتح لك باب الرأي في الدّم. قالت: أجل نكرت أنّ عندي قدورا شامية جُددا. وقد زعموا أنه ليس شيء أدبغ ولا أزيد في قوتها من التلطّيح بالدم الحار الدسم. وقد استرحت الآن، (الجاحظ، 2009، ص34)

لقد صوّر لنا الجاحظ من خلال هذه القصة نفسية البخيل الذي يظن أنه يحسن

التدبير، فمعاذة العنبرية كانت، في بادئ الأمر، حزينة لعدم معرفتها كيفية تدبير

الشاة، وخوفها من أن يضيع شيء من الأضحية، فالقليل يجر وراءه الكثير. وتظهر سخرية الجاحظ من نفسية معاذة البخيلة في طابع خفي لأنه نقل الحوار بين الشيخ ومعاذة ولم يتدخل بأي رأي، حيث برع في نقله المفصل لكيفية استفادتها من الشاة وجعلنا نتصور كيفية تدبيرها لكلّ جزء منها. ويبين تصويره لنا لمدى حزنها حينما لم تدرك كيفية الاستفادة من الدم في قوله "بقي علينا الآن الانتفاع بالدم... وإن لم أقع على علم ذلك... صار كية في قلبي، وقدي في عيني [...]"، تلك السخرية الخفية من نفسياتها الشحيحة. كما فاجأ الجاحظ قارئه في نهاية القصة بأن معاذة، وبعد ستة أشهر، لم تتناول فيها لحما ولا قديدا واكتفت بالشحم والعظام، وفي ذلك تأكيد لبخل معاذة وليس حسن تدبير واقتصاد كما يزعم أمثالها.

3.1.6.2. التصوير الواقعي:

إنّ قصص الجاحظ التي وردت في البلاء بدت لنا أقرب إلى الواقعية، فهو لم يكن يسعى إلى المبالغة والإبتعاد عمّا لا يمكن للعقل أن يتقبله، فقد حرص على أن يقدم للقارئ أحداثا وقعت فعلا. فالجاحظ كان أمينا في تصويره للبلاء تصويرا حسيا نفسيا وفكاهيا يرتبط ارتباطا وثيقا بالواقعية، فكان يحكي ما كان في الناس وما يجوز أن يكون فيهم، على حد تعبير الجاحظ. وواقعية الجاحظ يؤكدّها طه الحاجري (الحاجري في الجاحظ، 2009، ص ص 25-26) في مقدمة كتاب البلاء قائلا أنّه "أدب واقعي لا أدب خيالي، وهذه الواقعية تظهر في نواحيه المختلفة، ومنها أنّه يعتمد على

إبراز الصورة كما يراها الرائي، وكما يرسمها المصور، لا على الصورة الخيالية التي ينتزعها الخيال والتي يستعين بها الشعر من التشبيه والمجاز والاستعارة".

وما يعزز هذا القول ما جاء به أحمد (2005، ص122) في قوله:

على الرغم من رفض الجاحظ لضروب سلوك البخلاء، والمبذرين، ومناقشته لحججهم وأفكارهم الخاطئة، وردّها عليهم، إلا أنّه ظلّ أميناً في تصوير الوقائع، واقعياً في تعامله مع أخلاقهم، موضوعياً في أحكامه، ولذلك لم يمنعه اعتراضه عليهم من الإعجاب بذكائهم وفطنتهم وظرافتهم ميوطرافتهم، كما لم يقده ذلك إلى التبرم بهم أو النفور منهم أو السخط عليهم، وهذا يبدو بالتلميح والتصريح في كثير من مواضع كتابه في البخلاء وكتبه ورسائله الأخرى.

ولقد تخلل واقعية الجاحظ نوع من السخرية فهو كان يصور هؤلاء البخلاء والطفيليين ومدعيي الكرم في أسلوب ساخر واقعي، فهو لم يزد أو ينقص عليهم شيئاً، وصوّر حياتهم دون تزييف أو تحريف. وما سمح له أن ينقل لنا الصورة الواقعية كما هي هو مخالطته لجميع طبقات المجتمع وكان عالماً بسلوكياتهم وطبائعهم، فلقد تميّز الجاحظ بدقة الملاحظة وبخيال خصب واسع، لا يغفل عن التفاصيل فكان لا يفارق لا كبيرة ولا صغيرة في مجتمعه إلا وغاص فيها وسبر أغوارها وكان يصوّرنا تصويراً واقعياً دقيقاً.

ويقول العوبي (2013، ص414) في هذا الأمر: "وما كتاب البخلاء إلا صفحة مشرقة لهؤلاء البخلاء الذين ظهروا على مسرح المجتمع العباسي. وقد صوّر طبيعتهم في

أسلوب ساخر واقعي، ليس فيه تزوير، وإنما فيه تصوير وتسجيل لتلك الظاهرة الخسية التي اتخذ منها البعض مذهباً في الحياة".

إنَّ خاصية الواقعية في السخرية هي خاصية تميّز بها كتاب البخلاء ولقد طغت هذه الخاصية على معظم القصص والنوادر التي رواها في كتابه، وذلك لأنها قصص حقيقية نقلها عن مجتمع غلبت عليه صفة البخل ونمت فيه.

ومن بين القصص التي تعكس خاصية الواقعية في السخرية قصة الشيخ الأهوازي وينقلها لنا الجاحظ (2009، ص ص 147-148) قائلاً:

وقال رمضان: كنت مع شيخ أهوازي في جعفرية، ومنت في الذئب وكان في الصدر. فلما جاء وقت الغداء، أخرج من سلة له دجاجة وفرخا واحدا مبرّدا، وأقبل يأكل ويتحدث ولا يعرض علي. وليس في السفينة غيري وغيره. فرآني أنظر إليه مرة، وإلى ما بين يديه مرة فتوهم أنني أشتهيه واستبطئه، فقال لي: «لم تحق النظر؟ من كان عنده أكل مثلي، ومن لم يكن عنده نظر مثلك». قال: ثم نظر إلي وأنا أنظر إليه، فقال: "يا هناه أنا رجل حسن الأكل، لا أكل إلا طيب الطعام وأنا أخاف أن تكون عينك مالحة. وعين مثلك سريعة، فاصرف عني وجهك" قال: فوثبت عليه، فقبضت على لحيته اليسرى، ثم تناولت الدجاجة بيدي اليمنى، فما زلت أضرب بها رأسه حتى تقطعت في يدي. ثم تحول إلى مكاني، فمسح وجهه ولحيته، ثم أقبل علي فقال: "قد أخبرتك أن عينك مالحة، وأنت ستصيني بعين". قلت: "وما شبه هذا من العين؟" قال: "إنما العين مكروه يحدث. فقد أنزلت بنا عينك أعظم المكروه". فضحكت ضحكا ما ضحكت مثله، وتكالمنا حتى كأنه لم يقل قبيحا، وحتى كأنني لم أفرط عليه".

لقد نقل الجاحظ في هذه القصة الصورة كما جاءت في الواقع دون تزوير أو مبالغة وعكس فيها واقع الحياة آنذاك، حيث جاء أسلوبه الساخر في السرد معبرا عن قصد البخيل بالاحتفاظ بالطعام لوحده وعدم مشاركته. وفي هذه القصة واقعية محضة

صورت البخيل حق تصوير دون ستر أو إخفاء للحقائق، وجاءت السخرية في هذه القصة من واقع محاولة صدّ هذا الرجل البخيل صديقه عن الطعام وتحولّه من بخيل إلى ضحية عين مألحة أوقعت عليه أعظم مكروه، وهذا التحول أعطى للقصة صيغة هزلية مضحكة.

إنّ هذا التصوير الواقعي للحياة والأفكار والأسلوب في كتاب البخلاء والمتضمن الأسلوب الساخر، يتعمّده الجاحظ لتأكيد صفة البخل المتفشية في عصره فينقل صورة وفكرة الواقع المحسوس في قالب يتميّز بالسخرية.

إن خصائص الأسلوب الساخر الذي تميّز به الجاحظ ما هو إلا امتداد لثقافته الواسعة ومعرفته لطبائع الناس، ودقّة ملاحظته وقدرته على سبر أغوار النفس البشرية وتحليل ما يختلجها من أفكار وطبائع، بالإضافة إلى تميّزه في انتقاء الكلمات وتوظيفها توظيفا أميناً واقعياً يقرب للقارئ الصورة الحسية والنفسية كأنه يراها بعينه، وذلك في طابع فكّه يعكس النفس السمحة المتهاهلة الضحوة للجاحظ. فقد كان ينقد ويتفكّه ليصلح ويؤدب لا غير.

7.2. أساليب السخرية عند الجاحظ:

إن ملكة الجاحظ اللغوية وبراعة الصياغة وجودة السبك والحبك لديه مكّنته من دسّ السخرية في كتاب البخلاء بطريقة لا نكاد نلاحظها، واعتمد في ذلك على أساليب بلاغية مختلفة، نذكرها فيما يلي:

1.7.2. التعريض:

التعريض أسلوب كلام غير مباشر، لا يصرّح فيه بمراد الكلام، لكن يشار إليه تلميحاً أو إيحاءً، وهو يشبه الكناية لكنه أخفى منها، ويؤكد ذلك الميداني (1997، ج2، ص 152) قائلاً: " التعريض طريقة من الكلام أخفى من الكناية، فلا يشترط في التعريض لزوم ذهني، ولا مصاحبة، ولا ملابسة ما بين الكلام وما يراد الدلالة به عليه، إنّما قد تكفي فيه قرائن الحال، وما يفهم بها من توجيه الكلام، وبهذا يظهر الفرق بين الكناية والتعريض".

وبهذا يراد بالتعريض إيصال معنى ما للسامع دون التصريح به، ويفهم معناه من سياق الكلام، كأن يقول الرجل لزميله "إنني متعب اليوم، والعمل كثير، تعريضا بأنه يريد من زميله مساعدته في العمل".

استخدم الجاحظ التعريض لأنه أسلوب غير مباشر يخفي من خلاله سخريته من البخلاء، وغالبا ما يأتي التعريض بغرض الفكاهة والضحك والتندر في كتاب البخلاء. وكثيرا ما يستخدمه الجاحظ مصرحا به في الكلام ومثال ذلك قوله عن أحمد ابن خلف: " وكان لا يفارق منازل إخوانه. وإخوانه مخاصيب مناويب، أصحاب نفخ وترف. وكانوا يُتحفونه ويُدلّونهم[...].، ولم يشكوا أنه سيدعوهم مرة، وأن يجعلوا بيته نزهة ونشوة، فلما طال تغافله، عرضوا له بذلك فتغافل، صرّحوا له". إنّ في قول

الجاحظ "عرّضوا له تأكيد على أنهم لمّحوا له أن يدعوهم إلى بيته بأسلوب غير مباشر. وهذا هو أسلوب التعريض.

2.7.2. التورية:

وهي من المحسنات الجمالية البديعية، وهي من أساليب البديع المعنوية، وتتضمن معنيين أحدهما ظاهر والآخر باطن. وتسمى الإيهام والتخييل والمغالطة والتوجيه، وهي أن يتكلم المتكلم بلفظ مشترك بين معنيين: قريب وبعيد، ويريد به البعيد، يوهم السامع أنه أراد القريب" (الزركشي، د.ت، ج3، ص445). أي أنها "تعبير كلمة عن معنيين متباعدين، أحدهما قريب الحضور على البال، وهو غير مقصود، والثاني بعيد الحضور على البال وهو مقصود" العويبي (2013، ص291). وهي أسلوب يُستغل لإخفاء السخرية لما تتضمنه من إيهام ومغالطة وإخفاء للمعنى المراد.

وتنقسم التورية إلى ثلاثة أقسام (الميداني، 1997، ج2، ص ص373-374):

1.2.7.2. التورية المجردة: وهي التي لم تقترن بما يلائم المعنى القريب، ولا بما يلائم المعنى البعيد. أي ألا تكون هناك لازمة (لفظ أو عبارة) تدل على المورى به (المعنى القريب)، ولا عن المورى عنه (المعنى البعيد). ومثالها قول سراج الدين الورّاق

أصون أديمَ وجهي عن أناس لقاء الموت عندهم الأديبُ

وربُّ الشعر عندهم بغيضٌ ولو وافى به لهم حبيبُ

كلمة "حبيب" لا يراد بها المعنى القريب وهو المحبوب، بل يراد بها المعنى البعيد، وهو اسم الشاعر أبي تمام "حبيب بن أوس"، وهي تورية مجردة لعدم اقتران المعنيين سواء القريب أو البعيد بلازمة تدل عليه.

2.2.7.2. التورية المرشحة: وهي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب، سواء أكان هذا المقارن قبل اللفظ المستعمل في التورية أو بعده. أي أن تُذكر فيها لازمة (لفظ أو عبارة) تدل على المعنى القريب وبذلك يُؤارى المعنى البعيد المقصود. ومثال ذلك قول الشاعر "صلاح الصفدي":

وصاحب لما أتاه الغنى تاه ونفس المرء طمّاحه

وقيل: هل أبصرت منه يدا تشكرها قلت ولا راحه

وكلمة "راحة" لها معنيان: أحدهما يدل على المعنى القريب وهو راحة اليد، وهو المعنى القريب الذي تستدعيه عبارة "يدا تشكرها" وهو المعنى المُرَوى به، أما المعنى الثاني فهو المعنى المُرَوى عنه وهو المعنى المقصود المتمثل في راحة الجسم من التعب. والتورية هنا مرشحة لاقترانها بما يلائم المعنى القريب.

3.2.7.2. التورية المبيّنة: وهي التي اقترنت بما يلائم المعنى البعيد المقصود باللفظ. أي أن تكون هناك لازمة (لفظ أو عبارة) يهتدي بها السامع إلى المعنى البعيد وتكون هذه اللازمة قبل أو بعد لفظ التورية، كقول البحري:

وراء تسديد الوشاح مليّة بالحسن تملح في القلوب وتعذب

ولفظ التورية "ملح" تحمل معنيين، الأول هو معنى الملوحة أي ضد العذوبة، وهو المعنى المورى به (معنى قريب غير مقصود)، والمعنى الثاني وهو المورى عنه (البعيد المقصود) ويتمثل في الملاحاة أي الحسن، وقد تقدّمت لازمته في عبارة "مليّة بالحسن".

3.7.2. التهكم:

هو صورة من صور السخرية، ويسوق فيه المتكلم أقوالا لا يؤمن بها وهي عنده باطلة، لكن يتظاهر بصدقها والاعتقاد بها على سبيل التهكم. كما أنّ التهكم ظاهره جدّ وباطنه هزل. ويهتدي الساخر إلى هذا الأسلوب رغبة فيه من توجيه النقد لمستمعه بشكل غير مباشر خوفا من التجريح. وهو عند البلاغيين "الخطاب بلفظ الإجلال في موضع التحقير، والبشارة في موضع التحذير، والوعد مكان الوعيد، والعذر في موضع اللوم، والمدح في معرض السخرية. (المدني في الغزالي، 1414هـ، ص304).

ومثال التهكم قوله عزّوجلّ: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (سورة التوبة: 34)، وفي هذا المثال بشارة بالعذاب والأصل أنّ العذاب لا يُبشّر به وإنّما يُحذّر منه. لكن وُضعت "البشارة موضع التحذير بقصد السخرية والتهكم" (الغزالي، 1414هـ، ص306). وهو أسلوب استعمله الجاحظ في معرض التصوير النفسي والحسي والكاريكاتوري في كتاب البخلاء، وسنرى ذلك لاحقا في القسم التطبيقي.

4.7.2. الحوار الجدلي:

شاع هذا النوع من السخرية في الثقافة اليونانية. وكان سقراط يستعمله ضد السفسائيين في تظاهره بجهل الحقيقة للبرهنة على بطلان إدعاءاتهم بالمعرفة. وتفتت ظاهرة السفسطة³⁵ في العصر العباسي تأثرا بالثقافة اليونانية، واستعمله بخلاء الجاحظ للمراوغة وتبرير مذهبهم في البخل من خلال الحجج والبراهين، وهي حجج باطلة يقصد بها البخيل تضليل الحقيقة. ولقد كان الجاحظ متأثرا، بدوره، بالثقافة اليونانية، وبفضل تمرسه في المناظرة والجدل وإبداعه في التعليل والبرهنة، من جهة. واطلاعه على دواخل البخلاء وتغلغله في نفسيتهم، من جهة أخرى، استطاع الجاحظ أن يكشف ما يُضمره البخلاء من خلال السخرية عن طريق الحوار الجدلي.

ومعنى هذا أنّ الجاحظ "يتمتع بعقلية جدلية ممتازة مبدعة متمرّنة على فن التعليل الأسلوبى، وهو مظهر من مظاهر النزوع العقلي والميل إلى الجدل وقد تطبع الجاحظ بالطابع العقلي المنطقي، وتجلّ ذلك في فن السخرية لديه الذي تصبّغ بصبغة عقلية واضحة" (العوبي، 2013، ص ص442-443).

5.7.2. القياس العقلي:

يرتبط القياس العقلي بالمنطق ويُعوّل عليه لقياس الكلام حسبما يقتضيه العقل والحكمة. وكثُر هذا الأسلوب، على رأي العوبي (2013، ص287)، في النثر العباسي للتعَمّق في الأحكام الفكرية بالإكثار من الحجج المنطقية والبراهين العقلية، ولقد لعب

35- أصبحت تسمى المغالطة في العصر الحديث

المعتزلة وأصحاب الكلام دورا حاسما في هذا الميدان، حيث جعلوا من الكلام عيارا في كلّ نظر، فغلبت النزعة العقلية على تفكيرهم وأسلوبهم.

ونظرا لثقافة الجاحظ المستمّدة من الفلسفة نجد في كتاباته أثرا كبيرا بهذه النزعة العقلية وجاءت بعض أساليبه في السخرية على شاكلتها، حيث برع، بلسانه أو عن طريق ما أخبرنا به على لسان غيره، في توظيف العقل والمنطق من خلال القياس العقلي لإبطال غاية بخلائه بأسلوب ساخر فكّه.

6.7.2. الرد بالمثل:

وهو إعادة المستمع لكلام المتكلم مثلما جاء به ويّصف صاحبه بسرعة البديهة والقدرة على ربط الأحداث والمعارف السابقة مع بعضها وينتج عن ذلك سداد الرأي في اختيار الردود المناسبة. ويأتي في كثير من الأحيان على سبيل التندرّ والتفكه. ويقول العوبي (2013، ص269) في ذلك " هو أسلوب يقوم على المفاجأة البارة المنبثقة من حضور البديهة، وسرعة الخاطر، والمهارة في اختيار الرد المناسب الذي يصاغ أحيانا في قالب السخر الفكاهي". واستخدمه الجاحظ في بيان أسلوب السخرية الفكاهية في كتاباته، وتأتي السخرية من خلال الرد بالمثل مبطنّة خفيّة كونها تُصاغ في قالب غير مباشر، ويصبغها عنصر المفاجأة لأن المتكلم لا ينتظر من السامع إعادة كلامه ولا يرى سببا ظاهرا لذلك.

7.7.2. الدعابة:

الدعابة هي المبالغة في المزاح، وهي تترد السامة وتزيل الهموم. وهي لون من ألوان السخرية ساقها لنا الجاحظ على لسان شخصياته ويقول العوبي (2013، ص281)" أنها غالبا ما تكون بين الأصدقاء والأوداء مشاركة بين الضاحك والمضحك منه، ومفاكهة يسر بها الشخص نفسه، ويسر غيره". وتكون السخرية عن طريق الدعابة باتخاذ إحدى الصفات السلبية للشخص موضعا للاستهزاء لكن سبيلها ليس التهكم وإنما الضحك فقط.

8.7.2. التلميح:

هو إستراتيجية تداولية غير مباشرة يكون فيها المعنى المقصود ضمنى ويُلمح إليه عن طريق قرائن يستدل من خلالها المستمع على ما يلمح له المتكلم، فقد يكون الخطاب في صيغة المدح ويراد به السخرية، ويعرفها الشهري (2004، ص370) بأنها "الاستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق".

إنّ المتتبع لكتاب البخلاء يجد أن الجاحظ تارة يصرح بما يريد إيصاله مباشرة وتارة أخرى يلمح إليه فقط، مبقيا على منبّه يستدل به القارئ على المعنى المراد ويستدعي ذلك ذكاء وفطنة، ويأتي التلميح في شكل استعارة أو كناية أو مجاز... الخ.

9.7.2. الكناية:

هي أن تصرّح بشيء وتريد غيره. ويقال لغة كَنَى عن الأمر بغيره، يعني أنّه تكلم بغيره

مما يُستدلّ عليه (الميداني، 1997، ج2، ص135)

ويعرّفها الجرجاني (1413هـ، ص66) بقوله "أن يريد المتكلم إثبات معنى من

المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللّغة، ولكن يومئ إلى معنى هو تاليه وردفه

في الوجود، فيومئ إليه ويجعله دليلا عليه". أي أن المخاطب يصرّح بقصديته

التواصلية بطريقة غير مباشرة، بترك قرينة في معنى اللفظ تدلّ عليها "فأصل الكناية

ترك التصريح بالشيء، وستره بحجاب ما، مع إرادة التعريف به بصورة فيها إخفاء ما

بحجاب غير ساتر سترًا كاملاً" (الميداني، 1997، ج2، ص135).

وبما أن الكناية فيها إخفاء للمعنى المراد وظّفها الجاحظ لإدراج سخريته دون التصريح

بها مباشرة، وكان له في ذلك غاية بليغة تتمثل في النقد بدون تشنيع، حيث يتحدّث

الجاحظ عن البخيل ولا يستعمل هذه الصفة مباشرة، لكن يترك قرينة تدلّ عليها في

المعنى مثل "قبض يده" أو "يده مغلولة".

10.7.2. المبالغة:

تستعمل المبالغة لتجاوز الحقيقة والخروج عن المألوف ليصل إلى درجة الخيال. وهي "

الزيادة بالشيء إلى حدّه الذي هو له في الحقيقة، يقال لغة: بالغ في الأمر مبالغة

وبلاغا، إذ اجتهد فيه واستقصى، وإذا غالى فيه أيضا" (الميداني، 1997، ج2، ص450).

ولقد تعددت الآراء حول قبول هذا الأسلوب حيث يرفض جمهور المتشددّين المبالغة رفضا مطلقا، لخروجها عن منهج الحق والصدق ومنهم من يرخّصها للضرورة الأدبية بدعوى أن أعذب الشعر أكذبه. أمّا جمهور العلماء والأدباء فقد توّسطوا في الأمر، فقبلوا من المبالغة ما كان منها حسنا جميلا جاريا مجرى الاعتدال. (الميداني، 1997، ج2، ص450).

استخدم الجاحظ المبالغة للسخرية من البخلاء خاصة في التصوير الكاريكاتوري وبالأخص البخيل الأكلول النهم، لتصبح نتيجة المبالغة الضحك والتندر، بالإضافة إلى السخرية من مبالغة البخلاء في سوق الحجج والبراهين للدفاع عن مذهبهم في البخل. وتتقسم المبالغة إلى ثلاثة أقسام (الميداني، 1997، ص451):

1. التبليغ، وهي المبالغة الممكنة عقلا وعادة.
2. الإغراق، وهي المبالغة الممكنة عقلا لا عادة.
3. الغلو، وهي المبالغة غير الممكنة لا في العادة ولا في العقل.

11.7.2. المغالطة:

هي نزعة سفسطائية تقوم على المراوغة والتضليل والخداع والحيل وتبني على الاستدلال الخاطئ لكن صاحبها يسوقها في مظهر الصحة ويستند فيها إلى الكذب

ليفنع مستمعه وذلك من خلال التعليل بالحجج الخاطئة. ويعرّفها "براون وستيوارت" - Browne & Stuart (2014، ص74) بأنها "خدعة الاستدلال التي قد يستخدمها المؤلف أثناء محاولته إقناعك قبول الاستنتاج" ويقوم المغالط بذلك من خلال الاعتماد على الاستدلال المضلل، ويقوم بالتصريح بمعلومات تبدو للمستمع أنها ترتبط بالاستنتاج لكنّها غير ذلك لأنّها مبنية على فرضيات مغلوبة خالية من الصياغة المنطقية.

ويقول الجاحظ في المغالطة "إذا أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كلّ خطيب فأظهار ما غمض من الحقّ وتصوير الباطل في صورة الحق" (الجاحظ، 1998، مج1، ص113)، أي أن يعتمد المتكلم المغالط إلى وضع الحق موضع الباطل والباطل موضع الحق.

ويميل الجاحظ إلى فضح مغالطات البخلاء لأنّه كان واعيا بحججهم المغالطية، ويظهر ذلك جلياً من خلال تقنياته السردية، فكثيراً ما يترك الجاحظ دلائل توجّه القارئ إلى أن حجج البخيل باطلة من خلال تعليق في ختام القصة أو بادئها ومثال ذلك قوله في قصة المروزي، حيث يقول المروزي للزائر إذا أتاه وللجليس إذا طال جلوسه، تغديت اليوم؟ فإن قال: نعم. قال: لولا أنّك تغذيت لغذيتك بغذاء طيب. وإن قال: لا، قال: لو كنت تغديت لسقيتك خمسة أقداح، فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير"، وبهذا التعليق الذي يظهر في آخر القصة هو من قبيل "الأسلبة الجليّة التي

توجّه الخطاب وتجعل بينه وبين متلقيه مسافة مقصودة، وهذا يعني أنّ خطاب السارد إنّما يحاصر خطاب البخيل ويوجّه القارئ إلى تقبله توجيهها حاجيا مؤثرا" (بوصباط، 2015، ص ص97-98)

ولقد قسّم القرطجاني المغالطات إلى قسمين (القرطجاني في الدردي، 2011، ص130):

- التموهيات، وهي جملة من الحجج التي ترمي إلى الإيقاع بالمتلقي وحمله على الإذعان والحال أنّها لم تأتي بحجج صحيحة.
- الاستدراجات، وتشمل ما يثير به المتكلم متلقيه بوصفه ومدحه والتقرّب إليه.

12.7.2. الاستفهام الساخر:

هو من أنواع الإنشاء الطلبية، والأصل فيه طلب الإفهام والإعلام لتحصيل فائدة علمية مجهولة لدى المستفهم، وقد يراد بالاستفهام غير هذا المعنى الأصلي له، ويُستدل على المعنى المراد بالقرائن القولية أو الحالية. (الميداني، 1997، ج1، ص258).

ويأتي الاستفهام من خلال ألفاظ وأدوات مقترنه به، موضوعة له لتدل عليه: الهمزة، وهل، وما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنى، ومتى، وأيان ومهما وكأين وكذلك" (القزويني والقرطجاني في الغزالي، 1414هـ، ص70).

وقد تستعمل الأدوات "مهما وكأين وكذلك" في غير الاستفهام مما يناسب المقام بحسب معونة القرائن. (التقتراني في الغزالي، 1414هـ، ص71)، أي أنّ دلالة هذه الأدوات

قد تخرج عن الاستفهام إن تجرّدت عنه، وتكتسب دلالة أخرى حسب المقام. ومن هذه الدلالات ما ذكره القزويني مثل الانبطاء والتعجب والتنبيه على الضلال، والوعيد، والأمر، والتقدير، والإنكار، والتهكم، والتحقير، والتوبيخ، والتعجيب. (القزويني في الغزالي، 1414هـ، ص74)

وقد تنزل هذه المعاني منزلة السخرية، لذلك استخدم الجاحظ الإستفهام للتلميح إلى قصديته الساخرة منه.

ومن أمثلة الاستفهام الساخر قوله على لسان جعفر" [...] وكيف تمشي وقد جعلت في بطنك ما يحمله عشرون حمّالاً؟ وهل ينطق الناس إلاّ مع خفة الأكل؟ وأي بطين يقدر على الحركة؟ وإنّ الكظيظ ليعجز عن الرّكوع والسجود، فكيف بالمشي الكثير؟" (الجاحظ، 2009، ص116).

ووظّف الاستفهام في هذه القطعة للدلالة على السخرية من كثرة أكل النديم، كما يوجّه الاستفهام القارئ للانتباه إلى القصدية الحقيقية للساخر المتمثلة في دحض إدعاء النديم بأنّ ليس هناك أحد على الأرض أمشى منه.

13.7.2. المفارقة:

يتداخل مفهوم المفارقة مع مفهوم السخرية لأن المعنى فيها يكون متناقضا مع المعنى الظاهري، حيث يصف جونسون المفارقة بأنّها "طريقة من طرائق التعبير، يكون المعنى فيها مناقضا أو مضادا للكلمات" (جونسون في العفيف، 2016، ص32).

لكن السخرية أعم من المفارقة لأنّ السخرية " نوع أو اتجاه أو موضوع أدبي، لكن المفارقة آلية وأسلوب، من شأنها أن تحقق السخرية، إن قصدَ مؤلف الكلام أن يوجهها نحو السخرية" (العفيف، 2016، ص35).

وتذهب العفيف (2016، ص50) إلى أنّه "إن كُنّا نرى أن المفارقة إحدى آليات تحقق السخرية، فهي، في الوقت نفسه، إحدى مسبباتها، أو إحدى الأفكار الموحية بها"، وذلك لأننا نواجه في الحياة أنواعا كثيرة من المفارقات نراها كل يوم ونتأثر بها، ونحس نحوها بمشاعر خاصة، وكثيرا ما نقابلها بتصرفات أو حركات أو عبارات هي من السخرية أو رمز لها. (الهوال، 1982، ص25).

واستطاع الجاحظ أن يجعل من المفارقة آلية للسخرية ليبين حقيقة البخلاء، حيث برع في ذلك من خلال الجمع بين النقيضين في الكلام الواحد مثل الجد والهزل والبخل والإسراف والمدح والذم...الخ. كما برع في إنتاج المفارقة دون اللجوء إلى الصيغ اللغوية حيث يستقي القارئ المفارقة من القصة كاملة.

ومن أمثلة المفارقة في كتاب البخلاء، قول الجاحظ (2009، ص 146): "جاء غلام إلى خالد بن صفوان بطبق خوخ، إمّا أن يكون هديّة، وإمّا أنّ غلامه جاء به من البُستان. فلما وضعه بين يديه قال: "لولا أنّي أعلم أنّك أكلت منه لأطعمتك واحدة". وهي مفارقة نتجت عنها سخرية مُضحكة تتمثل في أنّ قصيدة خالد بن صفوان تناقض

ما صرّح به، لأنّه لم يقصد أبداً إطعام الغلام، لكنّه أتى بحيلة أنّه يعلم بأنّه أكل منه، لذلك لم يعرض عليه الخوخ، لكي يظهر بمظهر السخي ويخفي نيّته البخيلة.

إنّ هذه الأساليب، وغيرها، التي وظّفها الجاحظ توظيفا دقيقا لإظهار السخرية من البخلاء بطريقة غير مباشرة يُضمر القصد الحقيقي وراءها، ما هي إلاّ دليل على أنّ الجاحظ واسع الثقافة وعارف بعلوم اللغة والبلاغة إلى أن أصبح مدرسة في الكتابة يعتني فيها باللفظ والمعنى ومطابقته لسياق الكلام.

وعلى حد رأي العوبي (2013، ص ص 469-470) أنّ أساليب السخرية عند الجاحظ كانت نتاجا لخبرة امتدت طيلة عشرات السنين حتى أصبحت نبعا غزيرا للنثر العربي وذات أثر كبير في البيان العربي.

وآية ذلك أن الجاحظ كان كاتباً وقارئاً ممتازاً، يكتب فيفيد ويتحدّث فيستميل، ويناظر فينتصر، وظّف اللّغة وأساليبيها بطريقة سمحة ورقيقة وسلسلة يبني بها ويهدم، ويجدّ بها ويهزل بكل اعتناء ودون عناء أو جفاء.

8.2. ترجمة السخرية:

تحمل النّصوص الساخرة شيفرات معقّدة لأنّها تحتوي على معان ظاهرة غير مقصودة، وأخرى باطنة مقصودة، ليصبح بذلك النّص الحامل للسخرية يشوبه الغموض، و"غموض السخرية ونزوعها نحو الإخفاء والمواربة يضع قدرات المتلقي التأويلية على المحك، ليس فقط قدرته اللّسانية واستطاعته فك الرموز اللّغوية وفهم دلالتها، لكن

قدرته البلاغية وقدرته الإيديولوجية أيضا" (الشايب، 2015، ص 18)، وهذا الغموض ناتج عن ازدواج دلالة العبارات الساخرة، ويتطلب "فهم هذه الدلالة وفك شفرتها، أخذ الجانب التداولي بعين الاعتبار " (الشايب، 2015، ص 17).

ويثير الغموض وازدواج الدلالة التساؤل حول إمكانية نقل السخرية بمختلف أساليبها من لغة إلى أخرى، كما أنّ المترجم مطالب بصفته قارئاً أولاً للنص ووسيطاً بين كاتب النص ومتلقيه، أن يفهم أولاً قصدية الكاتب من السخرية ثم ينقل التأثير نفسه الذي أحدثته في النص الأصلي، ليترك بذلك مهمة اكتشاف السخرية لقارئ النص الهدف، وهذا ما يؤكده كل من "ليفوا وتشنتجس" - Lievois & Schoentjes - (2010)، ص 20، في قولهما:

Dans un premier temps, le traducteur comprend l'ironie qu'il reconnaît en tant que lecteur du texte source. Dans un deuxième temps, il produira l'ironie dans le texte cible : il décide par quelles techniques il rendra cette ironie dans le texte cible. Dans un troisième temps enfin, c'est le lecteur du texte cible qui voit et détecte l'ironie.

كما أنّ ترجمة السخرية لا تعتمد على نقل المعنى فقط، وإنما تعتمد أساساً على نقل قصدية منتج النص الأصلي، وعلى الخفية المعرفية للمخاطب والمخاطب وعلى الافتراضات المتضمنة في النص بالإضافة إلى دلالة الألفاظ المستخدمة للسخرية.

ويشير "ليفوا وتشنتجس" - Lievois & Schoentjes - (2010، ص 11) إلى أنّ السخرية تمثل في كثير من الأحيان عقبة لغوية وثقافية كبيرة أمام المترجم. وتؤكد

"ماتيو" - Mateo (1995، ص174) ذلك، مُلَوَّحة إلى أنّ ما أشار له المتخصصون في ميدان الترجمة، إلى غاية الآن، حول موضوع السخرية، يتعلّق بالتركيز على صعوبة وسهولة نقل هذا الأسلوب، وذلك لأنّ معظم الدراسات في ميدان الفكاهة تركّز على هذه المسألة، وتتدرّج هذه الصعوبة حسب طبقات لغوية، أي كلّما زاد الاعتماد على الجوانب اللسانية لإحداث السخرية كلّما زاد احتمال عدم قابلية الترجمة. لكن "ماتيو" - Mateo (1995، ص174) تُقرّ عكس ذلك، لأنّ الفكاهة الساخرة أو التي تعتمد على قلب المعنى أو تغيير النبرة، هي قابلة للترجمة على نطاق واسع.

ونجد أنّ السخرية القائمة على قلب المعنى وهي السخرية اللفظية هي الأسهل ترجمة على الإطلاق، أمّا الصعوبة فتكمن في تلك السخرية الناجمة عن قصديّة المتكلّم الذي قد لا يضع مؤشرات أو رموزاً لغوية للدلالة عليها، ويبقى السياق هو الوحيد القادر على كشفها.

وتذهب "ماتيو" - Mateo (1995، ص174) كذلك إلى أنّ السياق الثقافي يلعب دوراً مهماً في توليد السخرية، لذلك تعتمد ترجمة السخرية على مدى التقارب الثقافي بين ثقافة النّص الأصلي وثقافة النّص الهدف، فكّلما زاد التباعد بين الثقافتين زادت صعوبة نقل السخرية، خاصة الفكاهية منها أو تلك التي ترتبط بالهراء.

ويتفق الناقدون في مجال دراسات الترجمة إلى أنّه على المترجم أن يحاول قدر الإمكان الحفاظ على نفس الغموض الذي تحدّثه الترجمة في النّص الأصلي، وعلى

نفس النّبرة، وعلى نفس الأسلوب، لكن إن تعذّر ذلك، عليه أن يلجأ إلى القيام بترجمة يتحقق فيها التكافؤ في تأثير السخرية، وذلك من خلال فهم قصدية السخرية في النصّ الأصلي وتكييفها مع ثقافة النصّ الهدف لإثارة استجابة مكافئة عند القارئ الجديد. (ماتيو، 1995، ص174). وبهذا يكون المترجم أميناً لنصّه لأنّ ما يهّم ليس نقل السخرية بصيغتها اللفظية فقط، وإنما الأهمّ هو ردّة فعل القارئ تجاه هذه السخرية.

وتقول "نورد" -Nord- (2009، ص338) أنه:

ليس المهم بالنسبة للقارئ/المترجم اكتشاف المعنى الدقيق للتهكّم، وتوضيح المعنى الحقيقي للنصّ، لكن السؤال الحقيقي هو ما القصد الحقيقي الذي يحاول المؤلف تحقيقه بألفاظ تهكّمية، وما هي وظيفة التهكّم في النصّ، حيث يقرر هذان العاملان إن كان ينبغي إعادة إنتاج تهكّم النصّ المصدر في النصّ الهدف.

ويمكن أن تتمثل وظيفة السخرية في النصّ الأصلي في النقد من أجل الإصلاح مثلما هو الحال في كتاب البخلاء، أو التهكم والاستهزاء والإطاحة بالخصم مثلما رأينا في سخرية سقراط، أو وظيفة فكاهية يُراد بها دفع السامة عن المتلقي فقط... الخ، وبهذا على المترجم نقل هذه الوظائف لأنها تمثّل أهمية كبيرة في النصّ الساخر.

كما أنّه من المحتمل أن يفهم المترجم السخرية وينقلها إلى النصّ الهدف لكن لا تؤدي نفس التأثير في المتلقي، لأنّه ما قد يكون ساخرًا بالنسبة لمنتج ومتلقي النصّ الأصلي، لا يكون بالضرورة ساخرًا لمتلقي النصّ الهدف، خاصة إن كانت الثقافتان متباعدتين، لذلك لابد على المترجم من نقل وظيفة السخرية في النصّ وإيجاد مكافئ حقيقي لها في النصّ الهدف مبتعداً عن الغموض.

La disparition des ambiguïtés de l'ironie est volontiers vue comme un appauvrissement du texte, quand elle n'est pas comme l'indice de l'incompétence du traducteur, la créativité même quand elle aboutit à mettre l'ironie là où il n'y en avait pas à l'origine, est au contraire considérée comme la preuve d'une grande maîtrise de la volonté de transmettre au mieux le message initial au-delà des frontières de la langue d'origine (Lievois & Schoentjes, 2010, p. 17).

وعلى المترجم أن يلجأ، لنقل السخرية ووظائفها، إلى المقاربات اللسانية والمقاربات التأويلية والتداولية، فهي تعمل معاً من أجل إنتاج نص كامل متكامل، حيث لا يمكن للمترجم الاعتماد على المقاربات اللسانية فقط، وتؤكد "ماتيو" - Mateo - (1995، ص174) ذلك في إشارتها إلى إن اللجوء إلى المقاربات اللسانية وحدها لترجمة السخرية ليس بالأمر الكافي، لأن السخرية تعكس تفاعل أطراف العملية التواصلية في مواقف ثقافية واجتماعية، لأن السخرية في الأصل حدث اجتماعي. وتذهب "ماتيو" - Mateo - (1995، ص177) كذلك إلى أن السخرية تنتمي إلى المستوى التداولي، لذلك هي مرتبطة بالسياق، كما أنها تعتمد على الشكل. وقد يعمد، في نظرها، بعض المترجمين إلى تغليب المحتوى الدلالي لبيان موقف السخرية، ولا يأخذون بعين الاعتبار المعنى الإجمالي، وقد يعمد آخرون إلى التركيز على القيمة التداولية للنص والتضحية بالمحتوى الدلالي، وفي بعض الأحيان يعمد مترجمون آخرون إلى مراعاة المحتوى الدلالي والقيمة التداولية على حد سواء. على أي حال، إن اللجوء إلى نوع المحتوى المتخذ في الترجمة يحدده نوع النص والسياق الثقافي والاجتماعي، بالإضافة

إلى نوع متلقي النص الهدف والإستراتيجية المعتمدة لترجمة هذه السخرية، ولا ننسى القيمة المتعلقة بالسخرية في المجتمع الهدف.

وعلى هذا الأساس على المترجم أن يُوظف كفاءته اللسانية والثقافية والتداولية ليذلل الصعوبات التي قد تواجهه في عملية الترجمة وخاصة عند نقل مقاصد النص الساخر. وقد يكون أحسن حلّ لنقل السخرية بكفاءة، كما سبق وأن أشرنا، الاعتماد على كلا الاستراتيجيتين اللسانية والتداولية لإحداث نفس القوة التأثيرية للسخرية في ذهن القارئ الجديد.

وتذهب " كابانياس غونزاليس " -Cabanillas González- (2003، ص ص 221-222) إلى أن المترجم يحتاج إلى بعض النظريات التداولية مثل نظرية غرايس في الاستلزام خاصة مبدأ التعاون، ونظرية "سبيربر وولسن" -Sperber & wilson- في الصلة (المناسبة)، لفهم السخرية ونقلها، لأنّ هذه النظريات اعتنت بالمعاني غير المباشرة للكلام وبمقاصد المتكلم على وجه التحديد. وسنفصل في هذه النقطة لاحقاً في البحث³⁶.

ويقترح "تشاخاشيرو" - Chakhachiro (2018، ص ص 276،286) أربع استراتيجيات لترجمة السخرية تتمثل في مايلي:

- الترجمة باستخدام أشكال مماثلة: تتم من خلال المطابقة في الشكل مع الحفاظ على نفس التكافؤ في التأثير.

36- أنظر العنوان رقم 6.2.

- الترجمة باستخدام أشكال مختلفة: وهي ترجمة تعتمد على استخدام نفس الأساليب البلاغية، رغم اختلاف أشكال التعبير النحوية والمعجمية.
- الترجمة باستخدام بُنى وأشكال مختلفة: وتتضمن هذه الاستراتيجية إجراء تغييرات على شكل وبنية النص للاستدلال على السخرية.
- الترجمة عن طريق الإضافة: تعتمد هذه الاستراتيجية على إضافة كلمات أو عبارات لتوضيح المعنى لتوليد السخرية وإحداث التكافؤ في التأثير.

إنّ هذه الاستراتيجيات تركز على نقطتين مهمّتين هما الشكل والمعنى، بحيث يعمل المترجم من خلالها على إظهار النص المترجم في شكل يتوافق تماما مع ثقافة المتلقي، إضافة إلى نقل نفس التأثير الذي تحدثه السخرية في النص، ولا ضير من إحداث بعض التغييرات في بنية النص من أجل الوصول إلى التكافؤ في التأثير كون السخرية تقوم على مخالفة مقتضى الظاهر.

9.2. خلاصة الفصل:

نستنتج في نهاية هذا الفصل من رسالتنا، أنّه من الصعب الحديث عن مفهوم واحد جامع للسخرية ذلك لأنّ دلالة المفهوم تغيرت عبر العصور، حيث استخدمت السخرية في سياقات اجتماعية وثقافية مختلفة، إضافة إلى اقترانها بالفلسفة والأدب الأمر الذي جعل مفهومها غامضا صعب الإدراك، ففي الفلسفة هي نقد سياسي وطريقة في المحاورّة والمناظرة والجدل وتعتمد على الجهل بالمعرفة، وهي أسلوب اعتمده سقراط لدحض حجج السفسطينيين الذين يدّعون أنّ هناك إجابة لكل سؤال متعلق بالحكمة والعدالة وغير ذلك، أما في الأدب فهي وسيلة غير مباشرة يستخدمها الكاتب للتعبير

عن مقاصده بطريقة هزلية بغية النقد والتهذيب والإصلاح. ومما زاد من عدم استقرار مفهوم السخرية في اللغة العربية، تداخلها مع أساليب أخرى مثل التهكم والمفارقة والهزاء والهزل وغيرها من الأساليب، وقد يرجع هذا التداخل إلى الاختلاف في نقل مصطلح "Ironía" إلى اللغة العربية، حيث استخلصنا أن من الباحثين من ترجمه بـ "مفارقة" ويتعلق الأمر بسيزا قاسم (1982) وعبد الواحد لؤلؤة مترجم كتاب "المفارقة وصفاتها" (1993)، ومحمد العبد (1994) وغيرهم. ومنهم من جعل (ironía) تهكما (صليبا، 1982)، ومنهم من ترجم الهزاء (sátira) بالسخرية (شاكر، 1990).

ومن خلال تتبعنا للمعاجم العربية والأجنبية والأبحاث المتعلقة بموضوع السخرية انتهينا إلى أن المقابل الأنسب للفظ (ironía) هو السخرية لأن المفارقة والتهكم والهزل... الخ هي أساليب يستخدمها الساخر عند إنتاج سخريته.

ولقد توصلنا إلى أنه لا يوجد تعريف محدد للنص الساخر وأنه يكتسب صفة "ساخر" نظرا لاحتوائه على أسلوب السخرية. وهو نصّ يتميز بالغموض ويرسل معانٍ ضمنية مختلفة للقارئ لأنّ خطاب السخرية يتميز بازدواج الدلالة. كما يحتاج القارئ لفهم قصدية السخرية إلى عملية التأويل الدلالي والتداولي، والانتباه إلى المؤشرات التي يضعها صاحب النص لفهم النصّ وتأويله تأويلا صحيحا. ومن بين هذه المؤشرات نجد المؤشرات المصاحبة للكلام وتتمثل في تغيير الصوت أو مخارج الحروف وفي الحركات وتغيير تقاسيم الوجه وما إلى ذلك. والمؤشرات النصية مثل الظفرين ونقاط

التعجب ونقاط الاسترسال، وبعض التعبيرات من قبيل " من المعروف أنّ " و "طبعاً" و"كما يعلم الجميع"، ولابد أن ترتبط هذه المؤشرات بمعارف مشتركة بين المرسل والمتلقي لتساهم في فهم قصدية السخرية. إضافة إلى السياق بنوعيه اللساني وغير اللساني الذي يعتبر آلية ضرورية للتعرف على المعنى واكتشاف قصدية المرسل المضمرة.

ولقد صنفنا السخرية إلى أربعة أنواع تبعاً لما تطلبه بحثنا، تتمثل هذه الأنواع في السخرية السقراطية وهي تعتمد على منهج جدلي استفهامي مع التظاهر بالجهل للإطاحة بالخصم وهي سخرية أخلاقية لأن الهدف من ورائها كشف الحقيقة. والسخرية الرومانسية التي ظهرت مع "شليجل" -Schlegel- والذي أخذ بالسخرية منحى رومانسي وعالجها بصفاتها ظاهرة أدبية وهي تقوم على مبدأ التناقض بين النسبي والمطلق. أما السخرية اللفظية وهي الأكثر شيوعاً في الوسط الأدبي وهي طريقة للتعبير يكون فيها المعنى المقصود مخالفاً للمعنى الظاهر وتشتت شخصاً يقوم بها. وفي الأخير نجد السخرية الموقفية وسميت كذلك لأنها تظهر نتيجة لموقف معين وهي سخرية غير مقصودة نتيجة لعدم وجود صاحب السخرية فيها وتشتت وجود مراقب وضحية.

وبخصوص السخرية عند الجاحظ توصلنا إلى أنه كان متطبعاً بطبع الضحك لذلك انعكس على معظم مؤلفاته. أما سخريته فلم تكن بغرض الفكاهة والإضحاك فقط ولم

تكن بهدف إظهار عيوب النَّاس وإنما لاستنكار صفة البخل المتفشية في عصره ودحض توجّهاتهم المغلوطة في وصف البخل إصلاحا والكرم إسرافا.

كما تنقسم سخرية الجاحظ إلى سخرية فكاوية وانتقادية، فأما الأولى فيميل فيها إلى الضحك والمزاح وتراوحت بين تصوير حسي ونفسي من خلال الدعابة والتعريض. وأما الثانية فيعتمد فيها على نقد مواقف البخلاء من أجل الإصلاح والتأديب وغالبا ما تأتي بأسلوب الجدل والمغالطة. ولقد عمد الجاحظ إلى إظهار سخريته عن طريق تصوير مواقف البخلاء وسلوكهم وصفاتهم تصويرا كاريكاتوريا ونفسيا وواقعا من خلال أساليب متنوعة ذكرنا منها التعريض والتورية والتهكم والحوار الجدلي والرد بالمثل والدعابة والتلميح والكناية والمبالغة والمغالطة والاستفهام الساخر والمفارقة.

وانتهينا في هذا الفصل إلى أن ترجمة النص الساخر عمليّة معقّدة نظرا لاحتوائه على معاني خفية ظهرت نتيجة للسخرية. كما أنّ المترجم مطالب بفهم قصدية المرسل من السخرية لينقل بعد ذلك نفس الأثر الذي أحدثته في النصّ الأصلي لأن ترجمة السخرية لا تعتمد أساسا على نقل المعنى فقط وإنّما على نقل قصدية مرسل النصّ الحقيقية لأنّ ما يهمّ في الترجمة ليس نقل السخرية بصفاتها اللفظية وإنّما الأهم هو إيصالها للقارئ وجعله يتفاعل معها. وهذه العملية لا تكتمل إلا بالنظر إلى الجانب التداولي الذي يساعد على الوصول إلى المعاني الخفية مثلما سنرى في الفصل الثاني من هذا البحث.

الفصل الثالث:

دراسة تحليلية نقدية للنماذج

المستقاة من المدونة

الفصل الثالث: دراسة تحليلية نقدية للنماذج المستقاة من المدونة

0.3. تمهيد الفصل:

سنخصّص هذا الفصل من رسالتنا للجانب التطبيقي، حيث سنبدأ بإلقاء الضوء على مدونة البحث وهي كتاب البخلاء، وهي مدونة غنيّة بنماذج السخرية الهادفة التي نحتاجها في هذه الدراسة. ثم ننتقل إلى التعريف بالمؤلف وهو الجاحظ الكاتب الساخر. وسنعمد في دراستنا التحليلية النقدية على الترجمة الوحيدة لكتاب البخلاء التي قام بها المترجم سيرافين فانخول سنة 1984، لنقوم بعد ذلك بشرح منهجيتنا في تحليل النماذج التي وقع عليها اختيارنا، والتي سنقسمها بالاعتماد على أساليب السخرية عند الجاحظ إلى ثلاثة عشر نموذجاً يضم كل نموذج عدد من الأمثلة وتتمثل هذه النماذج في السخرية عن طريق التعريض والسخرية عن طريق التورية والسخرية عن طريق التهكم والسخرية عن طريق الحوار الجدلي والسخرية عن طريق القياس العقلي والسخرية عن طريق الرّد بالمثل والسخرية عن طريق الدّعابة والسخرية عن طريق التلميح والسخرية عن طريق الكناية والسخرية عن طريق المبالغة والسخرية عن طريق المغالطة والسخرية عن طريق المفارقة والسخرية عن طريق الاستفهام الساخر.

1.3. تعريف المدونة

تتمثل مدونة البحث في "كتاب البخلاء" للجاحظ، وترجمته للغة الإسبانية بعنوان "Libro de los Avaros" لـ"سيرافين فانخول" -Serafín Fanjul-.

وسنقوم قبل الشروع في تعريف المدونة بإلقاء الضوء على مؤلف الكتاب الأصلي.

1.1.3. التعريف بالجاحظ

الجاحظ هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور، قيل له "الجاحظ" لأن عينيه كانتا جاحظتين، والجحوظ: النتو وكان يقال له أيضا "الحدقي" لذلك (ابن خلكان، 1972، ج 3، ص ص 470-471)، ولد الجاحظ في البصرة ومات فيها، وتضاربت الآراء بشأن أصله، فمنها ما يفيد بأنه كناني، وأنّ جدّه أسود يقال له فزارة كان جمّالا عند ابن قلّع. أمّا قول حسن السندوبي في كتابه "أدب الجاحظ" أنّ أبا عثمان نشأ في "بيت من بيوتات العرب ومن أعرقها في المجد والشرف"، فتدحضه الوقائع. إنّ الجاحظ من موالى كنانة نشأ يتيما، ميّالا إلى العلم، كان يخالط "المسجدين" في البصرة مرّة ويختلف إلى الكتاتيب مرّة أخرى. (جبر، 2008، ص 17). ولقد كان يبيع الخبز والسمك في سوق البصرة أين جالس العلماء ونهل من معرفتهم. وكان معروفا بقوة الحفظ. وأصبح الجاحظ، حسب الحاجري (الحاجري في الجاحظ، 2009، ص 18)،

إماما من أئمة الكلام، وزعيما من زعماء المعتزلة، وصاحب نحلة من نحلهم، وكان عالما محيطا بمعارف عصره، لا يكاد يفوته شيء منها، سواء في ذلك أصيلا

ودخيلها، و سواء منها ما كان إلى العلم والتحقيق، وما كان إلى الأخبار والأساطير، وكان رواية من رواة اللّغة وآدابها وأخبارها، غابرها ومعاصرها، واسع الرواية، دقيق المعرفة، قوي الملكة في نقد الآثار وتمييزها، لكنّه فوق هذا كله، كاتباً أديباً بكل ما تتضمنه هذه الصفة من رهافة في الحسّ، وخصوبة في الخيال، وقوّة في الملاحظة، ودقّة في الإدراك، وقدرة على التغلغل في دقائق الموجودات، و استشفاف الحركات النفسية المختلفة، و تمكن من العبارة الحيّة النابضة، و التصوير الكاشف البارع الذي يبرز الصورة بشتّى ملامحها و ظلالها، في بساطة و دقة و جمال.

ولقد أصبح الجاحظ على ما هو عليه نظراً لتنوع الثقافات والمدارس والمذاهب والفرق الدينية والطوائف التي كانت متواجدة آنذاك. وعرف "الجاحظ، بحق، مجتمعه، وخبر طوائفه، واعترك معها محبذاً رأياً، ومعارضاً آخر، مرّة بالعرف والقسوة، ومرّات باللين والهوادة طوراً بالهجاء اللاذع والذمّ المقيت وفي أغلب الأحيان بالسخرية المريرة والتهكم الممض" (حسين، 1988، ص 29).

ولقد خلف الجاحظ آثاراً قيمة نذكر منها كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان ورسائل الجاحظ وأهمّها رسالة التبريع والتدوير وكتاب البخل الذي يعتبر مرجعاً قيماً لدراسة أسلوب السخرية، فلقد كان الجاحظ من أشهر رواد فن السخرية في العصر العباسي، وكان يتطبع بطبع السخرية في معظم كتاباته -حتى لا نقول كلّها- اجتماعية أو سياسية أو دينية كانت. ويقول حسين في سخرية الجاحظ أنّ:

السخرية فيما سبق - قبل الجاحظ- نتفاً تأتي عفوية تارة، ومقصودة لغرض من الأغراض السياسية تارة أخرى دون أن تقوم بالتفاصيل النابضة بالحياة، وتصويراً، وتشخيصاً، واستنباطاً لدخائل النفوس، وإبراز لخصائص المجتمع، ومن هنا كان الجاحظ أوّل مؤلف في تاريخ

الأدب يخص كتباً بأكملها في السخرية تحليلاً ودراسة، كما فعل في كتاب البخلاء، ورسالة التزبيح والتدوير.

ويتبين من خلال قول حسين أن الجاحظ كان ملك السخرية في عصره بثتى أنواعها وكان يستمدّها من البيئة التي كان يعيش فيها ومن خصائص المجتمع وكان أول من خصّص كتباً بأكملها للسخرية ومنها كتاب البخلاء الذي نحن بصدد دراسته، والذي كان يسخر فيه من البخل.

2.1.3. التعريف بكتاب البخلاء:

إنّ ما يهّمنا من آثار الجاحظ، في هذه الدراسة، هو كتاب "البخلاء" والصور الساخرة الغنيّ بها، فالجاحظ يصور فيه السخرية من البخل تصويراً حسياً ونفسياً، فكتاب البخلاء يعتبر ذا قيمة كبيرة يركز على دراسة أخلاقية انتقادية، نشرت الطبعة الأولى لكتاب البخلاء على يد المستشرق الهولندي "فن فلوتن" - Van Vloten - في مدينة "لايدن" سنة 1900، ثمّ أعيد طبعها عدّة مرّات في مصر إلى أن نشرتها لجنة من أعضاء المجمع العلمي العربي سنة 1937 معلقة عليها استناداً إلى شروح المستشرق "ويليم مارسيه" - William Mercier -، ونشرها طه الحاجري في القاهرة سنة 1948، ثمّ نشرتها دارا صادر وبيروت في لبنان سنة 1957 مبنّوبة ومشروحة (جبر، 2008، ص34). ولقد ترجم هذا الكتاب إلى العديد من اللّغات من بينها اللغة الإسبانية على يد المستشرق "سيرافين فانخول" - Serafín Fanjul - سنة 1984، ولا يزال هذا الكتاب يطبع إلى يومنا هذا.

إن كتاب البخلاء هو "كتاب فريد في موضوعه، وطريف في أسلوبه، يقع في جزء واحد، ويمثل، بحق، الأدب الموضوعي الذي لم يألّفه الأدب العربي القديم، بقدر ما أُلّف الأدب الذاتي المعبر عن النوازع الوجدانية" (العوبي، 2013، ص208).

ينطوي الكتاب على أخبار البخل والبخلاء ممّن عاصرهم الكاتب وممّن لم يعاصرهم أيضاً، وأحاديث شتّى عن الكرم والكرماء كذلك، وركّز كثيرا على أخبار أهل البصرة وأهل خراسان، ويقول جبر (2008، ص34) أنّه " صور حالتهم كما رآها، أو اتّصل به خبرها، متنادرا بأحاديثهم وحججهم مستطردا إلى المناظرات الكثيرة حول البخل والكرم والضيافة".

ويعدّ كتاب البخلاء من بين أكثر الدراسات عمقا لِنفسية الانسان، لأنّه يسرد طبع البخل بوصفه ظاهرة متفشية في عصره رغم الترف الذي كان يعيشه الناس آنذاك، بحيث يصور لنا الجاحظ في كتابه هذا، البخلاء الذين خالطهم أو قرأ عنهم أو سمع عنهم، فغاص في نفسيّتهم وعرف طباعهم وسلوكهم وحبّهم للدرهم وقدرتهم على الدفاع عن بخلهم بحجج كثيرة وسعيهم الدؤوب إلى تطبيع صفة الكرم في نفوسهم، فاستطاع من خلال معرفتهم أن يحكي ما كان فيهم، تارة بأسلوب جاد تتخلله السخرية وتارة يصور لنا البخيل بأسلوب فكاهي مضحك يميل كل الميل إلى السخرية.

أما بخصوص الترجمة فلقد جاءت بعنوان "libro de los avaros" وترجمها "فانخول" بالإعتماد على النسخة المحققة من طرف "طه الحاجري" الصادرة سنة 2009 عن

دار المعرف بمصر. تضم النسخة المترجمة 333 صفحة، بحيث نقل المترجم كل القصص والنوادر الموجودة في الكتاب الأصلي دون إضافة أو حذف، ولقد تخللت الترجمة بعض الهوامش لشرح بعض الأسماء والعبارات ذات الخصوصية الثقافية للعصر العباسي.

2.3. التعريف بالمترجم:

ولد سيرافين فانخول في 4 سبتمبر 1954 بمدريدوهو من أشهر المستشرقين الاسبان كما أنه أستاذ متخصص في الدراسات العربية بجامعة مدريد المستقلة، شغل منصب مدير المركز الثقافي الإسباني بمصر، كما درّس بجامعة عين شمس بالقاهرة، وهو عضو بالأكاديمية الملكية منذ سنة 2011، كرّس حياته لدراسة الاسلام بوصفه ظاهرة دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية (Real Academia de la Historia, Para. 01).

لـ "سيرافين فانخول" - SerafinFanjul - عدّة مؤلفات أهمّها "الأندلس ضد اسبانيا" (AI- Andalus contra España) و "وهم الأندلس" - La quimera de al-Andalus -. إضافة إلى بعض الترجمات من اللّغة العربية إلى الاسبانية، ونذكرها فيما يلي:

- كتاب البخلاء للجاحظ، سنة 1984.

- رحلة ابن بطوطة (عبر الاسلام) بالاشتراك مع "فيدريكو أربوس" - Federico

Arbós - سنة 2005.

- مقامات الهمذاني، سنة 1988

3.3. منهجية تحليل النماذج:

سنقوم من خلال الدراسة التطبيقية باستخراج نماذج السخرية في اللّغة الأصل بالاعتماد على التقسيم الخاص بأساليب السخرية عند الجاحظ³⁷، ثمّ التحري عن القصدية التواصلية للسخرية التي تتضمنها هذه النماذج وتحليلها بالاعتماد على مختلف مباحث النظرية التداولية التي اهتمت باستخدام النَّاس للأدلة اللّغوية في أحاديثهم وبكيفية تأويلها واستخراج مقاصدها التواصلية، لنقوم بعد ذلك بنقد الترجمة وذلك بالاعتماد على استراتيجيات الترجمة التداولية من أجل التوصل إلى النتائج التي تتطلبها الإشكالية المطروحة.

4.3. دراسة تحليلية نقدية للنماذج المستقاة من المدونة:

سنتناول في هذا الفصل دراسة النماذج التي جاءت فيها السخرية بالاعتماد على أساليب السخرية عند الجاحظ، وبالاعتماد على مباحث التداولية واستراتيجيات الترجمة التداولية. ولقد تراوح عدد الأمثلة المستقاة في كل نموذج، من مثال إلى ثلاث أمثلة، وذلك يعود، أولاً، لتشابه الأمثلة التي جاءت في النموذج الواحد حيث استخرجنا المختلفة منها لتقادي التكرار وثانياً، لأننا لم نجد في بعض النماذج سوى مثالا واحداً في كامل المدونة، ومثال ذلك أسلوب التورية وثالثاً، لعدم توفر الأمثلة الأخرى التي تدخل في تقسيم النماذج على قصدية تواصلية، إذ جاءت فيها مباشرة في صيغتها الإخبارية.

37 - أنظر العنوان (7.2).

1.4.3. نماذج عن السخرية بأسلوب المفارقة:

احتوى الكتاب على عدد من النماذج التي احتوت على أسلوب المفارقة، والمفارقة آلية تتحقق من خلالها السخرية، واستطاع الجاحظ أن يوظف المفارقة لإنتاج السخرية من خلال الجمع بين النقيضين مثل الجد والهزل والمدح والذم والبخل والاسراف وغيرها. (13.7.1). ومن بين القصص التي جاءت على سبيل المفارقة في كتاب البخلاء

نجد:

1.1.4.3. قصة محفوظ النقاش:

يقول الجاحظ:

صحبني محفوظ النقاش من مسجد الجامع ليلاً. فلما صرت قرب منزله، كان أقرب إلى مسجد الجامع من منزلي، سألتني أن أبيت عنده، وقال: " أين تذهب في هذا المطر والبرد، منزلي منزلك، وأنت في ظلمة وليس معك نار، وعندي لبا لم ير الناس مثله، وتمر ناهيك به جودة، لا تصلح إلا له". فملت معه، فأبطأ ساعة ثم جاءني بجام لبا وطبق تمر، فلما مددت قال: " يا أبا عثمان، إنّه لبا وغلظه، وهو الليل وركوده، ثم ليلة مطر ورطوبة وأنت رجل طعنت في السن، ولم تزل تشكو من الفالج طرفاً، ومازال الغليل يسرع إليك، وأنت في الأصل لست بصاحب عشاء. فان أكلت اللبأ ولم تبالغ، كنت أكلا ولا تاركاً، وحرشت طباعك، ثم قطعت الأكل أشهى ما كان إليك. وإن بالغت بتنا في ليلة سوء، من الاهتمام بأمرك. ولم نعد لك نبيذا ولا عسلاً. وإنما قلت هذا الكلام، لئلا تقول غدا: كان وكان. والله قد وقعت بين نابي أسد. لأنني لو لم أجنك، وقد ذكرته لك، قلت: بخل به وبدا له فيه، وإن جننت ولم أحذرک منه، ولم أذكرك كل ما عليك فيه، قلت: لم يشفق علولم ينصح. فقد برئت إليك من الأمرين جميعاً. فإن شئت فأكلة وموته، وإن شئت بعض الاحتمال ونوم على سلامة". فما ضحكت قط كضحكتي تلك الليلة. ولقد أكلته جميعاً فما هضمه إلا الضحك والنشاط والسرور، فيما أظن. ولو كان معي من يفهم طيب ما تكلم به لأتى علي ضحك، أو

لقضى علي. ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب"
(الجاحظ، 2009، ص ص 123-124)

Mahfuzan-Naqqasvenía con migo una noche al salir de la mezquita aljama. Ya próximos a su vivienda -porque ésta se encontraba más cercana a la aljama que la mía- me pidió que pernoctase en su casa: "¿A dónde vas con esta lluvia y este frío, siendo mi casa la tuya, y en medio de las tinieblas sin farol? Tengo un calostro de oveja como no se ha visto jamás y unos dátiles magníficos que solo van bien con él" Así que accedí. Se demoró un rato y luego trajo una copa de calostro y una bandeja con dátiles. Al ir yo a tender la mano me dijo: "Abu Utman, es calostro muy espeso y con la quietud de la noche, aparte la lluvia y la humedad nocturna, siendo tú un hombre ya entrado en años que padece una hemiplejía permanente con una sed continua y que en principio no cena, si tomas un poco sin exagerar, te mantendrás en el justo medio incitándote la gazuza, pero dejándolo por más que apetezca seguir. Pero si te excedes vamos a pasar todos una mala noche, preocupados por ti y sin tener vino ni miel que ofrecerte. Te suelto toda esta parrafada para que mañana no hayas que decir que si tal y que si cual. Por Dios, que caí entre los colmillos de un león (entre dos fuegos): si no te traía habiéndotelo mencionado, dirías "ha sido mezquino y cambió de opinión, y si te lo traía sin avisarte ni llamar tu atención sobre cuánto arriesgo, opinarías: 'Ni se compadeció de mí ni me aconsejó'. Así quedo totalmente inocente ante ti por las dos opciones: si lo deseas, come y muerte; y si lo prefieres aguanta un poco (el hambre) y tendrás un feliz sueño".

Jamás reí en mi vida como aquella noche. Me lo zampé todo y creo que fueron la risa, la alegría y el esfuerzo los que me ayudaron a digerir. De haber estado en mi compañía alguien que entendiese las cosas que dijo me habría sobrevenido un ataque de risa capaz de acabar conmigo. Pero la risa de quien se encuentra solo no es tan peligrosa como la de quien ríe acompañada.
(Fanjul, 1984, p. 181)

إن السخرية في هذه القصة تتجلى في المفارقة بين دعوة النقاش المصطنعة للجاحظ

وبين قصده الحقيقي وراءها، فمحفوظ النقاش لم يدعُ الجاحظ إلا رياء لأنه أراد أن

يظهر بمظهر الكريم، حيث القوة تتضمن الإنجازية في كلام النقاش نهيا وردعا عن

تتاول الطعام في قوله "وأنت في الأصل لست بصاحب عشاء. فإن أكلت اللبأ ولم
تبالغ، كنت آكلا ولا تاركا، وحرشت طباعك، ثم قطعت الأكل أشهى ما كان إليك. وإن
بالغت بتنا في ليلة سوء، من الاهتمام بأمرك" ويتضمن هذا المقطع
قصديّة تواصلية تتمثل في أن النقاش لا يريد للجاحظ أن يأكل ليس خوفاً عليه من
المرض وإنما بخلا منه، وفي القصة نوع من الحجاج، يتمثل في محاولة محفوظ
النقاش ردع الجاحظ عن الأكل من خلال سوقه لمختلف الحجج في قوله"

يا أبا عثمان، إنّه لبأ وغلظه، وهو الليل وركوده، ثم ليلة مطر ورطوبة وأنت رجل
طعنت في السن، ولم تزل تشكو من الفالج طرفا، ومازال الغليل يسرع إليك، وأنت في
الأصل لست بصاحب عشاء. فإن أكلت اللبأ ولم تبالغ، كنت آكلا ولا تاركا، وحرشت
طباعك، ثم قطعت الأكل أشهى ما كان إليك. وإن بالغت بتنا في ليلة سوء، من
الاهتمام بأمرك. ولم نعد لك نبيذا ولا عسلا. وإنما قلت هذا الكلام، لئلا تقول غدا:
كان وكان.

ويحاول النقاش كذلك أن يظهر بثوب الكريم المهتم لأمر الجاحظ وخوفه من أن يفهمه
الجاحظ فهما خاطئا في قوله "والله قد وقعت بين نابي أسد" وتظهر القصديّة التواصلية
للسخرية في هذا المقطع، في أنّ الجاحظ عمل بعكس ما ساقه محفوظ النقاش من
حجج ليبين له أنّه تنبّه لبخله وبالتالي يفضح المفارقة بين قوله وعمله. وتحتوي القصة
أيضا على افتراض مسبق يتمثل في أنّ الجاحظ كان على علم بما يختلج صدر
محفوظ النقاش في قوله "فأبطأ ساعة وجاءني بجام لبأ وطبق تمر" وهذا لأن الطعام
الذي قدمه المضيف لا يحتاج لإعداد. فسخرية الجاحظ كانت سخرية فكاوية لأنّ ما

أتى به النقاش من مفارقة بين فعله وقوله جعل الجاحظ يضحك ضحكا لم يضحكه من قبل.

أما بالنسبة للترجمة لم يظهر الافتراض المسبق الذي بيّن نية النقاش فلم يظهر جليا في الترجمة وذلك لأنه ترجم "فابطاً ساعة" بـ "sedemoró un rato"، و "un rato" تعني "بعض الوقت" أي لم يغب عنه وقتا كثيرا وهذا يدل على أن الجاحظ كان مرحبا به عكس ما جاء في النص الأصلي، لكن هذا لم يؤثر في نقل نفس الفعل التأثيري الناتج عن القوة الإنجازية في هذه القصة. كما تظهر الكفاءة التداولية للمترجم في استعماله لتقنية الإيضاح في ترجمته لجملة (بين بين نابي أسد) حيث ترجمها في بادئ الأمر حرفيا لكي يبقى على نفس العبارة باللغة العربية ثم عمد إلى الإيضاح في (entre dos fuegos) لكي يفهم القارئ الاسباني معنى هذه الجملة. والترجمة الأولى مكافئة للمعنى الذي جاء في النص الأصلي. وبهذا يكون المترجم قد حافظ المترجم على نفس القوة الإنجازية وعلى نفس القصدية التواصلية التي جاءت متضمنة في حجج محفوظ النقاش.

2.1.4.3. قصة الثوري:

قال الجاحظ على لسان الخليل:

حُمّ الثوري، وحُمّ عياله وخادمه، فلم يقدرُوا مع شدة الحمى على أكل الخبز، فربح كيلة تلك الأيام من الدقيق، ففرح بذلك وقال: لو كان منزلي سوق الأهواز أو نطاة خبير أو وادي الجحفة، لرجوت أن استفضل كل سنة مائة دينار. فكان لا يبالي أن يحمّ هو وأهله أبدا، بعد أن يستفضل كفايتهم من الدقيق (الجاحظ، 2009، ص 104)

Y prosigue al-Jalīl:

At-Tawrī, su familia y su criada cayeron enfermos de calentura, con una fiebre tan alta que no podían ni comer pan. Consiguientemente ahorró la provisión de harina de todos esos días, lo que le regocijó sobremanera hasta el punto de comentar: "Si viviera en Sūq al-Ahwāz, Nātat Jaybar o Wādī l-Ŷuhfa³⁸, podría ahorrarme cien dinares anuales". No le importaba pasar perpetuamente calenturas, él y su familia, con tal de apartarse el gasto de harina. (Fanjul, 1984, p. 163)

يدور سياق القصة حول سلوك الثوري غير الأخلاقي الذي لا يكثرث للمرض ويتمناه لنفسه ولأولاده عسى أن يكسب شيئاً من ذلك.

جاءت السخرية نتيجة للمفارقة القائمة في الفرق بين ما قيل (الحمى) وما هو مستلزم (الفرح)، أي بين الحجة ونتيجتها، لأن النتيجة الطبيعية للحمى هو الألم والشكوى، لكن نتيجة الحمى في القصة كانت متمثلة في فرح البخيل، وهي نتيجة متناقضة مع المنطق. رغم السلوك غير الأخلاقي للثوري لكن الجاحظ استطاع أن يصور لنا من خلال المفارقة، نفسية الثوري البخيلة وادعاءه حسن التدبير والاقتصاد، تصويراً فكاهياً. وظهرت السخرية عن طريق المفارقة نتيجة لخرق مسلمة الجهة والتي مفادها أن تكون مساهمة المتحاورين ملائمة لسياق الخطاب، لكن في قول الجاحظ عن الثوري: "فرح بذلك وقال: لو كان منزلي سوق الأهواز أو نطاة خبير أو وادي الجحفة، لرجوت أن استفضل كل سنة مائة دينار"، يبين من خلاله عدم ملاءمة النتيجة للحجة، لأن الاستلزام المنطقي لحجة الحمى هو الألم وليس الفرح.

³⁸ - Lugares insalubres todos ellos

وتكمن القصدية التواصلية للجاحظ في السخرية من شدة بخل الثوري الذي أدى به إلى تفضيل المال على صحته وصحة عائلته، لأنه يجد في الحمى منفعة تخدم نفسيته البخيلة والتمثلة في توفير المال والطعام. وبيان ذلك قول الجاحظ " فكان لا يبالي أن يحم هو وأهله أبدا، بعد أن يستفضل كفايتهم من الدقيق "

أما بالنسبة للترجمة، لاحظنا ظهور خرق مسلمة الجهة في الترجمة نتيجة للترجمة الحرفية في " **Consiguientemente ahorró la provisión de harina de todos** " وظهرت قصدية الجاحظ التواصلية المتمثلة في السخرية من سلوك الثوري من خلال استخدام المترجم لتقنية الإيضاح عن طريق الإضافة، وتتمثل هذه الإضافة في " **lugares insalubres** " **todos ellos**، ولقد أوردها المترجم في الهامش ليبين أن المناطق التي تمنى الثوري الإقامة بها، هي كلها مناطق غير صحية تزيد من فرصة إصابته هو وعائلته بالحمى، مما يزيد في فرصة توفيره مائة دينار كل سنة. ويتمثل سبب توظيف المترجم لتقنية الإيضاح هو أن الجاحظ لم يذكر بأن هذه المناطق غير صحية وذلك لأن المتلقي الأصلي يشترك معه في معرفة الطبيعة البيئية لتلك المناطق. وبهذا يكون المترجم قد نقل التأثير نفسه الذي تحمله العبارات الساخرة في النص الأصلي إلى النص الهدف، والمتمثل في الطابع الفكاهي للسخرية الانتقادية عن طريق المفارقة واستطاع أن ينقل السخرية القائمة عن طريق المفارقة للغة الإسبانية لأنها جاءت في صيغتها اللفظية.

3.1.4.3. قصة أبو جعفر الطرسوسي:

يقول الجاحظ:

لم أر مثل أبي جعفر الطرسوسي: زار قوما فأكرموه وطيبوه، وجعلوا في شاربه وسبلته غالية، فحكته شفته العليا، فأدخل إصبعه فحكها من باطن الشفة، مخالفة أن تأخذ إصبعه من الغالية شيئاً إذا حكته من فوق. وهذا وشبهه إنما يطيب جداً، إذا رأيت الحكاية بعينك، لأن الكتاب لا يصور لك كل شيء، ولا يأتي لك على كنهه، وعلى حدوده وحقائقه. (البخلاء، 2009، ص 58)

Jamás vi otro como Abū ŷa‘far at-Tarasūsī:

Estando de visita en casa de ciertas gentes le honoraron grandemente y le perfumaron asperjándole el bigote y el arranque de la nariz con algalia, pero como la picase el labio superior introdujo un dedo en la boca y se rasco por dentro, temiendo llevarse algo del aroma si frotaba por fuera.

Esta - y cosas parecidas- son buenas de ver presenciando el suceso con tus propios ojos, porque con escribirlas no te hace una perfecta imagen, ni alcanzas todos sus extremos, detalles y límites. (Fanjul, 1984, p.124)

جاءت السخرية في هذه القصة عن طريق المفارقة بطابع فكاهي صورته لنا الجاحظ في

قوله "فحكته شفته العليا فأدخل إصبعه لحكها من باطن الشفة"، حيث كان المتلقي

ينتظر أن يحك أبو جعفر شفته من الأعلى لأن هذا هو المألوف، غير أنه حكها من

باطنها مخافة أن يذهب شيء من الغالية. وجاءت السخرية موقفية لأن القارئ ينتبه لها

من خلال سياق المشهد الذي صورته لنا الجاحظ.

أما بالنسبة للقصدية للتواصلية للجاحظ من خلال السخرية عن طريق المفارقة، فتتمثل في كشف نفسية الطرسوسي البخيلة التي قد تدفعه إلى القيام بأشياء لا تخطر على بال أحد، ولا يبالي إن أوقعه ذلك في موقف مضحك وجرح، فغاية البخيل تبرّر وسيلته.

أما بالنسبة للترجمة فلقد تمكّن المترجم من نقل صورة القصة إلى اللغة الإسبانية من خلال نقل أسلوب المفارقة في " **como la picase el labio superior introdujo un dedo en la boca y se rasco por dentro**"، وبهذا نقل القصدية التواصلية لتوفّر المعرفة المشتركة بين كاتب النص الأصلي وقارئ اللغة الهدف، لأنّ المتعارف عليه لدى المتلقّي الهدف، حكّ الشفة من الأعلى وليس من الباطن أيضا.

وبهذا يكون المترجم قد نقل التأثير نفسه الذي أحدثته القصة في اللغة العربية وهو الفكاهاة والضحك من موقف الطرسوسي.

تبيّن من خلال نماذج السخرية عن طريق المفارقة أنّها جاءت موقفية لا ينتبه إليها القارئ إلاّ من خلال السياق، حيث لاحظنا أنّ المترجم أدركها ولجأ إلى كفاءته التداولية من خلال توظيف استراتيجيات الترجمة التداولية من أجل نقل قصدية المؤلف وراء السخرية.

2.4.3. نموذجان عن السخرية بأسلوب التعريض:

وقعنا على عدد من النماذج التي جاءت فيها السخرية عن طريق التعريض، وهو أسلوب غير مباشر لا يصرّح فيه المتكلم بقصدية من الكلام، وإنّما يلمّح لها فقط،

وهو يفهم من خلال السياق (أنظر العنوان رقم 1.7.1)، وسنبيّن أسلوب التعريض من

خلال الأمثلة التالية:

1.2.4.3. قصّة الحزامي:

قال الجاحظ:

وكنا مرّة موضع حشمة، وفي جماعة كثيرة، والقوم سكوت، والمجلس كبير. وهو بعيد المكان منّي³⁹. فأقبل عليّ المكيّ، وقال - والقوم يسمعون -: يا أبا عثمان من أبخل أصحابنا؟ قلت: أبو الهذيل؟ قال: ثمّ من؟ قلت صاحب لنا لا أسميه. قال الحزامي من بعيد: إنّما يعنيني. ثمّ قال: حسدتم للمقتصدين تدبيرهم ونماء أموالهم، ودوام نعمتهم، فالتستمتهجينهم بهذا اللقب، وأدخلتم المكر عليهم بهذا النبز. تظلمون المتلف لماله باسم الجود، إدارة له عن شيء، وتظلمون المصلح لماله باسم البخل، حسدا منكم لنعمته، فلا المفسد ينجو ولا المصلح يسلم (الجاحظ، 2009، ص 64-65)

En otra ocasión estábamos en un amplio lugar, en compañía numerosa, aunque todo el mundo callaba y guardaba compostura. Y como al-Hizāmī se hallara lejos de mí, se me acercó al- Makkī y preguntó a oídos de todos:

- Abū Utmān, ¿quiénes el más avaro de nuestros amigos?

-Abū l-Hudayl -repliqué.

-¿Y después?

- Un amigo a quien no quiero nombrar.

Y saltó al-Hizāmī desde lejos:

- ¡Se está refiriendo a mí!

Y concluyó:

- Envidiáis a las gentes económicas por su conducta, por la multiplicación de sus bienes y por su eterna prosperidad. Pretendéis agraviarlos con este remoquete de avaros e introducís la malicia en tal apodo injurioso. Sois injustos cuando llamáis generoso al gastador ignorando su vicio en tanto motejáis de avaro al cuidadoso de su hacienda, envidiosos de su felicidad. De este modo ni el corrompido está a salvo ni el virtuoso se libra [de vuestro juicio errado].(Fanjul, 1984,p. 130)

³⁹ - يقصد الحزامي.

على الرغم من أنّ الجاحظ لم يصرّح باسم البخيل الثاني، واختار أن يُضمّن كلامه في "صاحب لنا لا أسميه"، إلا أن السياق الذي جرى فيه الكلام جعل الحزامي يستدل على أنّ الجاحظ يقصده بكلامه، أي أنّ القصد التواصلية في "صاحب لنا لا أسميه"، وصل للحزامي رغم عدم تصريح الجاحظ بالمعلومات ذات الصلة التي تؤدي إلى استدلال الحزامي على أنّ الجاحظ يعنيه بكلامه. لكنّ الحزامي استدل على المعنى من خلال السياق أي من خلال المعرفة المتبادلة بين الجاحظ والحزامي (الظاهر تبادليا عند "سبيربر وولسون" - Sperber & Wilson -)، وذلك لأنّه لا يوجد في المجلس شخص أبخل منه بعد أبي الهذيل.

وتحمل القصدية التواصلية في هذه القصة سخرية هادئة لا يكاد المتلقي يستنبطها، جاءت أولاً، عن طريق التعريض، لأنّ الحزامي فهم كلام الجاحظ دون تصريح مباشر، ودليل ذلك قوله "إنّما يعنيني". وثانياً، من خلال جرأة البخيل الذي صرّح بأنّ الجاحظ يعنيه رغم أنّ المجلس، مجلس حشمة ولباقة وفيه كثير من الناس. وثالثاً من خلال الحجج التي ختم بها الحزامي الحوار، والتي ساقها لبيّن أنّه مقتصد ومصلح وليس ببخيل، لكنّ الحزامي لا يعلم بأن هذه الحجج جعلت منه موضعاً للسخرية.

ولقد تخلّلت السخرية هذه القصة نتيجة لخرق مسلمتين من مبدأ التعاون هما مسلمة الكمية ومسلمة الجهة. ويتمثل خرق مسلمة الكمية في هذه القصة في أنّ الجاحظ صرّح بمعلومات ناقصة ولا تتماشى مع غرض المحادثة في قوله "صاحب لنا لا

أسميه" وفي الحجج التي ساقها الحزامي في قوله "حسدتهم المقتصدون تدبيرهم...ولا المصلح يسلم"، حيث صرّح الحزامي بمعلومات أكثر من المطلوب .

ويتمثل خرق مسلمة الجهة في الغموض الذي يعتري قول الجاحظ: "صاحب لنا لا أسميه"، وفي الإطناب في قول الحزامي: "حسدتهم المقتصدون تدبيرهم...ولا المصلح يسلم".

أما بخصوص الترجمة، نلاحظ أن المترجم استخدم في بداية القصة تقنية التغيير في ترجمته لـ"موضع حشمة" بـ "en otra ocasión" لأنه لو نقلها حرفيا تصبح عبارة غريبة على القارئ الإسباني ويصبح فهمها عسيرا، لكن ما يحتسب على هذه الترجمة أن العبارة "موضع حشمة" حملت في النص الأصلي دلالة مهمة تتمثل في أنّ الجاحظ ابتداءً بها الكلام ليضع القارئ في سياق ما سيحدث لاحقا مع الحزامي الذي سيفضح بخله بنفسه غير مبال للموضع الذي يجلس فيه والذي يستوجب اللباقة والحشمة. كما نلاحظ أنّ المترجم لم يحافظ على نفس ترتيب الجملة في "وكنا مرة موضع حشمة، وفي جماعة كثيرة، والقوم سكوت، والمجلس كبير" وجاءت الترجمة كالاتي:

"estábamos en un amplio lugar, en compañía numerosa, aunque todo el mundo callaba. لكن هذا لا يخلّ بالترجمة لأنّ الجمل في اللغة العربية جاءت معطوفة على بعضها من خلال حرف العطف (الواو). كما اعتمد المترجم على أسلوب الإضافة في "guardaba compostura"، بحيث أنّ هذه الجملة لا نجدتها في النصّ

الأصلي، وإنما أضافها المترجم لكي ينقل للقارئ أنّ المجلس كان يستلزم السكوت والمحافظة على الهدوء، وهو معنى تتضمنه عبارة "موضع حشمة". كما استخدم تقنية الإيضاح التداولي من خلال إضافة جملة [de vuestro juicio errado] في آخر القصة، وعمد المترجم لهذه الإضافة ليوضح للمتلقي الأجنبي، أنّ الحزامي أورد هذه الحجج لبيّن أن حكم الجاحظ والحاضرين في المجلس عليه بالبخل وحُكمهم على المتلف لماله بالكرم، هو حُكم خاطئ، لأنّه يعتبر نفسه مقتصدا ومصالحا ويعتبر الكريم، في نظرهم، مبدّرا. وبالتالي أوضح القصدية التواصلية للحزامي. وبهذا يكون المترجم قد حافظ على نفس القصدية التواصلية التي تتضمّن السخرية من خلال نفس الخرق لمُسلّمات مبدأ التعاون. ولاحظنا، من خلال ترجمته، أنّه وضع القصة في قالب اللغة الهدف ليترك نفس القيمة التأثيرية للقصة وذلك من خلال استحضاره للكفاءة التداولية.

2.2.4.3. قصة أبو عُيينة:

قال الجاحظ:

حدّثني ابن أختي واصل قال: قلت لأبي عُيينة: قد أحسن الذي سألت امرأته عن اللحم، فقالت أكله السنور، فوزن السنور، ثمّ قال: "هذا اللحم فأين السنور؟ قال: "كأنّك تعرّض بي" قال، قلت: "إنّك والله أهل ذلك. شيخ قد قارب المائة وغلته فاضلة وعياله قليل، ويُعطي الأموال على مذاكرة العلم، والعلم لذّته وصناعته، ثمّ يرقى إلى جوف منزله. وأنت رجل لك في البستان، ورجل في أصحاب الفسيل، ورجل في السوق، ورجل في الكلاء. تطلب من هذا وقر جص، ومن هذا وقر آجر، ومن هذا قطعة ساج، ومن هذا هكذا. ما هذا الحرص وما هذا الكد؟ وما هذا الشغل؟ لو كنت شابا

بعيد الأمل كيف كنت تكون؟ ولو كنت مدينا كثير العيال كيف كنت تكون؟ وقد رأيناك فيما حدث تلبس الأظمار وتمشي حافيا نصف النهار. قال " كم أجمجم: بلغني أنك فقدت قطعة بطيخ، فألححت في المسألة عنها، فقيل لك أكلها السنور، فرميت بباقي القطعة فُدام السنور، لتمتحن صدقهم من كذبهم، فلما لم يأكله غرمتهم ثمن البطيخة كما هي. قالوا لك كان الليل، فإن لم تكن التي أكلته من سنانير الجبران، وكان الذي أكله سنورنا هذا، فإنك رميت إليه بالقطعة وهو شبعان منه. فأ نظرنا ولا تُغرمن تمتحنه في حال غير هذه. فأبيت إلا إغرامهم". قال "ويلك إني والله ما أصل إلى منعهم من الفساد إلا بعض الفساد. وقد قال زياد في خطبته: "والله إني ما أصل منكم إلى أخذ الحق حتى أخوض الباطل إليكم خوضا". وأما ما لمتني عليه أنفا فإنما ذهبت إلى قوله " لو أن في يدي فسيلة، ثم قيل لي إن القيامة تقوم الساعة، لبادرتها فغرستها. (الجاحظ، 2009، ص 145-146)

- Ya'far, el sobrino de Wasil, me refirió lo siguiente:

Comenté en una ocasión a abu Uyayna cómo diera en el clavo aquel que tras preguntar a su mujer donde estaba la carne – y como esta le repusiera que la comió el gato- pesó al animal y observó: este es el peso de la carne, ahora falta saber dónde está el gato entonces, Abu Uyayna se sintió aludido y agregó:

_ sabe Dios que tú eres otro tal: un vejestorio próximo a los cien, con ingresos cuantiosos, poca familia y a quien se dan buenos cuartos por impartir ciencia cuando para él la ciencia es un placer y un gusto; que sube al cubículo en que reside teniendo al tiempo un pie en el huerto, orto con los vendedores de palmitos, otro en el zoco y otro en el Kalla²⁴⁹, y que se dedica a solicitar de éste un fardo de yeso, de aquél una carga de ladrillos, de estotro una pieza de madera de teca y del de más allá otra cosa cualquiera...¿A qué vienen estas ansias, estos afanes y trabajo? Si fueras joven, con grandes expectativas, entonces ¿Cómo seriais? Ha poco te vi vestido de harapos caminando descalzo a mediodía y cuanto trabaja me costó hablarte[...] Me llegó noticia de que perdiste una raja de melón y que te faltó el tiempo de andar importunando sin cesar por encontrarla ; y como te dijeron que la comió el gato le echaste el resto del trozo para discernir verdad y mentira en lo que te contaran, y al ver que no lo comía les hiciste pagar el precio de melón entero, así que te arguyeron que fue de noche y que si no se trataba de un gato del vecindario sino del vuestro, tu le habrías echado del pedazo cuando estaba

ahító, por lo que deberías posponer la decisión sin castigarlos a fin de que pudieras comprobarlo en otro momento, pero te negaste a todo lo que no fuera hacerles pagar.

- ¡Ay de ti, desgraciado – replicó – No consigo disuadirles de hacer el mal sino con un poco de maldad.¿Es que no dijo Ziyad en su arenga: « Por Dios, que no he de lograr que os comportéis con justicia sin valerme de medios injustos » en cuanto a lo que me reprochabas antes acudo al aserto[del enviado]: si tuviera en la mano una palma y se me dijera que la resurrección estaba a las puertas, me apresuraría a plantarla de inmediato»». (Fanjul, 1984, p. 200-201)

عمد ابن جعفر إلى السخرية من أبي عُيَيْنة في قوله "قد أحسن الذي سأل امرأته عن اللحم فقالت أكله السنور"، وجاءت هذه السخرية الانتقادية بأسلوب التعريض، لأن ابن جعفر لا يقصد بمثاله مدح الرجل الذي يسأل امرأته عن اللحم، وإنما يقصد أبا عُيَيْنة به، لأنه سبق وكانت له تجربة مع السنور حين فقد قطعة من البطيخ وألح في المسألة عليها، وعندما أخبره الحاضرون بأن السنور هو من أكلها، رمى بقطعة البطيخ قدام السنور ليمتحن صدقهم

أو كذبهم، وحينما لم يأكل السنور قطعة البطيخ، غرّمهم أبو عُيَيْنة ثمن البطيخة كاملة، رغم إصرارهم على أن سنور الجيران هو من أكلها.

وتظهر القصدية المتمثلة في السخرية من البخل من خلال الاستلزام الحواري الذي ظهر من خلال خرق مُسلّمة الملاءمة بحيث لا يلائم ظاهر الكلام المعنى المراد لأن ما قاله ابن جعفر في "ما أحسن ... أين السنور" يستلزم قصدا يتمثل في حادثة قطعة

البطيخ لأبي عُيَيْنَةَ. بحيث تحمل هذه العبارة "ما أحسن ... أين السُّور" قولاً مضمرًا لم يصرح به ابن جعفر مباشرة وإنما لَمَّح إليه فقط.

إذ يظهر من خلال الحوار أنّ أبا عُيَيْنَةَ فهم القصدية التواصلية في كلام جعفر، ويظهر ذلك في قوله "أَتُعْرَضُ بي؟" وذلك كونه افتراض مسبقاً بأن جعفر بَلَغَهُ خبر ما فعله بالقوم بسبب قطعة البطيخ، وبهذا يكون أبو عيينة قد استدل على هذه المعلومات ذات الصلة من خلال علاقة الافتراض والسياق.

ويظهر موضع آخر للسخرية الانتقادية من خلال القوّة الإنجازية المرتبطة بأفعال الكلام المباشرة المتمثلة في الاستفهام في قوله " "ما هذا الحرص وما هذا الكد...مدينا كثير العيال كيف تكون؟ ويحدّد السياق التداولي القصدية التواصلية المستلزمة من أفعال الكلام المباشرة، وتتمثل هذه القصدية في دعوة جعفر لأبي عُيَيْنَةَ إلى التخلي عن هذه الطباع والعدول عن هكذا أفعال، ويحثه على أن يحمّد خالقه على نعمته.

أما بالنسبة للترجمة، عمد المترجم إلى استعمال تقنية التكافؤ التداولي في ترجمته لعبارة "ما أحسن" بـ "como diera en el clavo" وهو تعبير اصطلاحي يستخدم في اللّغة الإسبانية للإشارة إلى أنّ شخصاً ما مُحق فيما يفعل أو يقول، وهي عبارة تتناسب المعنى الذي جاء في اللّغة العربية، وبهذا حافظ المترجم على المعنى نفسه وعلى القوّة التأثيرية نفسها للقصد التواصلية المتمثّل في السخرية الانتقادية من خلال إضمار المعنى في التعبير الاصطلاحي.

كما استخدم تقنية الإيضاح التداولي في " **Pesó al animal y observó: Este es el** "

peso de la carne, ahora falta saber dónde está el gato" ، حيث أضاف

عبارة "**ahora falta saber**" ، وهي عبارة مختزلة في النص الأصلي، لكن المترجم

أضافها ليزيل الغموض، وتصبح هذه المعلومة ذات الصلة وسيلة سياقية لنقل القصدية

التواصلية نفسها وإحداث الأثر نفسه في نفسية القارئ الأجنبي.

تحولت العبارة الانجازية الصريحة "أعرض بي؟"، إلى عبارة إنجازية مضمرة لا يظهر

فيها فعل الإنجاز المتمثل في الاستفهام، في "**Se sintió aludido**" وذلك لأن المترجم

استعمل تقنية الإيضاح في ترجمته، بحيث تحمل العبارة "**Se sintió aludido**" معنى

"أحسّ نفسه معنياً أو شعر بأنه يشير إليه بكلامه" وهو معنى تضمّنه أسلوب التعريض،

لكن هذا التحوّل لم يؤثر على الافتراض المسبق الذي تحمله العبارة.

كما نلاحظ أنّ المترجم استخدم المحاكاة في ترجمته لـ "الكلاء" بـ "**Kallā**"، وبما أن

العبارة غريبة على القارئ الإسباني، اعتمد المترجم الإيضاح التداولي من خلال إضافة

شرح لمعنى الكلمة في هامش الصفحة وتتمثل في " **Nombre de un puerto y zoco** "

en los alrededores de Basora، أي اسم مرفأ سفن وسوق بضواحي البصرة.

كما أنّ استخدام المترجم لتقنية التكافؤ أبقى على نفس القوّة الإنجازية في فعل الكلام

المباشر المتمثل في الاستفهام في "**A qué vienen estas ansias ...¿cómo serías?**"

بحيث يترك القارئ الإسباني يتعرف على القصدية التواصلية والمتمثلة في السخرية الانتقادية من خلال السياق.

جاء التعريض دون تصريح مباشر ويُفهم من خلال سياق الحجج التي ساقتها شخصيات القصة في الحوار. كما جاء تحليل أمثلة التعريض بالاعتماد على مبدأ التعاون ومسلّماته ومن خلال نظرية الصلة عن طريق عنصر المعرفة المشتركة. ولقد اعتمد المترجم على استراتيجيات الترجمة التبادلية وعلى مبدأ الصلة من أجل نقل السخرية بالحفاظ على الشكل والأسلوب الذي جاءت فيه وبالتالي نقل قصدية المؤلف الأصلي بسلامة، وتمكّن بذلك من إحداث التأثير نفسه الذي تتركه السخرية في نفسية القارئ.

3.4.3. نموذجان عن السخرية بأسلوب الدعابة:

لم يحتوِ كتاب البخلاء إلا عددا قليلا من نماذج السخرية عن طريق الدعابة، وأسلوب الدعابة يستخدمه الساخر من أجل الضحك، ويتخذ من خلاله الساخر أحد صفات المسخور منه السلبية ويجعلها موزعا للاستهزاء ليس على سبيل التهكم وإنما من أجل الفكاهة فقط (أنظر العنوان رقم 7.7.1). وسنبيّن من خلال الأمثلة التالية كيف جاءت السخرية عن طريق الدعابة:

1.3.4.3. قصة رجل من بني أسد:

قال الجاحظ:

وكان عندنا رجل من بني أسد، إذا سعد ابن الأكار إلى نخلة له، ليلقط له رطباً، ملاً فاه ماءً، فسخروا به، وقالوا له: "إنه يشربه ويأكل شيئاً على النخلة، فإذا أراد أن ينزل بال في يده، ثم أمسكه في فيه". والرطب أهون على أولاد الأكرة، وعلى أولاد غير الأكرة من أن يحتمل فيه أحد شطر هذا المكروه ولا بعضه. قال: فكان بعدها يملأ فاه من ماء أصفر أو أخضر، لكيلا يقدر على مثله في رؤوس النخل." (الجاحظ، 2009، ص133)

Vivía entre nosotros uno de los Banu Asad que llenaba con agua la boca del hijo del aparcerero cada vez que trepaba a las palmeras para recoger dátiles frescos. Y hubo quienes le embromaron con tal motivo diciéndole: «se bebe el agua, come algo cuando está en la palmera y al ir a bajar se mea en la mano y luego se lo pone en la boca». Los dátiles frescos valen demasiado poco a ojos de los hijos de los aparceros, o de los hijos de nadie, como para que puedan soportar la mitad, ni aun menos, de semejante asquerosidad. Y como consecuencia sin embargo, le rellenaba la boca con agua amarilla o verde para que no pudiese conseguir otra parecida en la copa de las palmeras. (Fanjul, 1984, p. 190)

تقوم السخرية في هذه القصة على الدعابة لأنّ القوم يعرفون خصال هذا الرجل ونفسيته البخيلة، واحتياطه من خسارة ما يملك وإن كان قليلاً وتصديقه لكل خبر، ولو كان غير صحيح ومبالغ فيه، يُطلعه بأنّه يجب أن يحتاط للحفاظ على ما يملك ويتخذ جميع الإجراءات لضمان ذلك، فاتخذ هؤلاء القوم من هذه الخصلة الناقصة موضعاً للدعابة والاستهزاء.

وتظهر السخرية في هذه القصة من خلال خرق مسلمة الكيفية التي تفيد بعدم التصريح بما نعتقد أنّه خاطئ في "إنه يشربه ويأكل شيئاً على النخلة، فإذا أراد أن ينزل بال

في يده، ثم أمسكه في فيه" ففي هذه العبارة تصريح بشيء لا يحدث في الحقيقة وإنما صرّح بها القوم قصد السخرية من الرّجل البخيل. ودليل أنّ هذا الخبر غير صحيح تعقيب الجاحظ المتمثل في قوله "والرطب أهون... بعضه" إلا أنّ القصد التواصلية المتمثل في أنّ القوم يسخرون منه فقط على سبيل الدعابة لم يصل إلى الرّجل لأنّه يُصدّق كل ما يقال له إن تعلّق الأمر بماله، ودليل ذلك أنّه اتخذ سبيلا آخر لاحتياط به ولينأكد من عدم أكل ابن الآكار للرطب والمتمثل في ملأ فمه بماء أصفر أو أخضر حتى لا يستطيع أن يأتي بمثله وهو على رأس النخلة. لكنّ القصدية التواصلية تصل للقارئ من خلال الأسلوب السردى الذي جاءت فيه القصة ومن خلال القصدية الإخبارية التي بيّنها الجاحظ في قوله "سخروا منه"، أي أنّ الجاحظ يقصد أن يخبر القارئ بأنّ القوم يسخرون من الرّجل للدعابة فقط.

أما بالنسبة للترجمة، فقام المترجم بالحفاظ على خرق مبدأ الكيفية الموجود في النص الأصلي لإنتاج نفس السخرية في النص الهدف من خلال استخدام تقنية الإيضاح التداولية لترجمة القصد التواصلية المتمثل في السخرية عن طريق الدعابة في ترجمته لـ "سخروا به" بـ "Le embromaron con tal motivo"، لأنّ عبارة "سخروا به" تحمل معنى إضافيا ضمنيا يتمثل في الدعابة وهذا ما تحمله دلالة الفعل "embromar" في اللّغة الإسبانية. كما بيّن المترجم أنّ الرّجل لم تصله القصدية التواصلية لهؤلاء القوم في ترجمته من خلال تقنية الإيضاح التداولي في "como consecuencia" وهي عبارة

يظهر معناها ضمناً في النص الأصلي في "فكان بعدها"، حيث كانت نتيجة سخر القوم بالرجل من خلال الدعابة أن الرجل احتاط أكثر من ذي قبل.

2.3.4.3. قصة أبو عبد الله:

يقول الجاحظ:

وأبو عبد الله هذا كان من أطيب الخلق، وأملحهم بخلا، وأشدهم رياء، أدخل على ذي اليمينين، طاهر بن الحسين، وقد كان يعرفه بخراسان بسبب الكلام، فقال له: منذ كم أنت مقيم بالعراق، يا أبا عبد الله؟ فقال: أنا بالعراق منذ عشرين سنة، وأنا أصوم الدهر منذ أربعين سنة. قال: فضحك طاهر، وقال: سألتك يا أبا عبد الله عن مسألة، فأجبتنا عن مسألتين. (الجاحظ 2009، ص 21-22).

Este Abu Abd Allah era una de las personas más divertidas, avaritas e hipócritas que existían. En cierta ocasión se le introdujo ante Du l-Yaminayn Yahir b.Husayn, al que conociera en Jurasán por sus conocimientos de Teología (Kalam), y éste le dijo:

- ¿Desde cuándo resides en el Iraq, Abu Abd Allah?
 - Estoy aquí desde hace veinte años y ayuno habitualmente desde cuarenta.
- Tahir rompió a reír y concluyó:
- Te pregunté una cosa y me contestaste dos. (Fanjul, 1984, p. 93)

أشار الجاحظ في بداية القصة إلى أن عبد الله كان طيباً وشديداً بالبخل وكثير الرياء، وهي صفة جعلت من يعرفه يتخذها للدعابة والضحك.

وظهرت السخرية عن طريق الدعابة في هذه القصة في قول الجاحظ "فضحك طاهر،

وقال: سألتك يا أبا عبد الله عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين". ولقد أجاب أبو عبد

الله عن مسألتين رياء منه، وهذه الصفة جعلت الآخرين يتخذون منه موضعاً للدعابة

الساخرة.

وجاءت السخرية نتيجة لخرق مسلمة الكيفية التي تتطلب أن تكون المساهمة حسب
غرض المحادثة. لكن أبو عبد الله أجاب عن السؤال وأضاف معلومات لا تتعلق
بموضوع المحادثة في "أصوم الدهر منذ أربعين سنة".

والقصيدة التواصلية وراء ضحك طاهر بن الحسين لم تكن للاستهزاء، وإنما للضحك
والدعابة ودليل ذلك أن طاهر بن الحسين كان يعرف أبا عبد الله بخمرسان بسبب
الكلام⁴⁰.

أما بالنسبة للترجمة فقد عمد المترجم إلى نقل هذه القصة بالاعتماد على الترجمة
الحرفية، لذلك قد يتعذر على القارئ فهم القصيدة التواصلية المتمثلة في السخرية من
رياء أبي عبد الله عن طريق الدعابة. ودليل ذلك أنه المقطع الذي ظهرت فيه السخرية
في النص الأصلي، المتمثل في "فضحك طاهر، وقال: "سألناك يا أبا عبد الله عن

مسألة، فأجبنا عن مسألتين "ب" "rompió a reír y concluyó: Te pregunté una

cosa y me contestaste dos جاءت فيه الترجمة حرفية، قد لا يفهم من خلالها

القارئ القصيدة الحقيقية وراء ضحك طاهر بن الحسين نظرا لاختلاف الثقافتين، فعلى

الرغم من أن المترجم أشار، مثلما جاء في النص الأصلي، إلى أن أبا عبد الله يتصف

بشدة الرياء في "más hipócritas que existían"، وأن طاهر بن الحسين يعرف أبا

عبد الله من الكلام في "al que conociera en Jurasán por sus conocimientos"

40- يقصد بالكلام، علم الكلام الذي ظهر للدفاع عن العقيدة الإسلامية والدفاع عليها ودفع الشبهة عنها من خلال إيراد الحجج عليها.

"de Teología"، إلا أنّ الترجمة لم تَفِّ حقّ القصدية التواصلية الموجودة في النصّ الأصلي، وذلك كون المترجم لم يبيّن سبب ضحك طاهر وأبقاه ضمنياً. وقد كان بإمكان المترجم أن يضيف معلومات تبيّن بأنّ الرياء في "أصوم الدهر منذ أربعين سنة" **"ayuno habitualmente desde cuarenta años"** هو رياء متعلّق بالعبادات الإسلامية، وأنّ الرياء عادة غير محمودة على المسلم تجنّبها. كما كان بإمكانه أن يشير إلى أنّ أبا عبد الله أراد من خلال إجابته على مسألتين أن يرائي لهذه العادة ليظهر بمظهر الإنسان المتدين الذي يخشى الله ليحظى بمكانة عند المستمع، الأمر الذي جعله موضع سخرية القوم.

تبيّن من خلال الأمثلة أن أسلوب السخرية عن طريق الدعابة جاء غير مباشر من خلال خرق مسلمات مبدأ التعاون المتمثلة في كل من مسلّمة الكيفية التي تتطلّب أن تكون مساهمة المتكلّم حسب غرض المحادثة. وتبيّن من خلال الترجمة أن المترجم لجأ تارة إلى استراتيجيات الترجمة التداولية عن طريق تقنية الإيضاح التداولي، فتمكّن بذلك من نقل قصدية المؤلّف من السخرية إلى اللّغة الإسبانية شكلاً وأسلوباً. لكنّه لجأ تارة أخرى إلى الترجمة الحرفية، فظهر خرق مسلّمة الكيفية اعتبارياً، لكنّه لم يستوف حقّ القصدية التواصلية كما جاءت في النصّ الأصلي، وأبقاها متضمّنة لترك بذلك للقارئ جهد الوصول إليها.

4.4.3. نموذج عن السخرية بأسلوب التورية:

ينتمي أسلوب التورية إلى البديع، وهو أسلوب يحتوي على معنيين أولهما أحدهما ظاهر والآخر باطن، ويكون لفظ التورية مشترك في معنيين أحدهما قريب وهو مقصود، والثاني بعيد وهو غير مقصود. وهي أسلوب يلجأ إليه الساخر لإخفاء سخريته. وينقسم أسلوب التورية إلى ثلاثة أنواع، تورية مجرّة ومرشحة ومبيّنة (أنظر العنوان رقم 2.7.1). وسنبيّن السخرية عن طريق التورية من خلال المثال التالي:

1.4.4.3. قصة أبو الأسود الدؤلي:

قال الجاحظ: "وأكل أعرابي مع أبي الأسود الدؤلي، فرأى له لقما منكرا، وهاله ما يصنع. قال له: "وما اسمك؟" قال: لقمان. قال: صدق أهلك. أنت لقمان. (الجاحظ، 2009، ص153).

Un nómada comía en compañía de Abū-I- Aswad ad-Du'alī y como éste viera que el otro yantaba en demasíaasustado por la situación, le inquirió:

-¿Cuál es tu nombre?

-Luqmān⁴¹

- Acertó tu familia: desde luego eres *Luqmān*. (Fanjul, 1984, p. 208)

إن القصدية التواصلية في هذه القصة جاءت للسخرية من طريقة أكل الأعرابي السريعة، وهي سخرية انتقادية استخدم فيها أبو الأسود أسلوب التورية في قوله "صدق أهلك. أنت لقمان"، وذلك لأن كلمة "لقمان" تحمل معنيين، المعنى الأول وهو "ما قيل

⁴¹ - tragador, voraz

"lo que es dicho" وهو معنى مجرد يدل على اسم الأعرابي، أما المعنى الثاني وهو المعنى المستلزم (lo que es implicado) ويتمثل في صفة الأكل السريع، وقد ترك لنا المتكلم معلومة ذات صلة تتمثل في "لقما منكرًا" يستدل بها القارئ على المعنى المستلزم في كلمة لقمان. والمعنى الثاني هو الذي يعبر عن قصدية أبي الأسود التواصلية. وحصلت السخرية نتيجة لخرق مسلمة الجهة التي توجب تجنب الالتباس والغموض وقوله "أنت لقمان"، فيه التباس لأن اللفظ يحتمل أكثر من معنى.

أما بالنسبة للترجمة حاول المترجم أن ينقل القصدية التواصلية المتمثلة في السخرية عن طريق التورية من خلال نسخ كلمة "لقمان Luqman" في النص الهدف وإضافة شرح للمعنى المستلزم من هذه الكلمة في الهامش، في "tragador"، "Voraz" عن طريق تقنية الإيضاح التداولي. إلا أنّ القوة التأثيرية التي جاءت بها السخرية في النص الأصلي لم تظهر بالقدر نفسه في الترجمة. ويعود ذلك لسبب اختلاف تراكيب ودلالات الألفاظ بين اللغتين.

خلصنا من خلال هذا النموذج أن السخرية عن طريق التورية لم تظهر في المدونة إلا مرة واحدة، وجاءت في شكل تورية مرشحة (أنظر العنوان رقم 2.2.7.1). ولقد تمكنا من تحليل هذه النموذج بالاعتماد على مسلمات مبدأ التعاون ونظرية المناسبة من خلال مبدأ الصلة. وتوصلنا إلى أنّ السخرية عن طريق التورية جاءت نتيجة لخرق مسلمة الجهة، وأنّ المتلقي يتنبه إليها من خلال الدليل الذي تركه المؤلف في النص

والمتمثّل في لفظ "لقما" الذي يحمل معنى قريب وآخر بعيد مثلما بيّناه في تحليل المثال. ولاحظنا أنّ المترجم اكتشف أسلوب التورية وحاول أن ينقل السخرية من خلاله إلى اللّغة الهدف. لكنّه لم يتمكّن من نقل القوّة التأثيرية نفسها نتيجة لاختلاف دلالات الألفاظ بين اللّغتين، ونظرا لغياب هذا النوع من التورية في اللّغة الهدف.

5.4.3. نموذجان عن السخرية بأسلوب الرّد بالمثل:

يتمثّل أسلوب الرّد بالمثل في إعادة المتلقي لكلام المرسل مثلما جاء تماما، وغالبا ما يتميز صاحبه بسرعة البديهة والفتنة. ولقد وظّفه الجاحظ من أجل السخرية على سبيل الضحك والتندر لكونه أسلوب غير مباشر يميّز بعنصر المفاجأة. وتظهر السخرية عن طريق الرّد بالمثل من خلال الأمثلة التالية:

1.5.4.3. قصّة الثوري مع الخليل السلولي:

قال الجاحظ على لسان الخليل السلولي:

أقبل علي يوما الثوري، وكان يملك خمسمائة جريب، ما بين كرسي الصدقة إلى نهر مرّة، ولا يشتري إلّا كلّ غرّة، وكلّ أرض مشهورة بكريم التربة، وشرف الموضع، والعلّة الكثيرة. قال: "فأقبل عليّ يوما، فقال: "هل اصطبغت بماء الزيتون قطّ؟". قال: قلت: لا". قال: "أما والله لو فعلته ما نسيته". قال: قلت: "أجل إني والله لو فعلته ما نسيته".

(الجاحظ، 2009، ص103)

Al Jalīl as-Salūlī cuenta lo siguiente:

Cierto día At-Tawri -dueño de quinientos yārīb entre Kursī s-Sadaqa y Nahr Murra y que no compraba sino la flor de los campos, tierras renombradas por su fertilidad de su humus, su buen emplazamiento y lo copioso de sus frutos-dirigiéndose a mí me preguntó:

- ¿Nunca Utilizaste el *agua de olivo* como aliño?
- No, por dios -contesté.
- por el Cielo, si lo hicieras no lo olvidarías.

-Desde luego, sabe dios que si lo hubiera utilizado nolo olvidaría.(Fanjul, 1984,p. 162)

في هذه القصة سخرية عن طريق الرّد بالمثل، أي إعادة ما قاله المخاطب للمخاطب، ويظهر ذلك في إعادة السلولي لما قاله الثوري في "أجل إنّي والله لو فعلته ما نسيته". ولا يقصد السلولي تأكيد حسنة الاصطباغ بماء الزيتون، رغم أنّ الظاهر من الكلام يبيّن ذلك، لكن قصدية السلولي التواصلية تتمثّل في التهكّم من قول السلولي، لأنّ المعنى المتضمن في هذه الجملة يتمثّل في أنّ السلولي لا يرى ضرورة الاصطباغ بماء الزيتون، وكأنّ يقول له ضمنيا "ما هذا الهراء، ما فائدة الاصطباغ بماء الزيتون وما حاجتي إليه؟"

وتظهر السخرية من خلال خرق مسلمة الجهة، لأنّ السلولي لم يكن واضحا في كلامه. ومن هذا المثال خرق لمسلمة الكيفية أيضا، لأنّ السلولي صرّح بما يعتقد أنّه خاطئ.

أما بالنسبة للترجمة، نقل المترجم القصة اعتمادا على الترجمة الحرفية، ولم يستعمل أي تقنية من التقنيات التداولية، وبهذا هناك احتمال ضئيل أن يصل القارئ الإسباني للقصدية التواصلية المتضمّنة في القول، وقد يفهمها بأنّها تأكيد على قول الثوري، وهذا ما تدلّ عليه عبارة "Desde luego" التي نستعملها في اللّغة الإسبانية للتأكيد على الشيء. حيث كان من الممكن أن يضيف المترجم شرحا يبيّن من خلاله قصدية السلولي.

2.5.4.3. قصة الجمّاز:

يقول الجاحظ: "وقيل للجمّاز: رأيناك في دهليز فلان، وبين يديك قصعة، وأنت تأكل، فمن أيّ شيء كانت القصعة، وأي شيء كان فيها؟ قال: قيء كلب، في قحف خنزير" (الجاحظ، 2009، ص73)

" Dijeron a al-ÿammāz: ' Te vimos en el zaguán de Fulano, tenías delante una bandeja y estabas comiendo; ¿de qué material era el plato y qué había en él? 'Vómitos de perro en una calavera de cerdo'⁴², respondió'.(Fanjul, 1984, p.137)

جاءت السخرية عن طريق الرّد بالمثل، أي سخرية بسخرية، فلمّا أراد السائل أن يسخر من الجمّاز في قوله "رأيناك في دهليز فلان، وبين يديك قصعة، وأنت تأكل، فمن أيّ شيء كانت القصعة، وأي شيء كان فيها؟"، ردّ عليه الجمّاز بسخرية في قوله " قيء كلب، في قحف خنزير". فتمكّن الجمّاز بفطنته وسرعة بديهته أن يتحوّل من مسخور منه إلى ساخر، وتحوّل بذلك الموقف المرح إلى موقف مضحك.

وظهرت السخرية نتيجة لخرق مسلّمة الكيفية لأنّ الجمّاز صرّح بشيء يعتقد بأنّه خاطئ ولا يستطيع إثباته، لأنّ الأكل الذي كان في القصعة ليس ما صرّح به الجمّاز. إضافة إلى خرق مسلّمة الملاءمة لأنّ جواب الجمّاز لم يكن ملائماً لطلب السائل.

أما القصدية التواصلية للجاحظ من خلال سرده لهذه القصة فتتمثل في التفكّه والضحك من موقف الجمّاز، لأنّه يعرف بأنّه صاحب نادرة وخبيث اللسان.

⁴² - Animales impuros ambos

أما بالنسبة للترجمة فقد قام المترجم، بنقل السخرية عن طريق الرّد بالمثل في هذه القصة من خلال اللّجوء إلى الترجمة الحرفية، حيث ترجم جواب الجَمَّاز بـ " **vómitos** " **de perro en una calavera de cerdo** ". وتخلّلت الترجمة استراتيجية الإيضاح عن طريق الإضافة لأنّه أضاف تهميشاً يشرح من خلاله أنّ الكلب والخنزير هي من الحيوانات النجسة في الثقافة العربية، ليبينّ بذلك أنّ اختيار الجَمَّاز لهما لم يكن محض صدفة.

أما بالنسبة لخرق مسلّمة الكيفية ومسلّمة الجهة، فلقد جاء في الترجمة نتيجة للترجمة الحرفية لأنّ السخرية في هذه القصة جاءت لفظية.

لم تظهر قصدية الجاحظ التواصلية واضحة في الترجمة لأنّ القارئ الهدف لا يعرف من هو الجَمَّاز، فكان حرياً على المترجم أن يضيف معلومات عن الجَمَّاز ليتمكّن القارئ من الوصول إلى سياق القصة، لأنّ مجون الجَمَّاز وطبيعته المعروفة بالتندّر وسرعة بديهته هي سبب التحوّل في القصة.

أظهر التحليل التداولي للأمثلة أن السخرية عن طريق الرّد بالمثل تحدث نتيجة لخرق مسلّمة الجهة ومسلّمة الكيفية ومسلّمة الملاءمة. كما خلصنا إلى أنّ اعتماد المترجم على الترجمة الحرفية أدّى إلى عدم وضوح القصدية التواصلية في النصّ المترجم وذلك لاختلاف الخلفية الثقافية لمؤلف النصّ الأصلي عن تلك الخاصة بالقارئ الهدف. وخلصنا إلى أنّه كان حرياً على المترجم أن يلجأ لاستراتيجيات الترجمة التداولية من

أجل إيجاد مكافئٍ للسخرية عن طريق الرّد بالمثل في اللّغة الهدف، أو ليشرح من خلالها هذا النوع من السخرية.

6.4.3. نموذجان عن السخرية بأسلوب المبالغة:

يتمثل أسلوب المبالغة في تجاوز الحقيقة والخروج عن المألوف للوصول إلى درجة الخيال، وتتقسم حسب الدرجة إلى تبليغ وإغراقٍ وغلوٍ. (أنظر العنوان رقم 10.7.2) ولقدوظّف الجاحظ أسلوب المبالغة للسخرية من البخلاء لتكون نتيجتها الضحك والتندر. ومن أمثلة السخرية عن طريق المبالغة في كتاب البخلاء نجد ما يلي:

1.6.4.3. قصّة صبي من أهل مرو:

يقول الجاحظ على لسان أحمد بن رشيد:

كنت عند شيخ من أهل مرو، وصبيّ له صغير يلعب بين يديه، فقلت له، إما عابثاً وإما ممتحنناً: أطعمني من خبزكم. قال: لا تريده، هو مرّ. فقلت: فاسقني من مائكم. قال: لا تريده، هو مالح. قلت: هات لي من كذا وكذا. قال: لا تريده، هو كذا وكذا. إلى أن عددت أصنافاً كثيرة، كل ذلك يَمَنَعُنِيهِ وَيَبْغِضُهُ إِلَيَّ. فضحك أبوه وقال: ما ذنبنا؟ هذا من علمه ما تسمع؟ يعني أنّ البخل طبع فيهم وفي أعراقهم وطينتهم". (الجاحظ، 2009، ص18)

En cierta ocasión estaba en casa de jeque de Merv y frente a él jugaba un niño hijo suyo. Tanto por broma como por ver su reacción le pedí: 'Dame de tu pan'. y la respuesta fue: 'No te ha de gustar, está amargo'. Insistí: Pues dame de vuestra agua'. Y repuso: 'No te Gustará, es salobre. A lo que seguí pidiéndole tal y cual cosa, enumerando muchísimas, con la contestación sabida: ' Está así, o de otra manera'. El chico me negaba todo y trataba de hacérmelo repugnante. Hasta que su padre se echó a reír: " ¿Qué culpa tenemos? ¿Quién le enseñó lo que oyes?, queriendo significar que tacañería era parte de su idiosincrasia, estaba en sus venas y en su naturaleza". (Fanjul, 1984, p. 89)

تبيّن هذه الطرفة أنّ البخل متأصل عند أهل مرو وطبع متغلغل في نفسيتهم، بحيث ينقلونه إلى أولادهم ويتباهون بذلك، لأنّ البخل أصبح عندهم مذهب في الاقتصاد والإصلاح، وطريقة الجاحظ في سرد جواب الصبي على لسانابن الرشيد، تُظهر القصدية التواصلية المتمثلة في السخرية الخفية من بخل هذه العائلة الشديد، لأنّه كان يعلم أنّه لن ينال شيئاً مما طلب وإنّ أصّر، ورغم ذلك كان يعدّ أصنافاً كثيرة ولمحّ إليها بعبارة "كذا وكذا" ويقابل بالرفض في كلّ مرّة. والدليل علانته كان على علم بأنّ البخل طبع متأصل في أعراقهم قوله "يعني أنّ البخل طبع فيهم وفي أعراقهم".

وإذا نظرنا إلى القصة من الجانب التداولي نجد أنّ الحوار يتضمن قوّة إنجازية تتمثل في رفض الصبي إطعام أحمد بن الرشيد. أمّا السخرية فتتحقق من خلال المعنى الضمني الذي تحمله إجابات الصبي والتي تتمثل في "لا تريده فهو مر" و "لا تريده هو مالح"، حيث تتمثل القصدية التواصلية، وراء هذه الإجابات، في أنّ الصبي بخيل ولا يريد أن يشارك طعامه وشرابه هذا الغريب.

وفي المثال افتراض مسبق يتمثل في أنّ ابن الرشيد افتراض بأنه لن ينال شيئاً مما طلب لأنّه على دراية بطبائع أهل مرو البخيلة، ودليل ذلك قوله "إما عابثاً وإما ممتحناً"، وبهذا كانت الكفاءة التداولية حاضرة وساعده ذلك على أن يفهم ما يقصده الصبي دون التصريح بذلك. أما بخصوص الترجمة فلقد قام المترجم بالحفاظ على نفس القصدية التواصلية في اللّغة الهدف من خلال ترجمة المعنى في " tanto por

No te "و" No te ha de gustar, está amargo" و "broma como por ver su reacción

"gustará"، وذلك من خلال عدم التصريح بالقصد الضمني وبهذا نقل السخرية

المتضمنة في اللغة الهدف بأمانة.

2.6.4.3. قصة دجاجة أبو هذيل العلاف:

يقول الجاحظ:

كان أبو الهذيل أهدى إلى مويسدجاجة. وكانت دجاجته التي أهداها دون ما كان يتخذ لمويس. ولكنه بكرمه وبحسن خلقه أظهر التعجب من سمنها وطيب لحمها. وكان يعرف بالإمساك الشديد. فقال: وكيف رأيت يا أبا عمران تلك الدجاجة قال: كانت عجباً من العجب! فيقول: وتدرى ما جنسها وتدرى ما سنّها فإن الدجاجة إنما تطيب بالجنس والسن. وتدرى بأي شيء كنا نسمنها. - فلا يزال في هذا والآخر يضحك ضحكاً لا يعرفه أبو الهذيل. وكان أبو هذيل أسلم الناس صدرا وأوسعهم خلقا وأسهلهم سهولة، فإن ذكروا دجاجة قال: أين كانت يا أبا عمران من تلك الدجاجة فإن ذكروا بطة أو عناقاً أو جزوراً أو بقرة قال: فأين كانت هذه الجزور في الجزر من تلك الدجاجة في الدجاج وإن استسمن أبو الهذيل شيئاً من الطير والبهائم قال: لا والله ولا تلك الدجاجة! وإن ذكروا عذوبة الشحم قال: عذوبة الشحم في البقر والبط وبطون السمك والدجاج ولا سيما ذلك الجنس من الدجاج، وإن ذكروا ميلاد شيء، أو قدوم إنسان قال: "كان ذلك بعد أن أهديتها لك بسنة، وما كان بين قدوم فلان وبين البعثة بتلك الدجاجة، إلا يوم" وكانت مثلاً في كل شيء وتاريخاً في كل شيء. (الجاحظ، 2009، ص135)

Abū l-Hudayl había regalado una Gallina a Muways, pero no era del porte de las que se solían escoger para éste. Sin embargo, su talante generoso y su excelente natural le impulsaron a mostrar asombro de sus buenas grasas y de lo sabroso de su carne, pues sabía cuán roñoso era el otro que le inquirió:

- Abū Imrān, ¿qué te pareció de la gallina?

- Maravilla de maravillas.

- ¿Sabes a qué raza pertenecía y qué tiempo tenía - pues el gusto de las gallinas sólo se debe de su raza y edad-, con qué y dónde la engordábamos?

Y así seguía mientras el otro reía de una forma que nosotros conocemos, pero no Abū Hudayl, que era de los más ingenuo, crédulo y simplón del mundo. Si mencionaban una gallina, apostillaba: "Abū Imran ¿Dónde va a dar ésta con la que yo te regalé?" y si se trata a colación un pato o una chiva o un trozo de animal sacrificado, o de vaca, comentaba: "¿dónde va a dar esa pieza de carne entre las de su género comparándola con aquella gallina entre las del suyo?" Si un ave o una acémila le parecían grasientas decía: "No, por dios, esta gallina no vale para nada". Pero si se recordaba lo sabroso de la grasa replicaba: "la grasa es exquisita en las vacas, patos el vientre de los pescados y en las gallinas, especialmente esta raza de gallinas.". Y si evocaban un nacimiento o la llegada de alguien remataba: "Fue un año después de que te regalara la gallina", o "sólo transcurrió un día entre la venida de Fulano y el envío de la gallina". Valía como paradigma y efemérides de cualquier cosa. (Fanjul, 1984, p.192)

برع الجاحظ في تصوير نفسية أبو الهذيل البخيلة من خلال سرده لتعقيبات "أبي الهذيل" على الدجاجة، حيث أنه يعتز بها اعتزازا شديدا كونه يعتبر دجاجته من أحسن الفصائل، وقد أوقعه تعجبه الكبير من الدجاجة في ذهول وغفلة مبالغ فيها، حيث كان يظن، إن ذكرها في كل موضع حسن، أنه يفتخر بها، وكان يحسب أن ضحك الناس نابع من تعجبهم لشدة كرمه، لكن ذلك لم يكن صحيحا، لأن الناس كانوا يضحكون عليه لأنه أهدى الدجاجة وأصبح يذكرها في كل مقام ويمنّ بها على صاحبه ولو بعد مرور سنة من الزمن، حتى أصبحت الدجاجة مثلا في كل شيء وتاريخا في كل شيء.

وتظهر القصدية التواصلية في هذه القصة في محاولة الجاحظ نقل أحداث القصة بصورة غير مباشرة، ويقصد وراء سرده لها، إخبار القارئ أنّ "أبا الهذيل" شخص بخيل، وترك معلومات ذات صلة ليستدل بها القارئ على أنّ أبا الهذيل شخص بخيل لكنّه يدّعي الكرم، تتمثل في "وتدري ما جنسها وتدري ما سنّها، فإن الدجاجة إنما تطيب بالجنس والسن" [...] "أين كانت يا أبا عمران من تلك الدجاجة" [...] "أين كانت هذه الجزور في الجزر من تلك الدجاجة" [...] "ما كان بقدم فلان وبين البعثة من تلك الدجاجة". وتظهر من خلال القصدية التواصلية سخرية الجاحظ الضمنية من بخيله ودلالة ذلك قوله في نهاية القصة "وكانت مثلا في كل شيء وتاريخا في كل شيء"، بحيث تتضمّن هذه العبارة معنى ضمنيا يتمثل في أنّه من شدّة بخل أبي الهذيل كان يرى أنّه أهدى دجاجة ليس لها مثيل. وسياق القصة يبين غير ذلك ودليله أنّ الجاحظ أشار إلى الدجاجة التي أهداها أبو الهذيل لمويس كانت دون ما كان يتخذ له. أي أنّ مويس كان يستقبل دجاجة أحسن من هذه كهديّة، رغم ذلك بالغ أبو الهذيل في اعتزازه بدجاجته حتى أصبح يضرب بها المثل في كل شيء، ويستشهد بها في كل ذكرى أو مناسبة.

وقد جاء في ترجمة "فانخول" - Fanjul - تأكيد على القصدية التواصلية المتمثل في السخرية من البخل عن طريق المبالغة، كونه أبقى على نفس المعاني التي حملتها القصة، بدليل أنّه ترجم العبارة "حتى أصبحت مثلا في كل شيء وتاريخا في كل

شيء" بـ "Valía como paradigma y efemérides de cualquiera cosa"، حيث أنّ كلمة "مثل" يقابلها في الإسبانية كلمة "ejemplo" لكن المترجم استعمل كلمة "Paradigma" للإبقاء على المعنى الحقيقي للعبارة. كما استعمل كلمة "efeméride" مقابلاً لكلمة "تاريخ"، وذلك لأن كلمة "efeméride" هي التي تصلح أن تكون مقابلاً، لأن الجاحظ يقصد بـ "تاريخاً في كل شيء"، ذكرى الأحداث التي مرّت على أبي الهذيل.

خلصنا من خلال الأمثلة إلى أنّ السخرية عن طريق المبالغة جاءت ضمنية ولم تظهر القصدية التواصلية من خلال خرق المسلّمات الحوارية وإنّما ظهرت من خلال الصيغ غير المباشرة ومن خلال الافتراض المسبق. أمّا بخصوص الترجمة فلم يلجأ المترجم إلى استراتيجيات الترجمة التداولية وإنّما اعتمد على الترجمة الحرفية ليحافظ من خلالها على المقاصد التواصلية التي جاءت ضمنية. والجدير بالذكر أن انتهاج المترجم الترجمة الحرفية لم يخل بالمعنى العام الذي جاءت فيه القصص.

7.4.3. نموذجان عن السخرية بأسلوب الحوار الجدلي:

استعمل أسلوب الحوار الجدلي من طرف البخلاء للمراوغة وتبرير مذهبهم في البخل من خلال الاتيان بحجج وبراهين باطلة لتضليل الحقيقة. ولقد استعمله الجاحظ بطريقة ساخرة ليكشف نفسية البخلاء ودحض حججهم الباطلة. (أظر العنوان رقم 4.7.2)، وليبيان ذلك نسوق الأمثلة التالية:

1.7.4.3. قصة عبد الله الحزامي:

قال الجاحظ في حواره مع الحزامي:

وقلت له مرّة، قد رضيت بأن يقال: عبد الله بخيل؟ قال: لا أعدمني الله هذا الاسم. قلت: وكيف؟ قال: لا يقال فلان بخيل، إلا وهو ذو مال، فسلم إليّ المال، وادعني بأيّ اسم شئت. قلت: ولا يقال أيضا فلان سخيّ، إلا وهو ذو مال، فقد جمع هذا الاسم الحمد والمال، واسم البخل يجمع المال والذم. فقد اخترت أحسّهما وأوضعهما. قال: وبينهما فرق. قلت: فهاته. قال: في قولهم بخيل تثببت لإقامة المال في ملكه، وفي قولهم: "سخيّ" إخبار عن خروج المال من ملكه. واسم البخيل اسم فيه حفظ وذم، واسم السخيّ اسم فيه تضييع وحمد. والمال زاهر، نافع، مكرم لأهله، معزّ، والحمد ريح وسخرية، واستماعك له ضعف وفسولة. وما أقلّ غناء الحمد، والله، عنه، إذا جاع بطنه، وعري جلده، وضاع عياله، وشمّت به من كان يحسده. (الجاحظ، 2009، ص62)

- En otro momento le pregunté:
- ¿Estás satisfecho de que se diga «Abd Allah es un avaro»?
- ¿Que dios no me prive de tal nombre!
- ¿Cómo?
- Porque no se dice que Fulano es avaro sino cuando tiene dinero: dame cuartos y llámame como te plazca.
- Pero tampoco se dice que Fulano es desprendido, sino cuando es acaudalado. De suerte que tal denominación reúne alabanza y fortuna, en tanto la mezquindad aúna riquezas desprecio; elegiste, pues, el más villano y bajo de los dos nombres. (Fanjul, 1984, p. 127).

إن قول الحزامي "ما أعدمني الله هذا الاسم" و"سلم إليّ المال وادعني بأيّ اسم

شئت" دليل على اعتزاز البخيل بصفة البخل، لأنّها تحفظ ماله وساق البخيل حججا

وبراهين يبرّر بها بخله ويدافع عنه. في حين تظهر القصدية التواصلية للجاحظ من

خلال سخريته من الحجج التي ساقها البخيل ليررّ مذهبه في البخل، وتتمثّل سخرية

الجاحظ من قول البخيل "ما أعدمني الله هذا الاسم" و"سلم إليّ المال وادعني بأيّ

اسم شئت"، حيث بين الجاحظ أن البخيل لا يكثر لصفة البخيل التي التصقت به لأنها السبيل الوحيد الذي يحفظ له ماله. وجاء الرد في شكل حوار جدلي لنفي حجج البخيل في قوله "ولا يقال أيضا فلان سخي، إلا وهو ذو مال، فقد جمع هذا الاسم الحمد والمال، واسم البخل يجمع المال والذم. فقد اخترت أخسهما وأوضعهما"، وبهذا الرد يسخر الجاحظ من مذهب البخيل، ولكنها سخرية لطيفة غايتها ذم البخل وإظهار فضل الكرم.

أما بخصوص الترجمة، فقد حافظ المترجم على أسلوب الجدل في مجمل النص، وحتى يصل المعنى إلى القارئ الهدف، قام المترجم بانتهاج استراتيجية الإيضاح عن طريق الإضافة في ترجمته للعبارة المتضمنة للقصدية التواصلية الساخرة المتمثلة في "سلم إلي المال، وادعني بأي اسم شئت"، حيث نقلها المترجم في النص الهدف بـ " Dame *cuartos y llámame como te plazca*" وهي ترجمة حرفية، لكنه لم يقف عندها بل أضاف تهميشا يوضح فيه القصدية المراد توصيلها من طرف البخيل، من خلال إضافة قول مأثور إسباني متمثل في " Dame pan y llámame can" ، ومعنى هذا القول أن قائله لا يهتم لسمعته إن تعلق الأمر بفائدة يصيبها، وهو نفس المعنى المراد في النص الأصلي.

كما لجأ المترجم إلى استراتيجية التضمين في " quienes le envidiaban se frotan las manos" وهي ترجمة لعبارة "شمت به من كان يحسده" حيث أن المعنى في هذه

العبارة في النصّ الأصل كان ظاهراً، إلا أنّ المترجم عمد إلى تضمينه من خلال ترجمته، لأنّ عبارة "se frotran las manos" تحمل معنى ضمناً يتمثّل في فرح هؤلاء الحاسدين ببليّة الكريم.

2.7.4.3. قصة تمام بن جعفر:

يقول الجاحظ في قصة تمام بن جعفر:

كان تمام بن جعفر بخيلاً على الطعام، مقرّط البخل؛ وكان يقبل على كل من أكل خبزه بكل علة، ويطالبه بكل طائلة؛ وحتى ربما استخرج عليه أنه كان حلال الدم. وكان إن قال له نديم: "ما في الأرض أحد أمشي مني، ولا على ظهرها أحد أقوى على الخُصرمني" قال: "وما يمنعك من ذلك و أنت تأكل أكل عشرة؟ وهل يحمل الرجل إلا البطن؟ لا حمد الله من يحمدك". فإن قال: "لا والله إن أقدر أن أمشي لأنني أضعف الخلق عنه. وإنّي لأنبهر من مشي ثلاثين خطوة". قال: "وكيف تمشي، وقد جعلت في بطنك ما يحمله عشرون حملاً؟ وهل ينطلق الناس إلا مع خفة الأكل؟ وأي بطين يقدر على الحركة؟ وإن الكظيظ ليعجز عن الركوع والسجود، فكيف بالمشي الكثير؟" فإن شكّا ضرسه، وقال: "ما نمت البارحة مع وجعه وضربانه" قال: "عجبت كيف اشتكيت واحداً، وكيف لم تشتك الجميع؟ وكيف بقيت إلى اليوم في فيك حاكة؟ وأي ضرس يقوى على الضرس والطحن؟ والله إن الأرحاء السورية لتكلّ، وإن المنحاز الغليظ ليتبعه الدقّ. ولقد استبطأت لك هذه العلة. أرفق فإن الرفق يمن، ولا تخرق بنفسك فإن الخرق شؤم". وإن قال: لا والله إن اشتكيت ضرساً لي قط، ولا تحللتني سنّ عن موضعها، منذ عرفت نفسي". قال: "يا مجنون لأنكثرة المضغ تشد العمور، وتقوي الأسنان، وتدبغ اللثة، وتدعو أصولها. وإعفاء الأضراس من المضغ يريحها. وإنما الفم جزء من الإنسان. وكما الإنسان نفسه إذا تحرك وعمل قوى، وإذا طال سكونه تفتخ واسترخى، فكذلك الأضراس. ولكن رفقاً! فإن الإلتعاب ينقص القوة. ولكل شيء مقدار ونهاية. فهذا ضرسك لا تشكّيه، بطنك أيضاً لا تشكّيه؟ (الجاحظ، 2009، ص116)

Tammām .b.ÿaʿfar era extremadamente avaro con las comidas, hasta el punto de sacar toda clase de faltas a quienes comían su

pan tratándolos con la mayor enemistad. Incluso llegaba a deducir que era lícito matarlos.

Si un comensal cualquiera le decía: " No hay en el mundo nadie que ande más que yo, ni en la faz de la tierra otro mejor en la carrera", respondía: "¿Y qué te lo va a impedir si comes por diez? ¿Acaso no son las tripas las que llevan a los pies? ¡Que Dios no permite a quien te alabe!" Pero si le decía: " Por dios que no puede apenas caminar por mi floja naturaleza; si ando treinta pasos, pierdo el resuello", entonces la respuesta era: "¿Y cómo vas a caminar si lo que te cargaste en la panza lo podrían llevar veinte faquines? ¿Quién tiene soltura si no es comiendo poco? ¿Qué glotón se puede siquiera menear? El ahíto es incapaz de arrodillarse o de prosternarse, así que ¿cómo va a poder andar mucho?"

Pero si el mismo se quejaba de una muela diciendo: " Anoche no pude dormir con el dolor y los pinchazos que me produce", le contestaba: " Es asombroso: sólo te quejas de una, en vez de lamentarte por todas. ¿Y cómo queda todavía en tu boca algún diente? Pues ¿Qué muela tiene fuerza de para trillar y moler a un tiempo? Vive Dios que con tal molienda las aceñas sirias pronto se cansarían y cualquier pilón por grueso que fuera había de fatigarse. Hasta me parece que tal dolencia llega con retraso; cuídate porque la moderación es una suerte y no abuses de ti mismo, pues tal cosa es una uninfortunio"

Mas si le decía: "Por Dios, jamás me quejé de una muela, ni ningún diente se movió de su sitio, desde que tengo uso de razón", le replicaba: "Necio, porque el mucho masticar fortifica los dientes, refuerza las encías, curte los alveolos y fortifica las raíces, sin embargo, eximir a las muelas de masticar las debilita. La boca es una parte del ser humano y así como el hombre que se mueve y trabaja se fortalece - y por contra el que largamente reposa floja y pierde vigor-, igual sucede con las muelas. Pero despacito, el uso excesivo rebaja la fuerza y todo tiene su medida y su fin. Si no te quejas de las muelas, ¿No te dolerá el vientre?(Fanjul, 1984, p174).

جاءت السخرية في هذه القصة عن طريق الحوار الجدلي، حيث أن تمام ابن جعفر

كان كلما ذكر نديمه شيئاً من مزاياه، وجد تمام يُبَكِّئُهُ بطريقة تهكمية ساخرة، ودليل

ذلك قوله، على سبيل المثال، "وكيف تمشي، وقد جعلت في بطنك ما يحمله عشرون

حمّالاً؟ وهل ينطلق الناس إلا مع خفة الأكل؟ وأي بطين يقدر على الحركة؟ وإن الكظيم ليعجز عن الركوع والسجود، فكيف بالمشي الكثير". حيث بنى الجاحظ هذه القصة على منطق التضارب، لأنّ أبا تمام كان يجد دائماً حجة يجادل بها نديمه وتكون النتيجة توافق فكرته المتمثلة في أنّه كثير الأكل.

وقد نتج استلزام حوارى في هذه القصة بسبب خرق مسلمة الكمية والتي تنص على

تجنّب المتكلم إيراد معلومات أكثر من المطلوب، وهو عكس ما قام به تمام بن جعفر

حيث أكثر من الإطناب في التعليل وإيراد الحجج.

أمّا قصيدة الجاحظ التواصلية من خلال هذه القصة فهي السخرية من دفاع تمام بن

جعفر عن مذهبه في البخل بطريقة غير مباشرة من خلال النزعة الجدلية وسوق حجج

باطلة ليبيّن أنّه على حق ونديمه على باطل.

أمّا بالنسبة للترجمة فقد جاءت حرفية، لكن هذا لم يمنع من نقل أسلوب الحوار الجدلي

لأنّه جاء في صيغة لفظية، وبهذا يظهر في النص الاستلزام الحوارى القائم على خرق

مسلمة الكيفية.

كما حافظ المترجم على القوّة الإنجازية التي حملتها أفعال الكلام التي جاءت في

صيغة استفهام غير طلبى في "cómo vas a caminar"، "qué gloton se puede"

"si quiera manear؟"، "qué muela tiene fuerza para trillar"، وبالتالي

استطاع المترجم نقل قصيدة الجاحظ التواصلية المتمثلة في السخرية من منطق تمام

بن جعفر، وقد اعتمد في ذلك على السياق، لأنّ الجاحظ أشار في بداية القصة إلى أنّ تمام بن جعفر رجل شديد البخل.

تتمثل القصديّة القصديّة التواصليّة، من خلال ما بيّنته الأمثلة، في سخريّة الجاحظ من دفاع البخلاء على مذهبهم في البخل. وجاءت هذه السخريّة في شكل حوار جدلي أي الردّ على الحجج بحجج أخرى وذلك من أجل نفي حجج وبراهين هؤلاء البخلاء. كما نتج عن كثرة إيراد الحجج والبراهين من طرف البخلاء، استلزام حوارية نتيجة لخرق مسلّمة الكيفيّة التي تنص على تجنّب الاطناب والتعليل. أما بالنسبة لترجمة فلاحظنا أنّ المترجم اعتمد في نقله لمعاني النّص الأصلي والمقاصد التواصليّة التي جاءت فيه، تارة، على استراتيجيات الترجمة التداوليّة المتمثلة في الإيضاح عن طريق الإضافة والتضمين وتارة أخرى على الترجمة الحرفيّة.

8.4.3. نموذج عن السخريّة بأسلوب التهكم:

هو صورة من صور السخريّة، ويسوق فيه المتكلّم أقوالاً لا يؤمن بها وهي عنده باطلة، لكن يتظاهر بصدقها والاعتقاد بها على سبيل التهكم. كما أنّ التهكم ظاهره جدّ وباطنه هزل. ويهتدي الساخر إلى هذا الأسلوب رغبة فيه من توجيه النقد لمستمعه بشكل غير مباشر خوفاً من التجريح (أنظر العنوان رقم 3.7.1). استعمل الجاحظ أسلوب التهكم في معرض التصوير النفسي والحسي والكاريكاتوري في كتاب البخلاء من خلال الأمثلة الآتية:

1.8.4.3. قصة اسماعيل بن عزوان:

قال الجاحظ:

حدّثني المكي قال: بت عند اسماعيل بن عزوان وإنما بيّتني عنده حين علم أنني تعشّيت عند موسى، وحملت معي قربة نبيذ، فلما مضى من الليل أكثره، وركبني النوم، جعلت فراشي البساط ومرفقتي يدي. وليس في البيت إلا مصلى له، ومرفقة ومخدة. فأخذ المخدة فرمى بها إليّ، فأبيتها ورددتها عليه، وأبى وأبيت. فقال: "سبحان الله! يكون أن تتوسّد مرفقك، وعندني فضل مخدة؟" فأخذتها فوضعتها تحت خدي. قلت: "إني لم أكن أكلمك حتى وليت بها، فمنعني من النوم إنكاري للموضع، ويبس فراشي. وظنّ أنني قد نمت، فجاء قليلا قليلا، حتى سلّ المخدة من تحت رأسي. فلما رأيته قد مضى بها، ضحكت وقلت قد كنت عن هذا غنيا!" قال: "إنما جنّت لأسوي رأسك"، قلت: "إني لم أكن أكلمك حتى وليت بها". قال: "كنت لهذا جنّت، فلما صارت المخدة في يدي نسيت ما جنّت به. والنبيذ، ما علمت، والله يذهب بالحفظ أجمع". (الجاحظ، 2009، ص130)

Al-Makkī me contó lo siguiente:

Pernocté en casa de Ismā'īl b. Gazwān -quien me ofreció pasar la noche en su casa porque sabía que ya cenara en la de Muways, además de llevar conmigo un odre de vino - y cuando ya iba transcurrida la mayor parte de la noche el sueño se apoderó de mí: mi lecho era la alfombra y la almohada mis manos. En el aposento no había más que una alfombrilla de rezo, un cojín y un almohadón. El anfitrión tomó este último y me lo echó. Yo lo rechacé y se lo devolví. El hizo otro tanto y yo insistí en rechazarlo, entonces se explicó: "¡Loado sea dios, te apoyas en el codo teniendo yo almohadones de más!" Así que lo agarré y coloqué bajo mi mejilla, pero no me dejaban dormir tanto el disgusto que me producía el lugar como lo duro de la yacija. El, por su parte, pensó que yo dormía ya me vino pasito apasito extraérmelo suavemente de debajo de cabeza. Al ver que se lo llevaba solté la risa y comenté: "¡Sin esto no tenías bastante!"; y respondió: " Vine a equilibrarte la cabeza". Y yo: " Pero ya te habías apoderado del almohadón antes de que te hablase". y concluyó " A eso vine, pero al tenerlo en la mano olvidé para qué le había acercado porque el vino -como es sabido- por el Cielo que hace perder toda memoria. (Fanjul, 1984, p.187)

تظهر السخرية عن طريق التهكم في هذه القصة في قول المكي "فضحكت، وقلت "قد كنت عن هذا غنياً". حيث أنّ ابن عزوان عند ضنّه بأنّ المكي قد نام، أراد أن يأخذ المخدّة خلسة والمضحك في الأمر أنّ ابن عزوان أراد أن يغطّي فعلته ويوجّه الكلام وجهة أخرى في قوله "وإنّما جئت لكي أسوي رأسك"، وهي حجة باطلة أراد البخيل أن يعلّل من خلالها سلوكه الغريب الناجم عن نفسيته البخيلة. وفي العبارة "كنت عن هذا غنياً" قصدية تواصلية تتمثّل في أنّ المكي يقصد بقوله هذا أنّه على علم بأنّ ابن عزوان لم يعطي له المخدّة كرماً بل تظاهراً فقط ودليل ذلك ردّه السريع على حجة ابن عزوان في قوله "إنّي لم أكلّمك حتى وليت بها". وفي ضحكه تهكّم أراد أن ينتقد به فعل صاحبه البخيل.

ولقد كان المكي عارفاً بنفسية ابن عزوان البخيلة، حيث وجّه القارئ منذ بداية القصة إلى اكتشاف بخل صاحبه بطريقة ساخرة متهكّمة في قوله "إنّما بيّنتني عنده حين علم أنّني تعشيت عند موسى". وظهرت السخرية في هذه العبارة، من خلال خرق مسلمة الكيفية، حيث افترض المكي أمراً لا يمكن إثباته لأنّ ابن عزوان لم يصرّح بذلك علناً. وإنّما افتراض المكي كان نتيجة لمعرفة بنفسية صاحبه وطباعه. ويقصد المكي بقوله هذا أنّ ابن عزوان لم يكن لبيّته عنده لو لم يعلم بأنّه تعشى عند موسى، وذلك مخافة من أن يقدّم له الطعام.

وتظهر سخرية الجاحظ أيضا في سرده لما قاله ابن عزوان ردًا على المكي في "سبحان الله! يكون أن تتوسد مرفقك، وعندي أفضل مخدّة"، حيث نشأت هذه السخرية من خلال خرق مسلّمة الكيفية، حيث تتمثّل قصيدة ابن عزوان في أنّه في الحقيقة لا يريد أن يعطي المكي المخدّة، لكنّ إصراره هو طريقة يضمّر فيها بخله ويظهر كرمه. كما يسخر الجاحظ من حجة البخيل في قوله " فلما صارت المخدّة في يدي نسيت ما جئت له. والنبيد - ما علمت - والله يذهب بالحفظ أجمع" حيث أراد البخيل أن يجد لنفسه حجة جديدة ويطرد عنه صفة البخل لأنّ المكي حاصره.

أما بالنسبة للترجمة، عمد المترجم إلى نقل المعنى دون توضيح السخرية في " **quien me ofreció pasar la noche en su casa porque sabía que ya cenara en la de Muways**", حيث ترك للقارئ الهدف مهمّة التعرّف على السخرية وعلى القصيدة التواصلية كما جاءت في النصّ الأصلي من خلال السياق. والأمر سيان في " **Loado pero sea Dios, te apoyas en el codo teniendo yo almohadones de más!** ya te habías apoderado del almohadón antes de que tehablase" حيث يفهم القارئ الهدف، في الوهلة الأولى، أن ابن عزوان أراد فعلا أن يقدم المخدّة لضيفه، لكن مع انتهاء القصّة تصل قصيدة المضيف الحقيقية.

وبالتالي قام المترجم بنقل القصة محافظا على نفس الصيغة الضمنية التي جاءت بها السخرية، وبهذا نقل نفس المقاصد التواصلية التي تضمنتها العبارات الساخرة.

بين النموذج أنّ السخرية عن طريق التهكم ظهرت نتيجة لخرق مسلّمة الكيفية. إضافة إلى وجود افتراض مسبق يوجّه القارئ للتعرف على القصدية التواصلية للخطاب. أمّا بالنسبة للترجمة، انتهج المترجم الترجمة الحرفية ولم يلجأ لاتراتيجيات الترجمة للتداولية، وترك بذلك للقارئ مهمة اكتشاف القصدية التواصلية.

9.4.3. نموذجان عن السخرية بأسلوب الاستفهام:

الاستفهام نوع من أنواع الإنشاء الطلبي، والأصل فيه طلب الإفهام والإعلام لتحصيل فائدة علمية مجهولة لدى المستفهم، وقد يراد بالاستفهام غير هذا المعنى الأصلي له، ويُستدلّ على المعنى المراد بالقرائن القولية أو الحالية. ويأتي الاستفهام من خلال ألفاظ وأدوات مقترنه به، موضوعة له لتدلّ عليه: الهزمة، وهل، وما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنى، ومتى، وأيان ومهما وكأين وكذلك. (أنظر العنوان رقم 12.7.2)، ووظّفه الجاحظ للتلميح إلى سخريته مثلما ستبينه الأمثلة التالية:

1.9.4.3. قصة أحمد بن خلف:

قال الجاحظ بعد أن أشار إلى أن أحمد بن خلف البيهقي ورث ما لا كثيراً:

فقلت له - وقد ورث هذا المال كلّه- ما بطاً بك الليلة؟ قال لا والله إلاّ أنّي تعشيت البارحة في البيت. فقلت لأصحابنا: لولا أنّه بعيد العهد بالأكل في بيته، وأن ذلك غريب منه، لما احتاج إلى هذا الاستثناء، وإلى هذه الشريطة. وأين يتعشى الناس إلا في منازلهم؟ وإتّما يقول الرجل عند مثل هذه المسألة: لا والله أن فلانا حبسني، ولا والله إلا أن فلانا عزم عليّ. فأما ما يستثنى ويشترط، فهذا ما لا يكون إلاّ على ما ذكرناه قبل. (الجاحظ، 2009، ص41)

- ¿No se te hizo pesada la noche?
- No, por Dios, de no ser que ayer cené en casa.

Así hube de explicar a gentes conocidas: "Si no fuera porque no tenía el hábito de cenar en casa ese comentario estaría fuera de lugar y no habríarecurrido a semejante salvedad condicional, pues ¿dónde cena la gente sino en su casa?". Ante tal pregunta lo normal es contestar: " No, por Dios, de no ser que Fulano me retuvo o me invitó a cenar". Pero poner condiciones del jaez de su aclaración confirma lo que venimos diciendo. (Fanjul, 1984, p.109)

يظهر جليًا في هذا النموذج خرق مسلمة الملاءمة في جواب ابن خلف عن سؤال الجاحظ، وبهذا نتج استلزام حوارى لأن جوابه المتمثل في "والله ألا أني تعشيت البارحة في البيت"، لا يتلاءم مع طلب الجاحظ المتمثل في معرفة سبب تأخر ابن خلف الليلة، وهو أمر جعل الجاحظ يسخر منه قائلاً: "وأين يتعشى الناس إلا في منازلهم؟". وهو استفهام غير طلبى، جاء في شكل استراتيجية توجيهية اعتمدها الجاحظ لبيّن أنّه على علم بأنّ ابن خلف لم يتعشى في داره، وإنّما يريد أن يتملّص من الإجابة، ودليل ذلك قوله "لولا أنّه بعيد العهد بالأكل في بيته، وأن ذلك غريب منه، لما احتاج إلى هذا الاستثناء، وإلى هذه الشريطة". وبهذا يكون الاستفهام هنا أسلوباً غير مباشر يحتوي على قصدية تواصلية تتمثل في سخرية انتقادية من موقف ابن خلفيراد بها الاصلاح ويؤكد ذلك السياق العام للقصة، إضافة إلى قول الجاحظ في آخرها:

ولا تقولوا الآن: قد والله أساء أبو عثمان إلى صديقه، بل ما تناوله بالسوء حتى بدأ بنفسه. ومن كانت هذه صفته وهذا مذهبه، فغير مأمون على جليسه. وأي الرجال المهذب. هذا والله الشنوع والتبوع والبذاءة وقلة الوفاء. اعلموا أني لم ألتمس بهذه الأحاديث عنه إلا موافقته وطلب رضاه ومحبتته. ولقد خفت أن أكون عند كثير من

الناس دسيسا من قبلهوكمينا من كمائنه. وذلك أن أحبّ الأصحاب اليه، أبلغهم قولاً في إياس الناس مما قبله، وأجودهم حسماً لأسباب الطمع في ماله. على أيّ أحسنت بجهدي، فسيجعل شكري موقوفاً؛ فإن جاوز كتابي هذا حدود العراق شكر، وإلا أمسك. لأن شهرته بالقبيح عند نفسه في هذا الإقليم، وقد أغناه عن التتويه والتتبيه على مذهبه. وكيف، وهو يرى أن سهل بن هارون وإسماعيل بن غزوان، كانا من المسرفين؟ وأن الثوري والكنديّ يستوجبان الحجر؟ وبلغني أنه قال: لو لم تعرفوا من كرامة الملائكة على الله إلا أنه لم يبتلهم بالنفقة، ولا يقول العيال: «هات هات لعرفتم حالهم ومنزلتهم». (الجاحظ، 2009، ص43)

أمّا بخصوص الترجمة، فلم يستخدم المترجم أي تقنية من تقنيات الترجمة التداولية في هذه الترجمة، وإنّما اكتفى بالترجمة الحرفية في ذلك، وعمد إلى ترجمة اللفظ لا المعنى والإبقاء على المعاني ضمنية كما جاءت في النصّ الأصلي، ونتيجة لذلك يظهر الاستلزام الحواري من خلال خرق مسلمة الملاءمة تلقائياً. ودليل ذلك ترجمته لـ"لا والله إلاّ أني تعشيت البارحة في البيت" بـ "No, por Dios, de no ser que ayer cené en casa." و"أين يتعشى الناس إلاّ في منازلهم" بـ "¿dónde cena la gente sino en su casa?". و"لولا أنّه بعيد العهد بالأكل في بيته، وأن ذلك غريب منه، لما احتاج إلى هذا الاستثناء، وإلى هذه الشريطة" بـ "Si no fuera porque no tenía el hábito de cenar en casa ese comentario estaría fuera de lugar y no habría recurrido a semejante salvedad condicional". وهي ترجمة قد تجعل القارئ يتوصّل إلى أن قصدية الجاحظ التواصلية تتمثل في الاستهزاء والتهمك السلبي من صاحبه، إلاّ أنّ الأمر ليس كذلك. كما أنّها ترجمة تتطلّب جهد التحليل من طرف القارئ الهدف لئيتنبّه إلى قصدية الجاحظ التواصلية المتمثلة في السخرية الانتقادية

الهادفة إلى إصلاح النفس، وذلك نظرا لغياب المعرفة المشتركة بين كاتب النص الأصلي والقارئ الهدف. لذلك كان حريّا على المترجم أن ينتهج تقنية الإيضاح التداولي مضيفا الفعل ليساعد القارئ الهدف على الوصول إلى القصدية التواصلية المتضمنة في أسلوب الاستفهام.

2.9.4.3. قصة المقلّي والطّاهج:

قال الجاحظ:

حدّثني أبو إسحاق بن سيّار النّظام قال: قلت مرّة لجار لي، من أهل خراسان: أعرنني مقلاكم فإنّي أحتاج إليه. قال: قد كان لنا مقلّي ولكنّه سُرق. فاستعرت من جار لي آخر. فلم يلبث الخراساني أن سمع نشيش اللّحم في المقلّي، وشمّ الطّاهج، فقال لي، كالمُغضب: ما في الأرض أعجب منك، لو كنت خبرتني أنّك تريده للحم أو لشحم لوجدتني أسرع إليك به، إنّما خشيتك تريده للباقلّي، وحديد المقلّي يحترق إذا كان الذي يقلى فيه ليس بدسم. وكيف لا أعيرك إذا أردت الطّاهج، والمقلّي بعد الرّد من الطّاهج أحسن حالا منه وهو في البيت. (الجاحظ، 2009، ص23)

Abu Ishaq Ibrahim B. Sayyar an-Nazzam me refirió algo de este aire: En cierta ocasión pedí a un vecino mío, que era del Jurasán: "Préstame vuestra sartén porque la necesito". A esto me dijo: "Teníamos una, pero nos la robaron". Así hubo de emprestarla de otro vecino. El jurasáni apenas oyó el chisporroteo de *tabāhay*⁴³, corrió a reprocharme, como si estuviera indignado: " En el mundo no hay otro tan raro como tú; si hubieras que era para carne o manteca, me habrías visto correr a dejártela, pero temí que la quisieras para habas y sucede que el hierro de la sartén se tuesta si se fríe en ellas algo sin grasa, pero ¿cómo no te la voy a prestar para *tabāhay* si regresa más grasienta que se quedara en casa? (Fanjul, 1984, p.94-95)

43- "condumio preparado a base de huevos, cebolla u carne "

ظهرت السخرية في هذه القصة عن طريق الاستفهام في قوله "وكيف لا أعيرك إذا أردت الطباهج؟" وهو استفهام جاء في صورة إنشاء طلبي ظاهره نفي وباطنه سخرية، وجاءت السخرية نتيجة لاختراق مسلّمة الكيفية، حيث أن تصريح الخراساني بأنّه لو علم بأنّ جاره يريد المقلّى للطباهج لأعاره إيّاه، لا يمكن إثباته وخاطئ، وصرّح به فقط لكي لا تكون لجاره حجّة عليه. أما القصدية التواصلية فجاءت في السخرية من تصرّف الخراساني الناتج عن نفسية بخيلة غير سوّية وحججه الباطلة، ففي البداية ادّعى بأنّ مقلّاه سرق، وما إن شم رائحة الطباهج غير موقفه، وبرّر رفضه إعاره مقلّاه لجاره بحجّة أنّه لم يعلم بأنّ ما سيطلبخ في المقلّى هو الطباهج، وهو موقف رسخ فيه صفة البخل وجعله فاقدا للحس الأخلاقي.

ظهرت في ترجمة القصدية التواصلية استراتيجية التكافؤ التداولي، حيث قام المترجم بترجمة العبارة التي جاءت فيها السخرية في النّص الأصلي وهي "وكيف لا أعيرك إذا أردت الطباهج [...]؟" بـ "**cómo no te la voy a prestar para *tabāhay*؟**"، حيث أنّ "**cómo no**" تستخدم في اللّغة الإسبانية بطابع استفهامي تعجبي من أجل للتأكيد، وهي عبارة تكافئ بامتياز ما جاء في النّص الأصلي، ظهرت من خلالها السخرية نتيجة لاختراق مسلّة الكيفية أيضا. وبهذا يكون المترجم قد نقل القصدية التداولية من سخرية الجاحظ في سياقها الذي جاءت فيه محافظا على صفة الضمنية.

جاء الاستفهام في هذا النموذج تارة في شكل إنشاء طلبي وتارة أخرى غير طلبي، وظهرت السخرية من خلاله عن طريق خرق مُسَلَّمتي الملاءمة والكيفية. أما بالنسبة للترجمة، فانتهج المترجم الترجمة الحرفية وترك للقارئ جهد التحليل للوصول إلى القصدية التواصلية رغم غياب المعرفة المشتركة بين كاتب النص الأصلي والقارئ الهدف. كما لجأ إلى استراتيجية التكافؤ التداولية كونها كانت الحل الأنسب للترجمة.

10.4.3. نماذج عن السخرية بأسلوب المغالطة:

هي نزعة سفسطائية تقوم على المراوغة والتضليل والخداع والحيل وتبني على الاستدلال الخاطئ لكن صاحبها يسوقها في مظهر الصحة ويستند فيها إلى الكذب ليقنع مستمعه وذلك من خلال التعليل بالحجج الخاطئة (أنظر العنوان رقم 11.7.2). واستخدمها الجاحظ لفضح مغالطات البخلاء مثلما بيّنه النموذج الآتي:

1.10.4.3. قصة زبيدة بن حميد:

يقول الجاحظ:

سكر زبيدة ليلة فكسا صديقا له قميصا. فلما صار القميص على النديم خاف البدوات وعلم أنّ ذلك من هفوات السكر، فمضى من ساعته إلى منزله فجعله بُرنكانا لامرأته. فلما أصبح سأل عن القميص وتقّده، فقيل له: إنّك قد كسوته فلانا. فبعث إليه، ثمّ أقبل عليه، فقال: أما علمت أنّ هبة السكران وشراءه وبيعه وصدقته وطلاقه لا يجوز؟ وبعد، فإنّي أكره ألا يكون لي حمدٌ، وأنّ يوجّه الناس هذا منّي على السكر، فرّدّه عليّ حتّى أهبّه لك صاحيا عن طيب نفس، فإنّي أكره أن يذهب شيء من مالي باطلاً. فلما رآه صمّم أقبل عليه فقال: يا هناه. إنّ الناس يمزحون ويلعبون ولا يؤاخذون بشيء من ذلك، فرّد القميص عافاك الله. قال له الرجل: إنّني والله قد خفت هذا بعينه، فلم أضع جنبي إلى الأرض حتّى جيّيته لامرأتي وقد زدت في الكمين وحذفت المقاديم.

فإن أردت بعد هذا كله أن تأخذه فخذ. فقال: نعم آخذه، لأنه يصلح لامراتي كما يصلح لامراتك. قال: إنه عند الصباغ. قال: هاته! قال: ليس أنا أسلمته إليه. فلما علم أنه قد وقع قال: بأبي وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: جمع الشر كله في بيت، وأغلق عليه فكان مفتاحه السكر! (الجاحظ، 2009، ص36)

Una noche en que Zubayda estaba borracho vistió un camisón a un amigo que no bien lo tenía puesto - temiendo se tratara de un antojo y a sabiendas que aquello era efecto de los vapores del alcohol-, marchó al punto para su casa y los convirtió en una *barnakān*⁴⁴ para su mujer. Cuando amaneció, Zubayda preguntó por la prenda y se puso a buscarla; le refirieron cómo se le había chantado a Fulano y mandó por él. Ya frente a frente, le reprochó: "¿No sabes que no es lícito aceptar del borracho el regalo, la compra, la venta, la limosna o el repudio? Además, detesto la mala fama que me vendrá por habértelo regalado a efectos de la borrachera; devuélvanmele para poder obsequiártelo de buen grado estando bien despierto: aborrezco perder alguna de mis pertenencias en balde". Pero como viera al otro dispuesto a resistir, exclamó: "¡Ah, malhaya! La gente bromea y se divierte pero no se les reprocha nada por ello; vuélveme el camisón, por la Guarda divina". Y el otro: "Temía exactamente esto y antes de acostarme le abrí el escote, le estiré las mangas y le corté la delantera para [que sirviese] a mi mujer. Si después de todo eso aún lo quieres, tómalo". A lo cual se agarró Zubayda: "Claro que lo cojo, si vale para tu mujer, valdrá para la mía". Y la nueva respuesta: "Está en el tintorero". "Pues tráelo, no obstante" replicó Zubayda, con la consiguiente defensa del amigo: "Pero no se lo llevé yo". Aquí Zubayda comprendió que estaba atrapado sin remedio y terminó diciendo: "¡Por mis padres! El Enviado de Dios - El lo bendiga y salve - cuán acertado estuve en su frase: "Se juntó todo el mal en una casa, se cerró a cal y canto, pero el alcohol fue la llave". (Fanjul, 1984, p106)

تدور أحداث القصة حول زبيدة بن حميد الذي، أهدى من شدة سكره قميصا لصاحبه،

ولما علم صاحبه أن الهدية كانت نتيجة لسكر زبيدة، سارع إلى جعل القميص لباسا

لزوجته. ولما ذهب سكر زبيدة علم أنه كسا صاحبه ذلك القميص فسارع إليه ليرده،

44 - Ropaje grande que envuelve todo el cuerpo.

معاتبا إياه بحجة أنه عالم بأن هديّة السكران لا تُقبل ولا تجوز. وتتمثّل حجّته لاسترداد القميص في أنّه سيهديه إياه وهو صاح لأنّه يكره ألا يكون له حمد من ذلك وأنّه لا يحب أن يذهب شيء من ماله باطلا. لكنّ النديم صمّم ألا يرُدّ له القميص. نادى عليه زبيدة مستنكرا ليردّ القميص محتجًا بأنّه لا يُؤاخذ على فعله ذاك لأنّه كان يمزح بسبب سكره. لكنّ النديم صمّم ألا يرد له القميص بحجة أنّه صمّمه برنكنا لامرأته وأنّه عند الصبّاغ، فعلم زبيدة أن النديم مصمّم على الاحتفاظ بالقميص وندم على ما فعله بسبب السكر.

إنّ السخرية في هذه القصة هي سخرية موقفية لأنّ الجاحظ يلعب دور المراقب فيها أما الضحية فهو البخيل. ولقد ضمّنها الجاحظ في نصّه من خلال حجج البخيل، في قوله "أما علمت أنّ هبة السكران وشراءه وبيعه وصدقته وطلاقه لا يجوز ... إنّ الناس يمزحون ويلعبون ولا يؤاخذون بشيء من ذلك، فرُدّ القميص عافاك الله"، وهي حجج مغالطة لأنّه في الحقيقة لا ينوي إطلاقا أن يهب النديم القميص وهو صاح. ودليل ذلك أنّ زبيدة أصرّ على أخذ القميص رغم تحوّلها إلى لباس نسائي، في قوله "نعم آخذه، لأنّه يصلح لامرأتي كما يصلح لامرأتك".

ولم يكتف البخيل بإيراد حجج مغالطة لاسترداد قميصه، بل انتهى به الأمر إلى الاستشهاد بحديث نبوي وجعل تأويله تأويلا مُغالطيا لخدمة سياقه، في قوله "بأبي وأمي أنت يا رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- حيث يقول: "جُمع الشر كلّه في

بيت، وأُغلق عليه فكان مفتاحه السكر!"، حيث أخرج الحديث من سياقه الديني والذي يكمن في ضرورة الابتعاد عن السكر لأنه هو مفتاح كل الشرور، ليوظفه توظيفاً مغالطياً ويبين أنّ إهداء القميص شرّاً سببه السكر، رغم أن المنطق الديني للهدية سليم ويدخل مُدخل القيم الاجتماعية.

وبهذا تكون القصدية التواصلية للجاحظ، هي السخرية من كون البخيل لا يكثرث للقيم الأخلاقية والدينية، وقد يسوق حججاً مغالطة مهما كان منطقتها سواء دينياً أو أخلاقياً، فقط ليبرّر موقفه ويصل إلى هدفه.

أما بخصوص الترجمة، فنجد أنّ المترجم اعتمد، في معظم الأوقات، فينقل الحجج المغالطة التي ساقها البخيل على الترجمة الحرفية في: " **No sabes que no es lícito** " **aceptar del borracho el regalo ... vuélveme el camisón, por la Guarda divina**، إلّا أنّنا لاحظنا أنّ المترجم استخدم استراتيجية الإيضاح عن طريق الإضافة في ترجمة "فقال: نعم آخذه..." بـ " **claro que lo** " **a lo cual se agarró Zubayda: "claro que lo** " **cojo..."** حيث أضاف المترجم الفعل "agarró" الذي ظهر ضمناً في النص الأصلي، وبهذا يكون المترجم قد بيّن أنّ زبيدة مصمّم على استرداد القميص، ولا ينوي وهبه للنديم مرّة أخرى كما زعم.

ويظهر من سياق الترجمة أنّ المترجم لم يستطع أن يظهر القصدية التواصلية للجاحظ المتمثلة في السخرية من موقف البخيل المغالط، وذلك لأنّ ترجمة الحديث بـ " **¡Por mis padres! El Enviado de Dios - El lo bendiga y salve - cuán acertado**

estuve en su frase: " Se juntó todo el mal en una casa, se cerró a cal y canto, pero el alcohol fue la llave"، هي ترجمة حرفية لم يستطع المترجم، من خلالها، أن يبيّن القصدية التواصلية من السخرية لأنها جاءت ضمنية. وبهذا لم ينقل المترجم التأثير نفسه الذي أحدثه سياق إيراد الحديث في النص الأصلي.

وقد كان حرّياً على المترجم أن يوظّف استراتيجية الإيضاح التداولي، والتي نرى أنّها الأمثل لبيان سبب اعتماد زبيدة على الحديث النبوي بما يخدم سياق موقفه المغالط.

وذلك حتّى يتمكّن القارئ الهدف من الوصول إلى قصدية الجاحظ الحقيقية. إضافة إلى تمكّنه من اكتشاف الطابع الفكاهي لهذه القصة.

2.10.4.3. قصة الخراساني:

يقول الجاحظ:

قال أبو نواس: كان معنا في السفينة، ونحن نريد بغداد، رجل من أهل خراسان، وكان من عقلائهم وفقهائهم، فكان يأكل وحده. فقلت له: لم تأكل وحدك؟ قال: ليس عليّ في هذا الموضوع مسألة إنما المسألة على من أكل مع الجماعة، لأن ذلك هو التكلّف. وأكلي وحدي هو الأصل وأكلي مع غيري زيادة في الأصل(الجاحظ، 2009، ص24).

Cuenta Abū Nuwās que en una ocasión en que se dirigía por el río [Tigris]a Bagdad viajaba en el mismo barco un jurasani, alfaquí cultivado, el cual comía sin compañía alguna; así pues, le interrogó: "¿Por qué comes solo?" con la respuesta siguiente: No es a mí quien debes preguntar, sino a los que comen en grupo, porque comer solo es lo natural, en tanto esa es una actitud afectada y si tal hiciera estaría incurriendo en un rebuscamiento.(Fanjul, 1984, p.95)

يدور سياق القصة حول رجل خراساني بخيل لا يشارك طعامه أحدا ومذهبه في ذلك أنّ طعام الفرد زيادة في الأصل وأنه على صواب والبقية على خطأ.

وجاءت السخرية في هذه القصة عن طريق المغالطة نظرا لسوق البخيل حججا مغالطة لتبرير أكله وحده، وتتمثل حججه في أنّ الأصل أن يتوجّه أبو نواس بالسؤال لمن يأكل مع الجماعة وليس له. لأنّ أكل الخراساني وحده هو الأصل والأكل مع الجماعة زيادة في الأصل. وتبيّن من القصة أن حجج البخيل هي حجج مغالطة لأنّ البخيل، في الحقيقة، ينتمي لمنظومة اجتماعية تُؤثر الأكل مع الجماعة، أما إيراده لتلك الحجج الباطلة ما هو إلا وسيلة يتجنّب بها مشاركة طعامه، لأنّه افترض مسبقا بأنّه لو أجاب على سؤال أبي نواس المتمثّل في "لما تأكل وحدك" لاضطرّ مشاركته طعامه، وهو أمر يتنافى ونفسيته البخيلة.

وتتمثّل القصدية التواصلية للجاحظ في سخريته من بخل الرجل الخراساني الذي دفعه إلى إيجاد حجج مغالطة لينجو من تضييع وإسراف أكله، لأنّ البخيل يرى بأنّ الأكل هو تلبية لغريزة فردية فقط.

وبهذا تكون السخرية في هذه القصة سخرية ضمنية لأنّها في الأصل موقفية، ظهرت من خلال السياق الذي بيّن من خلاله الجاحظ التناقض الموجود بين منظومتين، الأولى وهي خاصة بالخراساني يرى بأنّ أكل الفرد هو الأصل، أما الثانية هي التي ينتمي إليها أبو نواس والتي تؤمن بمنطق الجماعة.

أما بالنسبة للترجمة فقد اعتمد المترجم على الترجمة الحرفية، لكن هذا لم يمنع من نقل قصدية الجاحظ التواصلية المتمثلة في السخرية من إيراد البخيل حججا مغالطة لتبرير موقفه والدفاع عن منطقته، إلى اللغة الهدف. وذلك لأن الثقافتان العربية والإسبانية هما منظومتان تؤمنان بمنطق الأكل مع الجماعة، وبهذا يستطيع القارئ الهدف أن ينتبه إلى التناقض الموجود بين ما هو متعارف عليه في المجتمع وبين منطق البخيل الذي يؤمن بأن أكل الشخص لوحده هو الأصل.

إلا أن ما يُحتسب على اعتماد المترجم على الترجمة الحرفية هو أنه ترك للقارئ الهدف مهمة الوصول إلى قصدية الجاحظ عن طريق السياق المشترك بين الثقافتين، وبالتالي أوكل إليه جهد معالجة المعلومات للوصول إلى المعنى، وهو أمر سلبي من منظور نظرية الصلة أو المناسبة، لأنه كلما زاد الجهد المبذول في المعالجة قلت درجة الصلة أو المناسبة. وبالتالي كان حريا على المترجم أن يعتمد، على الأقل، على تقنية الإيضاح التداولي عن طريق الإضافة ليعطي للقارئ الهدف معلومات بالقدر الكافي الذي يمكنه من الوصول إلى قصدية الكاتب التواصلية بجهد معالجة أقل.

3.10.4.3. قصة الأصمعي مع جلسائه:

يقول الجاحظ:

شهدت الأصمعي يوماً، وأقبل على جلسائه يسألهم عن عيشهم، وعما يأكلون ويشربون. فأقبل على الذي عن يمينه فقال: أبا فلان، ما أدمك؟ قال: اللحم. قال: أكل يوم لحم؟ قال: نعم. قال: وفيه الصفراء والبيضاء، والحمراء والكدراء، والحامضة والحلوة والمرّة؟ قال: نعم. قال: بئس العيش هذا! ليس هذا عيش آل الخطاب. كان

عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه يضرب على هذا. وكان يقول: مدمن اللحم، كمدمن الخمر (الجاحظ، 2009، ص202)

Una Vez vi como al-Asma'i se acercó a sus amigos de la tertulia para preguntarles sobre su vida, qué comían y bebían. Dirigiéndose al que tenía a su derecha le dijo:

- Padre de Fulano, ¿qué comes?

Dijo:

- Carne.

- ¿todos los días carne?

- Si.

- ¿Marrón, blanca, roja, parda, dulce, amarga?

- en efecto.

Dijo:

- Mala vida la tuya. No es como la vida de la familia Jattāb⁴⁵.

Umar b.al-Jattāb reprobaba esto. Decía "Al que le gusta comer carne es como a quien le gusta beber vino" (Fanjul 1984: 261)

جاءت السخرية في قصة الأصمعي عن طريق الحوار والمغالطة، فلقد عمد أولاً إلى

سؤال جلسائه عما يأكلون، ثم ساق حجة مغالطة، وتكمن هذه الحجة في إيراد

الأصمعي قول عمر ابن الخطاب "مدمن اللحم كمدمن الخمر"، وما ساقها إلا لتفجيرهم

من التأدّم باللحم ونهيهم عنه.

إنّ قول عمر ابن الخطاب هذا كان من باب النصيحة والنهي عن الإفراط في أكل

اللحم لأنه مضر بالصحة، وحري على الانسان ألا يأكله كلّ يوم لكيلا يصبح مدمنا

عليه. لكن الأصمعي وظّف قول ابن الخطاب توظيفاً مغالطياً في المقارنة بين أكل

اللحم وشارب الخمر، وجعل أكل اللحم من باب التحريم والكفر.

- La del califa Umar b. al-Jattāb.⁴⁵

وظهرت السخرية عن طريق المغالطة في هذه القصة نتيجة لخرق مسلمة الكيفية المتمثلة في التصريح بما يستطيع المتكلم إثباته فقط وعدم التصريح بما يعتقد المتكلم أنه خاطئ. وذلك لأنّ الأصمعي أعلم الناس بمعنى قول عمر ابن الخطاب وما وظّفه إلا لبيّن لأصحابه أن العيش التأمّم باللحم هو عيش بأئس، وألا يكون لأصحابه عليه حجة لأنّ عمر ابن الخطاب كان مثالا في الزهد.

أما القصدية التواصلية للجاحظ وراء إيراد هذه القصة فهي السخرية من منطق البخيل الذي يجد لنفسه حججا يدافع بها عن بخله حتّى وإن وظّفها توظيفاً مغالطياً. ومفاد هذه السخرية ليس الضحك والتندر وإنما من أجل الإصلاح.

أما بخصوص الترجمة فلم يظهر خرق لمسلمة الكيفية في النصّ الهدف، لأنّ المترجم لم يستطع أن ينقل أسلوب المغالطة إلى اللغة الإسبانية، وذلك راجع إلى اعتماده على الترجمة الحرفية. فكان لا بد أن يضيف شرحاً لقول عمر ابن الخطاب وسياقه الحقيقي ليتمكّن القارئ الهدف من أن يتفطن إلى قصدية الأصمعي الحقيقية المتمثلة في تنفير أصحابه من أكل اللحم.

ونتيجة لذلك لم تظهر القصدية التواصلية للجاحظ المتمثلة في السخرية من منطق البخيل في الترجمة.

لاحظنا، من خلال هذا النموذج، أنّ السخرية جاءت في صيغتها الموقفية لأن الجاحظ لعب دور المراقب وكان البخيل هو الضحية. وجاءت القصدية التواصلية في السخرية

من منطق البخلاء في البخل، حيث ضمّتها الجاحظ في الحجج المغالطة. كما جاءت أيضا من خلال الاستلزام الحوارية نتيجة لخرق ملّمة الكيفية.

أما بالنسبة للترجمة فقد استخدم المترجم استراتيجية الإيضاح مرّة واحدة واعتمد في أغلب الأوقات في ترجمة أمثلة هذا النموذج على الترجمة الحرفية التي لم تساعده على نقل المقاصد الحقيقية للغة الهدف.

11.4.3. نموذجان عن السخرية بأسلوب التلميح:

هو إستراتيجية تداولية غير مباشرة يكون فيها المعنى المقصود ضمنياً ويُلمح إليه عن طريق قرائن يستدل من خلالها المستمع على ما يلمح له المتكلم، فقد يكون الخطاب في صيغة المدح ويراد به السخرية (أنظر العنوان رقم 8.7.1)، حيث عمد الجاحظ إلى التلميح بدل التصريح في سخريته من سلوك البخلاء. ولقد جاء التلميح في كتابه تارة عن طريق الاستعارة وتارة أخرى عن طريق الكناية. وسنبيّن ذلك من خلال الأمثلة التالية:

1.11.4.3. التلميح عن طريق الكناية في قصّة جبل وأبو مازن:

قال الجاحظ:

وكان جبل خرج ليلا من موضع كان فيه، فخاف الطائف، ولم يأمن المستقفي فقال: "لو دققت الباب على أبي مازن، فبتّ عنده في أدنى بيت، أوفي دهليزه، ولم ألزمه مؤنتي شيئا حتّى إذا انصدع عمودُ الصبح خرجت في أوائل المدلجين.

فدقّ عليه الباب دقّ واثق ودقّ مدلّ ودقّ من يخاف أن يُدرّكه الطائف أو يقفوه المستقفي، وفي قلبه عزّ الكفاية والثقة بإسقاط المؤنة. فلم يشكّ أبو مازن أنه دقّ صاحب هديّة، فنزل سريعا.

فلما فتح الباب وبصر بجبل، بضّر بملك الموت. فلما رآه جبّل واجما لا يُحير كلمة، قال له، إنّي خفت معرّة الطائف وعجلة المستقفي فملت إليك لأبيت عندك، فتساكر أبو مازن، وأراه أنّ وجومه إنّما كان بسبب السكر. فخلّع جوارحه وخبّل لسانه، وقال: سكران والله سكران. قال له جبّل: كُن كيف شئت. نحن في أيّام الفصل، لا شتاء ولا صيف، ولست أحتاج إلى سطح فأغمّ عيالك بالحرّ، ولست أحتاج إلى لحاف فأكلّفك أن تُؤثّرني بالدثار. وأنا كما ترى ثمل من الشراب، شبعان من الطّعام، ومن منزل فلان خرّجت، وهو أخصبُ النَّاس رحلا. وإنّما أريد أن تدعني أغفى في دهليزك إغفاءة واحدة، ثمّ أقوم في أوائل المبكرين. قال أبو مازن، وأرخى عينيه وفكّيه ولسانه، ثمّ قال: سكران، والله، أنا سكران، لا والله ما أعقل أين أنا، والله إن أفهم ما تقول.

ثمّ أغلق الباب في وجهه، ودخل لا يشكّ أنّ عذره قد وضّح، وأنّه قد ألطف النظر حتّى وقع على هذه الحيلة (الجاحظ، 2009، ص39)

Cierta noche en que Yabal había salido de donde estuviera, tanto por temor de la ronda como por no fiarse de cualquiera que la siguiese, pensó: "Si llamara a la puerta de Abū Māzin, pasaría la noche en su casa en el zaguán o en un aposento de la entrada, sin forzarle a darme de comer, hasta que rompa el alba y luego saldría con los primeros madrugadores".

Y se aplicó a tocar en la puerta, confiadamente, seguro de sí mismo o como quien teme que lo pille la ronda o le ataque un perseguidor, pero con el corazón pleno de confianza por no ir a importunar, pues no precisaba cena. Abū Māzin no tuvo la menor duda de que se trataba de un mandadero con un obsequio y bajó raudo.

Sin embargo, al abrir la puerta se encontró con Yabal y le pareció estar contemplando al ángel de la muerte. Yabal, por su parte, viéndole taciturno y callado le aclaró:

- Temía algún desmán de la ronda o el ataque de cualquier salteador, así que decidí acudir a ti para pasar la noche en tu casa.

Abū Māzin empezó a hacerse el borracho montándole que su silencio era causado por el alcohol; hizo temblequear sus extremidades mientras ponía pastora de lengua y balbucía:

Borracho, por Dios que estoy borracho.

-Estate como te plazco _ fue la respuesta de Ýabal_, pero ahora es el entretiempo, ni invierno ni verano, así que no preciso dormir en la azotea incomodando a los tuyos con el calor [que pasarían en un cuarto]; como tampoco necesito serte gravoso privándote de frazadas. como ves, estoy ahitó de bebida y comida, vengo de casa de Fulano, el más generoso y liberal de los mortales, y sólo quiero que me permitas descabezar un sueño en tu zaguán, luego me levantaré con los más tempraneros.

Abū Māzin, aflojando ojos, mandíbulas y lengua, repuso:

-Borracho, por Dios que esto borracho: ni sé dónde estoy ni comprendo tus palabras.

Y de seguida le cerró la puerta en las narices y se metió adentro sin dudar de la eficacia de su excusa ni de su buen juicio al caer en tal argucia (Fanjul, 1984, 107-108).

تدور أحداث القصة حول رجل اسمه جَبَل، خرج في إحدى الليالي من عند صاحبه فخاف الطائف، أو أن يلاقي المستقفي، فاهتدى إلى أبي مازن لعله يبيته في دهليزه، لكن أبو مازن ادعى السكر ليتخلص من جَبَل.

أما السخرية في القصة فجاءت عن طريق التلميح في قول الجاحظ "فلما فتح الباب بصر بجبل، بصر ملك الموت"، وهي كناية عن وجوم أبي مازن نتيجة خوفه من أن يبيت عنده جبل، حيث أنه لما رأى جبل واقفا عند بابه أحسّ وكأنه يلاقي ملك الموت. وما لبث أبو مازن حتى وجد حيلة يبرر بها وقوفه بلا حراك مندهشا وليبقي جبل بعيدا عن منزله، فخلع جوارحه وخبل لسانه، وفي ذلك كناية عن إدعائه ذهاب عقله بسبب السكر، ورفض أن يبيته جبل عنده رغم علمه بأنه لن يكلفه سيئا سوى النوم بضع ساعات ويذهب باكرا ودليل ذلك قول جبل " إذا انصدع عمود الصبح، خرجت في أوائل المدلجين". لكن أبو مازن لم يهتم بذلك وأغلق الباب في وجه جَبَل.

لو نظرنا إلى القصة من الجانب التداولي، وجدنا أنّ في قول الجاحظ من باب الكناية "فخلع جوارحه، وخبّل لسانه"، خرق لمسلّمة الطريقة (الجهة) والتي تتّص على أن يجتنب المتكلم الغموض واللبس في العبارة. لكن القارئ الفطن يتنبّه لتلك السخرية لأنّ الجاحظ استطاع أن يصوّر المشهد تصويراً مضحكاً بارعاً رغم تضمينه للمعاني والمقاصد.

كما نجد خرقاً لمسلّمة الكيفية في قول أبو مازن "سكران أنا والله سكران"، "لا والله ما أعقل أين أنا! والله إن أفهم ما تقول!"، وذلك لأنّ أبا مازن صرّح بما يعتقد بأنّه خاطئ وبما لا يستطيع إثباته.

أما القصدية التواصلية للجاحظ فتتمثّل في السخرية عن طريق التلميح من موقف أبو مازن، حيث أنّه لم يكثرث لما قد يصيب صاحبه إن لم يستقبله لبضع ساعات، لأنّ أهمّ شيء عنده ألاّ يخسر شيئاً من ماله، والداعي إلى السخرية والضحك أنّ الجاحظ صوّر لنا مشهد أبو مازن تصويراً كاريكاتورياً لحالة سكر أبو مازن المبالغ فيه، كما أوضح لنا أنّه لم يشك أنّ عذره قد وضح لجبل، وفرح لوقوعه على هذه الحيلة بسرعة. أمّا بالنسبة للترجمة فقد قام المترجم بنقل هذه القصة بالاعتماد على السياق اللغوي المتمثّل في التلميح عن طريق الكناية وفي تصوير الجاحظ لمجريات الحوار الذي دار بين طرفي الحوار، حيث قام المترجم بنقل المعنى الذي حملته الكناية نقلاً سليماً من خلال استخدام التكافؤ التداولي، حيث ترجم "فخلع جوارحه وخبّل لسانه وقال سكران

والله سكران"، ب " hizo temblequear sus extremidades mientras ponía "

"Borracho, por dios estoy borracho" "pastosa la lengua y balbucía" وهي

ترجمة تكافئ إلى حدّ ما المعنى الأصلي، لأنّ المترجم صوّر من خلالها أبو مازن

تصويرا كاريكاتوريا كما جاء في النّص الأصلي، حيث أضاف الفعل "Balbucía"

للدلالة على أنّ كلامه غير مفهوم من شدّة السكر. كما احتوت الترجمة على نفس

الاستلزام الناتج عن خرق مسلّمة الجهة والكيفية. وذلك لأنّ القصة جاءت في شكل

تصوير لمشهد أبو مازن الكاريكاتوري.

أما بالنسبة للقصدية التواصلية المتمثلة في السخرية عن طريق التلميح من موقف أبو

مازن، فيستطيع القارئ الهدف أن يستنتجها، وذلك لأنّ قصدية الجاحظ ظهرت من

خلال السياق الذي أنهى به القصة والذي ظهر معناه جليّا في الترجمة في *y de*

seguida le cerró la puerta en las narices y se metió adentro sin dudar

de la eficacia de su excusa ni de su buen juicio al caer en tal argucia.

2.11.4.3. التلميح عن طريق الاستعارة في قصة الرجل البخيل وصديق الجاحظ:

يقول الجاحظ:

وحدثني صاحب لي قال: دخلت على فلان بن فلان، وإذا المائدة موضوعة بعد، وإذا

القوم قد أكلوا، ورفعوا أيديهم، فمددت يدي لآكل فقال: أجهز على الجرحى، ولا

تعرض للأصحاء. يقول: أعرض للدجاجة التي قد نيل منها، وللفرخ المنزوع الفخذ، فأما

الصحيح فلا تعرض له. وكذلك الرغيف الذي قد نيل منه، وأصابه بعض

المرق. (الجاحظ، 2009، ص44)

Un amigo me refirió lo siguiente:

- Fui a ver a Fulano, encontrándome la mesa todavía dispuesta, si bien los invitados ya acabaran de yantar. Como quisiera probar estiré la mano y el huésped me aleccionó: " Remata a los heridos pero no toques a los sanos", queriendo significar " agarra de gallina medio comida, o del pollo al que arrancaron el muslo, pero no cojas de los que aún están enteros, e igualmente con el pan ya encetado o pringado de salsa. (Fanjul, 1984, p.111)

جاءت السخرية في هذه القصة عن طريق التلميح من خلال الاستعارة في قول الجاحظ على لسان صاحبه: "قال: **أجهز على الجرحى ولا تتعرض للأصحاء!**"، حيث شبّه الرجل البخيل ما بقي من الطعام بجرحى الحرب، ولم يأتي هذا التشبيه عرضياً، لأنّ البخيل يرى ضيوفه كانوا يتقاتلون على الطعام وليس أكله ممّا خلف ضحايا من الدجاج والريغيف في ساحة المعركة أي المائدة. وقصدية البخيل التواصلية من هذه الاستعارة هي أنّه يريد أن يخرج بأقل الخسائر بما أنّه مضطر لتقديم الطعام للضيف، لذلك طلب منه أن يأكل من الطعام الذي قد نيل منه ويبقى على الصحيح.

ونتج استلزام حوارى من الاستعارة من خلال خرق الرجل البخيل لمسلمة الطريقة (الجهة) التي تنص على اجتناب الغموض واللبس في العبارة، وحدث ذلك لأن استخدام البخيل للاستعارة جعل كلامه غير واضح للمتلقى.

وتكمن قصدية الجاحظ التواصلية من سرد هذه القصة في الكشف عن سلوك البخيل المنافى لواجب الضيافة، فمن غير المعقول أن نقدّم للضيف بقايا الطعام، لكن بخل الرجل دفعه إلى أن يطلب من الضيف ألا يقرب الطعام الصحيح، واهتدى إلى اللغة

المجازية في الاستعارة ليكون وقع الطلب على الضيف خفيفا. فبخيل الجاحظ لا يكثر لظنّ الناس به أو لسُمتته لأنّ حرصه على ماله يفوق كلّ شيء.

أما بالنسبة للترجمة، فاستطاع المترجم أن ينقل التلميح الموجود في الاستعارة حيث قام بتضمين المعنى الذي جاء في الاستعارة في " **Remata a los heridos pero no toques a los sanos** " وظهر معنى هذه الاستعارة لاحقا من خلال شرح قصيدة البخيل في " **agarra de gallina medio comida, o del pollo al que arrancaron el muslo, pero no cojas de los que aún están enteros, e igualmente con el pan ya encetado o pringado de salsa** ".
كما عمد المترجم إلى الإبقاء على نفس الاستلزام الذي جاء نتيجة خرق مسلّمة الطريقة في النصّ الأصلي وذلك للإبقاء على الشكل الذي جاءت فيه السخرية وعلى قوّتها الإنجازية، وبهذا يكون قد نقل قصيدة الجاحظ التواصلية لأنّ الجاحظ وقارئ النصّ الهدف يشتركان في الخلفية الثقافية التي ترى بأنّه من غير اللائق أن يتصرّف الرّجل مع ضيفه بهذه الطريقة.

كما لاحظنا أنّ الطابع الفكاهي ظهر في الترجمة لأن المترجم اعتمد في نقله للقصة على السياق.

توصّلنا من خلال الأمثلة إلى أن الجاحظ وظّف السخرية عن طريق التلميح باللّجوء إلى الاستعارة والكناية معتمدا في ذلك على التصوير. وبعد التحليل التداولي تبين بأنّ السخرية جاءت نتيجة لخرق مسلّمة الطريقة (الجهة) ومسلّمة الكيفية.

أما بالنسبة للترجمة فاعتمد المترجم على السياق اللغوي موظفاً في ذلك استراتيجية التكافؤ التداولي، إضافة إلى الترجمة الحرفية كون السخرية جاءت في شكل تصوير كاريكاتوري ونفسي.

12.3. خلاصة الفصل:

إنّ كتاب البخلاء نموذج حقيقي للأسلوب الساخر الذي كان يطغى على الكتابات الأدبية في العصر العبّاسي، حيث صوّر لنا الجاحظ البخلاء بعناية تصويراً نفسياً وكاريكاتورياً بالاعتماد على أساليب بلاغية وإنشائية مختلفة.

توصّلنا من خلال هذا الفصل إلى أنّ المقاصد في كتاب البخلاء تراوحت بين إخبارية وتواصلية، حيث أظهر الجاحظ السخرية تارة بأسلوب مباشر، وتارة أخرى يخفيها مستخدماً في ذلك أساليب مثل التهكم والمفارقة والتعريض والرد بالمثل والتورية... الخ. لكننا اعتمدنا على النماذج التي تحمل مقاصد تواصلية فقط نظراً لما يقتضيه موضوع بحثنا.

وبعد تحليل النماذج في نصّها الإصلي تحليلاً التداولياً، توصّلنا إلى أنّ السخرية جاءت نتيجة لخرق مختلف المسلمات الحوارية لمبدأ التعاون، وكذا عن طريق إيراد الحجج المختلفة.

وأظهر التحليل التداولي أيضاً أنّ في النصّ الأصلي افتراضات مسبقة تساعد القارئ خاصة المترجم على فهم السخرية والوصول إلى القصدية التواصلية.

كما توصلنا إلى أنه في كثير من الأحيان لا تظهر السخرية نتيجة لخرق مسلمات الحوارية لمبدأ التعاون، وإنما يفهمها القارئ من خلال السياق، حيث لجأ المترجم في كثير من الأحيان إلى السياق للتعرف على الدلائل والأمارات التي يتركها كاتب النص الأصلي للوصول إلى القصدية التواصلية.

لاحظنا كذلك من خلال تحليل النص الأصلي أنه يحمل عبارات تحمل قوة إنجازية مثل الاستفهام والنهي وغيرها، وهي أدوات تساعد المترجم على إيجاد عبارات في اللغة الهدف تحمل قوة الإنجازية ذاتها أو مكافئة لها.

واستنتجنا من خلال دراسة النماذج المختارة أن ترجمة "سيرافين فانخول" كانت قريبة من مستوى النص الأصلي وذلك لاعتماده في كثير من الأحيان على استراتيجيات الترجمة التداولية أهمها التغيير والإضافة والتكافؤ التداولي.

كما أنه استطاع أن يُوظف الترجمة الحرفية توظيفاً تمكّن من خلاله من تضمين المقاصد التواصلية وراء السخرية كما جاءت في النص الأصلي. لكن انتهاجه للترجمة الحرفية لم يكن مفيداً في جميع الحالات، ففي بعض الأحيان لم تستطع الترجمة الحرفية الإبقاء على نفس التأثير الذي جاء في النص الأصلي رغم حفاظها على الشكل.

خاتمة

خاتمة:

عالجنا على امتداد هذه الدراسة " القصدية التواصلية في النص الساخر وترجمتها إلى اللغة الإسبانية"، واعتمدنا في ذلك على النظرية التداولية، حيث وقفنا في حدود ما توفر لدينا من مراجع ودراسات سابقة تعلقت بالموضوع من قريب أو من بعيد على حدود الموضوع من خلال محاولتنا للإجابة على الإشكالية التالية " هل تمكن المترجم من الحفاظ على القصدية التواصلية للنص الأصلي في النص المترجم؟ وهل أبقى على

نفس وظيفة النص الساخر؟

ونذكر في هذا المقام بالفرضيات التي قمنا بصياغتها على النحو التالي:

- حافظ المترجم على القصدية التواصلية في النص.
- أبقى المترجم على نفس وظيفة النص الساخر.
- ترجم المترجم السخرية بسخرية.
- تجاوز المترجم المعنى الحرفي وبحث عن مضامين القول للكشف عن قصدية العبارة اللغوية.
- قام المترجم باختراق المسلمات الحوارية عند ترجمة السخرية.

وفي معرض محاولتنا للإجابة على الإشكالية من خلال التأكد من صحة الفرضيات وعدمها، مررنا في البحث على عدّة مراحل، حصرناها في جانب نظري وجانب تطبيقي ففي الفصل الأول من الجانب النظري حاولنا أن نقدّم تعريفا جامعاً للنص

الساخر، لكننا توصلنا من خلال البحث إلى أنّ لا وجود لتعريف جامع مانع للنص الساخر، لأنه سمّي كذلك لاحتوائه على أسلوب السخرية في جزئه أو كله، وبهذا أثرنا أن نقدّم مختلف التعاريف التي خصّ الباحثون بها أسلوب السخرية والنظر في اختلاف وجهات نظرهم حول هذا الأسلوب لنتمكّن في الأخير من تقديم تعريف متواضع للنص الساخر متمثّل في أنّ "النصّ الساخر يحمل في ثناياه السخرية بوصفها أسلوباً يتمييز به، وتكون إمّا في جزء منه أو تطغى عليه كلياً وتلعب القصدية دوراً هاماً في تكوينه". واستخلصنا أنّه على الرّغم من اختلاف تعريف السخرية واختلاف وجهات النّظر حوله واختلاف سياق تناوله من طرف الباحثين إلّا أنّنا توصلنا إلى أنّها تكمل بعضها البعض، فهناك من ذهب في تعريفه إلى أصوله الفلسفية وهناك من تطرّق إليه من باب البلاغة ومنهم من تناوله من باب النقد، ونجد من خصّه بالتعريف بالنظر إلى الجانب المجازي وهناك من نادى إلى ضرورة عدم حصر أسلوب السخرية في مجال واحد، وأصبح، بهذا، يُنظر للسخرية على أنّها أسلوب غير مباشر لا بد من دراسته بالاعتماد على المجالين اللساني والتداولي.

وفي سبيل الوصول إلى أنواع السخرية وجدنا أن العديد من الباحثين قسّموا أنواع السخرية تقسيماً مختلفاً مثلما هو الحال عند "ليندا هتشيون" -Linda Huchon- و"بيار تشانتجيس" -Pierre Schoentjes- و"سيربر وولسن" -Sperber & Wilson- وغيرهم، لكننا لم نقم بالتطرّق إلى أنواع السخرية عند كل باحث على حدة نظراً لتشابه

التقسيمات عندهم، وعمدنا بذلك إلى إدراج أنواع السخرية بصفة عامة بما يخدم موضوع رسالتنا. واستنتجنا بذلك أن السخرية لا تكون على المستوى اللفظي فقط وإنما قد تكون في إطار حدث أو موقف ما وتكون غير مقصودة.

وبما أننا تناولنا أسلوب السخرية عند الجاحظ، فقد حاولنا أن نبيّن أسلوب السخرية عنده من خلال النظر في مختلف كتاباته وبالأخص كتاب البخلاء، وتوصلنا إلى أن السخرية الجاحظ كانت رقيقة غير لاذعة، زوَج فيها الكاتب بين النقد والفكاهة ووظفها للتعبير عن دلالات نفسية واجتماعية واقتصادية، وكذا الكشف عن مغالطاتهم التي يحاولون من خلالها إيهام الناس بأنهم مصلحون وكرماء. كما أن قصيدة الجاحظ من ذلك ليس التشنيع والتقريع وإنما التهذيب والإصلاح.

ولقد وظّف الجاحظ أساليب بلاغية في نصّه ولم يلتزمها للزخرفة الفنيّة أو ليضفي طابعا جماليا على كتابه فقط وإنما لأنها كانت الطريقة المثلى لإيصال مقاصده من سخريته.

ونظرا لارتباط أسلوب السخرية في رسالتنا بالترجمة، عمدنا إلى بيان إمكانية نقله إلى لغة أخرى بالأخذ بعين الاعتبار ازدواج الدلالة الذي يحمله أسلوب السخرية، واعتمدنا في ذلك على آراء مختلف الباحثين الذين تطرقوا لموضوع ترجمة السخرية ونذكر من بينهم "ليوفوا وتشنتجس" -Schoentjes&Lievois- و"ماتيو" -Mateo- و"نورد" -Nord-، وتوصلنا إلى أن ترجمة السخرية لا تعتمد أساسا على نقل المعنى فقط وإنما

على نقل قصدية مؤلف النصّ الأصلي، لكنّ هذه العملية ليست سهلة إطلاقاً لأنّ المؤلف قد لا يضع مؤشرات لغوية تدل على قصديته من السخرية وبهذا يصبح لزاماً على المترجم النظر في السياق لكشفها ونقلها. كما يمكن للمترجم أن يتعامل مع ثقافتين مختلفتين متباعدتين على الصعيد الثقافي مما يؤدي إلى صعوبة نقل السخرية، فما هو ساخر في ثقافة ما ليس بالضرورة أن يكون ساخرًا في ثقافة أخرى، وبالتالي يصبح على المترجم، في هذه الحالة نقل وظيفة السخرية وليس السخرية في حدّ ذاتها. كما توصلنا إلى أنّه حتى يتمكّن المترجم من نقل قصدية المؤلف الأصلي من السخرية يتوجّب عليه الاعتماد على النظريات اللسانية من جهة، والنظرية التداولية من جهة أخرى، ويعتمد إلى توظيفهما معاً من أجل إنتاج نصّ يحقّق من خلاله التأثير المناسب في ذهن القارئ الهدف.

ونظراً لأهمية النظرية التداولية في بيان قصدية النصّ الساخر سواء فيما يتعلّق بتحليل النصّ الأصلي أو ترجمته، تناولنا في الفصل الثاني من الرسالة النظرية التداولية بالتفصيل، حيث قمنا في بادئ الأمر وقبل التطرّق إلى النظرية التداولية، بالنظر في مساهمة النظريات اللسانية خاصة البنيوية في تحقيق ترجمة سليمة، إلّا أنّنا توصلنا إلى أنّها رغم مساهمتها في تحديد البنى التركيبية والنحوية والدلالية للغة إلا أنّها أهملت الجانب الاستعمالي لها، وبهذا أدّى تركيز الترجمة على اللسانيات البنيوية وحدها إلى الانتهاء عند باب مسدود، لذلك كان لابد من النظر في جميع فروع اللسانيات بدءاً

بتلك التي تركّز على البنى التركيبية والنحوية لترجمة النص وصولاً إلى اللسانيات التداولية التي تهتم بدراسة اللّغة في الاستعمال، وذلك من أجل الوصول إلى المقاصد التواصلية التي أظهرت مباحث التداولية أنّها أهمّ وظائف اللّغة، لأنّ المقاصد هي التي توجّه المرسل لاختيار الملفوظات المناسبة لخدمة أغراضه.

إنّ هذا الاستنتاج دفع بنا إلى التعمّقي النظرية التداولية، حيث تطرّقنا فيها إلى مجموعة من المفاهيم والإجراءات التي تؤسسها، ووقفنا فيما يتعلّق بالمفاهيم، أولاً، على نشأة النظرية التداولية وتعريفها، حيث توصلنا إلى أن أصول النظرية التداولية تعود إلى اتجاه الفلسفة التحليلية الذي يعتمد على دراسة اللغة العادية وتحليلها، وهو اتجاه ساهم مساهمة كبيرة في دراسة اللّغة في الاستعمال وظهور مبحث أفعال الكلام ومبدأ القصدية الذي تقوم عليه جُلّ النظرية التداولية. ثمّ وقفنا بعد ذلك على تعريف النظرية التداولية، وتوصلنا بعد عرض مختلف وجهات نظر الباحثين، التي توافقت في بعض الأحيان وتعارضت في أحيان أخرى، إلى أن التداولية "هي علم دراسة اللّغة في الاستعمال من أجل التواصل"، أي دراسة كيفية استعمال المتخاطبين للأدلة اللّغوية في خطاباتهم وكيفية تأويلهم لهذه الخطابات، وبعبارة أخرى، دراسة معنى اللّغة كما أراد أن يوصله المتكلم وكما يفسّره المتلقي، حسب سياق معيّن من أجل التواصل.

كما تطرّقنا في حقل المفاهيم إلى القصدية وتوصلنا من خلال ذلك، إلى أنّها تُعدّ مفهوماً مركزياً في التداولية خاصة في مبحث أفعال الكلام عند "أوستن" - Austin -

و"سيرل" - Searle - من خلال مفهوم القوّة الإنجازية ونظرية الاستلزام الحواري عند "غرايس" - Grice -، التي تعتمد على القصدية أساسا في التفريق بين ما يُقال وما هو مستلزم لأنّ المتخاطبين قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون. إضافة إلى نظرية المناسبة (الصلة) عند ، اللذين يذهبان إلى أن معظم التواصل البشري يكون قصديا، حيث قدّم "سبيربر وولسن" - Sperber & wilson - أنموذجا جديدا في التواصل يُسمّى "أنموذج التواصل الإظهارى الاستدلالي" الذي يتكوّن من القصدية الإخبارية والقصدية التواصلية، وتوصّلنا إلى أنّ الفرق بين القصدية الإخبارية والقصدية التواصلية يكمن في أنّ الإخبار في الأولى يكون ظاهرا ويُفهم مباشرة، أما في الثانية، فيكون الإخبار ضمنيا، يُوجبُ وجود معلومات ذات صلة للاستدلال عليه ومعلومات متبادلة بين الطرفين يتدخّل فيها سياق التواصل حتى تتحقّق العملية التواصلية.

وفي محاولتنا لمعرفة كيفية تحليل المقاصد في اللّغة الأصل ونقلها إلى لغة أخرى، توصّلنا إلى أنّ تحليل المقاصد يستلزم اللجوء إلى التأويل التداولي لأنّه فاعلية ذهنية تعطي معنى للعبارات بطرق مختلفة وبالتالي تنزع الغموض عنها. أي أنّه يساهم بعمق في تحليل المقاصد التواصلية التي يعمل المترجم على نقلها بكلّ أمانة، فهو يساعد على معرفة الطبقات المختلفة للّغة المنقول منها وإليها. كما يساهم في فهم المعاني

الذهنية الخاصة بالكاتب التي يتعمّد أن يخفيها في نصّه والتي لا تظهر أثناء التواصل.

كما يستلزم تحليل المقاصد ونقلها إلى لغات مختلفة وجود السياق، لأنّه الوحيد القادر على تحديد القضية التي تمّ التعبير عنها من خلال الوحدات الكلامية، وهو الذي يحدّد المعنى المقصود من استعمال هذه الوحدات الكلامية لأنها قد ترد بمعانٍ مختلفة حسب تعدد السياقات وقد تكتسب معانٍ متعدّدة ظاهرة أو ضمنية تحمل مقاصد مختلفة، لذلك تتم الاستعانة بالسياق للاستدلال على المقاصد التي استخدمت من أجلها تلك الوحدة الكلامية من غيرها.

كما توصلنا إلى أنّ تحديد السياق لمعاني ودلالات الوحدات الكلامية المستعملة حسب ظروف استعمالها في الخطاب يلعب دوراً فعّالاً في ترجمة المقاصد النابعة من النصوص الساخرة، وبالتالي يساعد المترجم على الوصول إلى الظروف المحيطة بالفعل الكلامي الساخر مثل الزمان والمكان والدلائل التي يتركها الكاتب في نصّه التي يصل القارئ من خلالها إلى قصديته. وبهذا تصبح نتيجة مراعاة المترجم للسياق هي الحصول على نص سليم يحقق استجابة عالية من طرف الجمهور المتلقي.

أمّا فيما يخص الإجراءات، فلقد قمنا برصد مباحث النظرية التداولية، بالاعتماد على درجاتها الثلاث، حيث أشرنا إلى جميع مباحث النظرية، ولم يسعنا أن نركّز في الرسالة إلّا على أفعال الكلام ونظرية الاستلزام الحوارية ومتضمنات القول، نظراً لما

استلزمته مدونة الرسالة، فبالنسبة لأفعال الكلام خالصنا، بعد النظر في تطور نظرية أفعال الكلام، إلى أن العبارات الانجازية هي عبارات قصدية، فالمتكلم إن لم يقصد مثلا أن يصدر حكما أو يعطي وعدا أو يتمنى أمرا، فهو في الحقيقة لم يقم بهذه الأفعال. كما خالصنا إلى أن القصد من إنجاز الفعل وشروط الإخلاص واتجاه المطابقة هي التي تسمح بالتمييز بين الأفعال الكلامية المتشابهة. إضافة إلى أن الأفعال الكلامية ليست كلها مباشرة، فهناك أفعال كلام غير مباشرة لا يتطابق معناها الظاهر مع القصدية الحقيقية للمتكلم، لذلك لا يمكن أن نفهم معناها بمجرد النطق بها، ويدخل في هذا الباب أسلوب السخرية والاستعارة وغيرها من الأساليب المجازية. وبهذا تكون نظرية أفعال الكلام قد ساهمت في التوصل إلى أن المقاصد هي التي تحدّد الهدف من إنجاز أي فعل كلامي، كما تحدد غرض المتكلم من النطق بعبارة إنجازية ما من غيرها.

أما فيما يخص نظرية الاستلزام الحوارية، فقد توصلنا إلى أن مفهوم الاستلزام الحوارية تأسس من خلال مبدأ التعاون ومسلماته، فقد انطلق "غرايس" - Grice - من فكرة أنّ الجمل قد تدل على معاني ضمنية يحدّد السياق دلالتها، لذلك عمد إلى التفريق بين ما يقال، أي معنى الكلمات والعبارات في لفظها، وما يُستلزم، أي ما يريد المتكلم أن يُبلّغه للمتلقّي بطريقة غير مباشرة، وهذا التفريق أدّى به إلى وضع نوعين من الاستلزام، فالأول عرفي وتكون فيه دلالات الألفاظ متعارف عليها في اللغة، أي أنّها لا تتغير

مهما تغيّر السياق الذي وردت فيه. أما الثاني فهو حوارى، تكون دلالات الألفاظ فيه متغيرة حسب تغيّر السياق الذي وردت فيه، لذلك ذهب "غرايس" -Grice- إلى وضع مبدأ التعاون ليبيّن من خلاله قصدية المتكلم، لأنّ تأويل الكلام يعتمد، إضافة إلى معاني العبارات، على تعاون طرفي الخطاب لتكون العملية التواصلية سليمة ومنسجمة. وخلصنا إلى أنّ مبدأ التعاون ومسلّماته يساهم مساهمة كبيرة في ضبط مسار الحوار وضمان فعاليته، وأنّ احترام هذه المسلّمات يجعلنا نبلغ مقاصدنا، كما يؤدي خرقها والخروج عنها إلى اختلال العملية الحوارية. كما توصّلنا إلى أنّ مبدأ التعاون وحده لا يكفي لإنجاح العملية التواصلية بل لابد من وجود مبدأ التآدب الذي يقوم على عدم فرض المتكلم نفسه على المخاطب، وأن يفسح المجال أمام المتلقي لاتخاذ القرارات أي ألا يحصره المتكلم في خيارات معيّنة وأن يتجنّب أساليب التقرير والاستفهام، إضافة إلى أنّه لابد على المتكلم من إظهار الود للمتلقي من خلال استعمال صيغ اللباقة في الحديث. كما استعرضنا التعديلات التي أجرتها نظرية المناسبة على نظرية الاستلزام الحوارى بحيث ذهب كل من "سبيربر وولسن"- Sperber & Wilson- إلى أنّ المبدأ الوحيد الذي يمكن من خلاله تفسير التواصل البشرى هو مبدأ المناسبة (الصلة)، لأنّه يساعد طرفي التواصل على الاستدلال على المقاصد دون بذل جهد معالجة الكلام.

وبما أنّ المقاصد قد تكون في بعض الأحيان ضمنية، حاولنا أن نبحث في مبحث متضمنات القول ووجدنا أنّها تنقسم إلى افتراض مسبق وأقوال مضمرة، وخلصنا إلى أن الافتراضات المسبقة هي معلومات يفترضها المتكلم قبل النطق بالكلام، وهي تلعب دورا مهما في إنجاح العملية التواصلية، لأنّ نجاح الخطاب في تأدية وظيفة التواصل يعتمد أساسا على ما سيتمّ التوصل إليه من نتائج لما افترضه المتكلم مسبقا. أما الأقوال المضمرة فهي مجموعة معيّنة من المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها ولا يُصرح بها وإنّما يفترضها المتلقي، فقول المتكلم "الجو بارد اليوم" قد يُفهم منه قوله أنه يريد البقاء في المنزل أو يريد من المتلقي أن يشعل المدفأة وغير ذلك. وبهذا فهي تساهم في تحديد المقاصد المتنوعة التي يمكن أن تنتج عن القضية الواحدة في سياق الخطاب.

وخلصنا من خلال عرض مباحث النظرية التداولية إلى أنّها تكمل بعضها البعض لأنّ هدفها واحد، حيث أنّها تعمل معا من أجل إظهار المقاصد الحقيقية وراء الكلام لإنجاح العملية التواصلية.

وفي محاولتنا لاكتشاف مدى مساهمة النظرية التداولية في الترجمة، قمنا في بادئ الأمر بتتبّع حركة الترجمة في ظل اللسانيات، واكتشفنا أنّ النظريات التي تطوّرت في رحاب اللسانيات قد تعرّضت للنقد لأنّها ضيّقت مجال اهتمام الترجمة باللّغة في الجانب الشكلي فقط، وأهملت بذلك الجانب الاستعمالي لها. وبما أنّ الترجمة تستلزم

النظر في البعدين الشكلي والاستعمالي للغة من أجل إنتاج ترجمة سليمة تحيط بالجانب اللغوي وخارج لغوي للنص، كان لابد لها أن تلجأ للنظرية التداولية لأنها تجاوزت دراسة البنية لتصل إلى دراسة اللغة في الاستعمال مع أخذ السياق بعين الاعتبار. وخلصنا من خلال ما سبق، إلى أن دراسات الترجمة الحديثة أصبحت تهتم معظمها بالجانب التداولي، لأن الدراسات التي تنشأ في حوض التداولية تكون أكثر إثارة وذلك لأن المترجم يستطيع بواسطتها أن يتوصل إلى المعاني الضمنية التي يحملها الخطاب والمقاصد الحقيقية للمتكلم.

وبهذا، حاولنا ربط أهم مباحث التداولية بالترجمة وتوصلنا إلى أن التداولية تضع، من خلال مبحث متضمنات القول، دلائل وآليات يتمكّن من خلالها التوصل إلى المعلومات التي تشير إلى الافتراضات المسبقة والأقوال المضمرّة، وبالتالي نقلها بسلاسة إلى اللغة الهدف.

إنّ اختلاف أفعال الكلام من لغة لأخرى قد يصل إلى حدّ التعارض، لذلك يكون لجوء المترجم إلى مبحث أفعال الكلام أمراً ضرورياً لئتمكّن من التعرّف على نوع الفعل الكلامي سواء كان قولياً أو إنجازياً أو قضوياً، كما يساعده ذلك على تحديد قوّته الإنجازية واتّجاه مطابقته وكذا قوّته التأثيرية، وبالتالي يدرك الطريقة السليمة التي يجد، من خلالها، المكافئات المناسبة لأفعال الكلام في اللغة الهدف.

تساعد نظرية الاستلزام الحواري المترجم على استيعاب المعاني الصريحة والضمنية الموجودة في الخطاب وكيفية الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم، إضافة إلى اكتشاف المعاني غير المباشرة التي قد تحملها العبارة الواحدة. وخلصنا إلى أنّ مبدأ التعاون شرط لا بد للمترجم أن يتقيد به حتى يتمكن من إقناع القارئ الهدف بالتفاعل مع النص. كما تساعد مسلمات مبدأ التعاون المترجم على الانتباه إلى ما إذا كان المتكلم قد عمد إلى احترام مسلمات مبدأ التعاون أو خرقها. فإذا تمّ خرق إحدى هذه المسلمات تصبح المعاني ضمنية وغامضة، وبالتالي تصبح عملية الخرق هذه آلية تساعد المترجم على إدراك هذه المعاني الضمنية ونقلها إلى اللغة الهدف.

تساعد نظرية المناسبة (الصلة) المترجم على التعامل مع المعارف المخزنة في ذاكرته، إضافة إلى الاستيعاب المعلومات الجديدة التي يقدمها الخطاب الذي هو بصدده دراسته، بحيث يتمكن، من خلال ذلك، من تقديم افتراضات ذات صلة أكبر بقصدية المؤلف وأكثر ملاءمة لسياق الخطاب، وبالتالي يتمكن من إنتاج نص جديد يحمل نفس معاني ومقاصد النص الأصلي.

كما يساعد نموذج التواصل الإظهارى الاستدلالي من خلال مبدأ الصلة، المترجم على الوصول إلى الدلائل والمؤشرات التي يتركها مؤلف النص من أجل إدراك قصديته سواء كانت إخبارية أو تواصلية.

إضافة إلى ذلك توصلنا إلى أنّ نظرية المناسبة (الصلة) تمكّن المترجم من إيصال قصدية المؤلف إلى القارئ الهدف دون الحاجة إلى بذل جهد التحليل ومعالجة المعلومات.

ساهمت النظرية التداولية في إبراز مظاهر نصيّة تداولية في الترجمة وهي المتمثلة في معيار القصدية ومعيار المقبولية وهما معياران يمكّنان من التعرّف على قصدية كاتب النصّ الأصلي وجعل النصّ المترجم مقبولاً عند قرائه. إضافة إلى ذلك تضع بين يدي المترجم استراتيجيات مثل التضمين والتوضيح والتعويض، تساعده على إيجاد الحلول المناسبة لنقل معاني ومقاصد النصّ الأصل بشكل يتوافق مع الخصوصيات اللّغوية والثقافية للغة الهدف، وكذا مساعدته في تبرير موقفه من النصّ الأصلي وطريقة ترجمته.

أظهرت النظرية التداولية أنّ قراءة النصّ لترجمته لا تعني تفكيك الصيغ الحرفية له فقط وإنّما هو مسار تمارس فيه جميع آليات الفهم التي تزودنا بها الدراسات اللسانية إضافة إلى المباحث التداولية من أجل حصر وتحديد ما يحتاج إليه المترجم.

في طريق محاولتنا لتطبيق ما خلصنا إليه من نتائج في الجانب النظري، في الدراسة التحليلية النقدية للمدونة من أجل تأكيد صحة أو خطأ الافتراضات التي صغناها للإجابة على الإشكالية، حيث قمنا أولاً بمعاينة طبيعة السخرية عند الجاحظ في كتاب

البخلاء، ثم رصدنا النماذج التي تحتوي على قصصية تواصلية وقمنا بتحليلها ونقدنا
وفقا لما توصلنا إليه من نتائج إجرائية، وحلّصنا إلى النتائج التالية:

جاءت السخرية في كتاب البخلاء من خلال أساليب مختلفة كالمفارقة والدعابة والتورية
وغيرها، إلا أن القصصية في النص الأصلي لا تكون دائما تواصلية، لأنّ الجاحظ يصرّح
في كثير من الأحيان عن قصده مباشرة.

توصلنا إلى أنّ كفاءة المترجم اللغوية ومعرفته بالثقافة العربية عامة وإمامه بالمظاهر
الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية للعصر العباسي، ونظرا لانتباه المترجم
للأمارات التي تركها الجاحظ في نصّه من أجل الاستدلال على قصديته التواصلية،
جعله يحافظ في معظم الأحيان على القصصية التواصلية للنص وينقلها بأمانة.

قام المترجم بتوظيف بعض الاستراتيجيات التداولية في ترجمته، حيث ركّز في أغلب
الأوقات على الإيضاح التداولي والإضافة والتغيير والتكافؤ التداولي. كما لجأ في
أحيان أخرى إلى الترجمة الحرفية. وهذا الأمر أدى تارة إلى ترجمة السخرية بسخرية
وتارة أخرى لم يترجم السخرية بسخرية.

توصلنا من خلال الدراسة التطبيقية إلى أنّه في كثير من الأحيان لم يتجاوز المترجم
المعنى الحرفي لترجمة السخرية ودليل ذلك أنّه لجأ إلى الترجمة الحرفية في عدّة
مواضع، إلا أن ذلك لم يخل بانسجام النصّ الكلي. إلا أنّنا لاحظنا في مواضع أخرى
وعند استخدامه لاستراتيجيات الترجمة التداولية، أنه قد تجاوز المعنى الحرفي لتوضيح

المعنى الحقيقي وإبانة القصدية الحقيقية التي حاول الجاحظ أن يوصلها بأساليبه الساخرة.

جاءت السخرية في المدونة نتيجة لخرق مسلمات مبدأ التعاون الأربعة مما أدى إلى تضمين المقاصد التواصلية، ولقد ظهر هذا الخرق في الترجمة تارة عن قصد وتارة أخرى جاء اعتباطيا نتيجة للترجمة الحرفية، لكن في معظم الأحيان جاءت القصدية التواصلية متضمنة في النص المترجم وترك المترجم مهمة التنبه إليها من طرف القارئ.

تطلب اعتماد المترجم على الترجمة الحرفية، في بعض الأحيان، من القارئ بذل جهد التحليل ومعالجة المعلومات والدلائل المتروكة في النص ليتنبه إلى قصدية الجاحظ التواصلية وهو أمر يضر بالعملية التواصلية، الأمر الذي أكد عليه كل من "سيربر وولسن" - Sperber & Wilson - من خلال نظرية المناسبة، فكلما زاد جهد معالجة المعلومات للوصول إلى القصدية قلت درجة الصلة.

نظرا لاختلاف أفعال الكلام وقوتها الإنجازية بين اللغة العربية والاسبانية، قام المترجم بالاعتماد على الاستراتيجيات التداولية للتمكن من إيجاد مكافئ لها في اللغة المنقول إليها محافظا على نفس القيمة التأثيرية لها دون المساس بقصدية المؤلف.

إن حفاظ المترجم على القصدية التواصلية للنص الأصل سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة في النص الهدف أدى بالضرورة إلى الإبقاء على نفس وظيفته والمتمثلة في السخرية.

إجمالاً، يبدو من خلال الترجمة أنّ المترجم عمل على إنتاج نصّ يتناسب لغة وأسلوباً، إلى حدّ كبير، مع النصّ الأصلي، من خلال توظيفه كفاءته الثقافية والتداولية في ترجمة السخرية ونقل القصدية التواصلية للكاتب الأصلي ليحدث التأثير المناسب في نفسية القارئ الهدف.

بعد البحث والاجتهاد طيلة فترة العمل على الرسالة ومن خلال ما توصلنا إليه من نتائج في الجانب التطبيقي والنظري، ننتهي فيما يخص الفرضيات إلى مايلي:

- أثبتت الدراسة صحّة الفرضية الأولى بصورة جزئية، وذلك لأن المترجم حافظ في معظم الأحيان على القصدية التواصلية في النصّ، لكنّه لم يحافظ عليها في أحيان أخرى نتيجة للترجمة الحرفية.

- تبين من خلال الدراسة صحّة الفرضية الثانية لأنّ حفاظ المترجم على القصدية التواصلية وعلى أسلوب السخرية في الترجمة في معظم الأحيان أبقى على نفس وظيفة النصّ الساخر.

- أثبتت الدراسة صحة الفرضية الثالثة بصفة جزئية لأن المترجم قام تارة بترجمة السخرية بسخرية، وتارة أخرى لم يترجم السخرية بسخرية، لأنّه اعتمد أحياناً

على استراتيجيات الترجمة التداولية وأحيانا أخرى على الترجمة الحرفية. كما أن خصوصيات اللغة المنقول إليها أدت، أحيانا، إلى ضرورة نقل قصيدة المؤلف مباشرة دون الحفاظ على الأسلوب الذي جاءت فيه السخرية.

- أكدت الدراسة صحة الفرضية الرابعة بشكل جزئي، وذلك لأن المترجم لم يتجاوز، المعنى الحرفي لترجمة السخرية في مواضع كثيرة من النص المترجم، ودليل ذلك اعتماده على الترجمة الحرفية. كما أنه تجاوز المعنى الحرفي وبحث عن مضامين القول للكشف عن قصيدة العبارة اللغوية نتيجة لجوئه لاستراتيجيات الترجمة التداولية في مواضع أخرى.

- أثبتت الدراسة التطبيقية صحة الفرضية الخامسة، وذلك لأن السخرية ظهرت في النص المترجم نتيجة لخرق المسلّمات الحوارية.

وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أننا لا نزعم إدراك الكمال في هذا العمل، ومن المؤكّد أنّ هذه الرسالة تعترضها عدّة نقائص، خاصة وأنّ الجانب النظري كان واسعا ومتشعبا ولم نتمكّن من دراسة كل العناصر التي تحيط بموضوع الرسالة، ولم نتمكّن أيضا من تطبيق جميع أدوات وآليات التداولية، نظرا لاتساعها ونظرا لما أملتة علينا خصوصيات المدونة. حيث أنّنا نتوسّع مثلا فيما يخص أفعال الكلام ولم نتناول مفاهيم وإجراءات تداولية مهمّة بالنظرية وبالتطبيقكالإشاريات والحجاج وإنّما أشرنا إليها فقط، وهذا قد يفتح آفاقا جديدة أمام الباحثين الراغبين لتناول هذا الموضوع. ولمّ لا محاولة تطبيق ما

توصّلنا إليه على مدوّنات أخرى غير بخلاء الجاحظ، وفي لغات أخرى غير الإسبانية
والعربية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر:

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب. (2009). *البخلاء*، تحقيق طه الحاجري. ط5. القاهرة، مصر: دار المعارف.

Fanjul, S. (1984). *Libro de los avaros*. Madrid, España: Editora national.

المراجع باللغة العربية:

إبراهيم، نبيلة. (1987). *المفارقة*. مجلة فصول، 03 (07)، 131-141.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر. (1972). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. تحقيق إحسان عباس. مج 3. بيروت، لبنان: دار صادر.

ابن فارس ابن زكريا. الحسين أحمد. (1979) *معجم مقاييس اللغة*. تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون. ج3. دمشق، سوريا: دار الفكر.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (د.ت). *لسان العرب*. مج 15. بيروت لبنان: دار صادر.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (د.ت). *لسان العرب*. مج 03. بيروت لبنان: دار صادر.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (د.ت). *لسان العرب*. مج 04. بيروت لبنان: دار صادر.

أحمد، عزت السيد. (2005). *فلسة الأخلاق عند الجاحظ*. دمشق، سوريا: اتحاد الكتاب العرب.

أدوازي، العياشي. (2011). *الاستلزام الحواري في التداول اللساني*. ط1. الجزائر: منشورات الاختلاف.

أرمينكو، فرنسواز. (1987). *المقاربة التداولية*. ترجمة سعيد علوش. بيروت، لبنان: منشورات مركز الإنماء القومي.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. (1964). تهذيب اللّغة. ج7. تحقيق عبد السلام سرحان ومحمد علي النّجار. القاهرة، مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

الألوسي، محمود شكري. (د.ت). روح المعاني، تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الجزء 26. بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.

آن، روبولوجاك، موشلير. (2003). علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوسومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني. بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.

أوستن، جون. (1991). نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام. ترجمة عبد القادر قينيني. الدار البيضاء، المغرب: إفريقيا الشرق.

آيت بوجمعة، علجية. (2016). التداولية: دراسة في المجالات والفروع. الممارسات اللّغوية، (37)07، 159-176.

إيكو، أمبرتو. (2012). أن نقول الشيء نفسه تقريبا. ترجمة أحمد الصمعي. مراجعة نجم بو فاضل. ط1. بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.

بافو، ماري آن وسرفاتي، جورج إيا. (2012). النظريات اللّسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية. ترجمة محمد الراضي. ط1. بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.

بامؤمن، سالم بن محمد بم سالم. (2016). السخرية في الشعر الأموي. رسالة دكتوراه. جامعة الملك سعود. المملكة العربية السعودية.

بخولة، بن الدين. (2013). الحجاج في التداولية اللّسانية. مجلة فصل الخطاب، (3)1، 167-173.

براون، إم نيل؛ستيوارت، إم كيلى. (2014). توجيه الأسئلة الصحيحة، دليل التفكير الناقد. ط1. المملكة العربية السعودية: مكتبة جرير.

- برمان، أنطوان. (2010). الترجمة والحرف أو مقام البعد. ترجمة عز الدين الخطابي. مراجعة جورج كتورة. بيروت لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
- بُريك، محروس السيد. (2016). التأويل التداولي في كتاب سيوبه. مجلة كلية دار العلوم لجامعة القاهرة، 87، 15-47.
- بلاشيه، فيليب. (2007). التداولية من أوستن إلى غوفمان. ترجمة صابر الحباشة. ط1. اللاذقية، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.
- بلخير، عمر. (2003). تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- بلعكرمي، مريم. (2017). البعد التداولي للقصدية في ترجمة النصّ الأدبي، رواية خرفان المولى لياسمينه خضرا نموذجا. رسالة ماجستير. جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر.
- بكاي، محمد. (2015). التصورات التداولية لمبحث المقصدية. العربية والترجمة، 06(21)، 191-212.
- بن مالك. رشيد. (2000). قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للتصو، عربي- انجليزي - فرنسي. الجزائر: دار الحكمة.
- بن يامنة، سامية. (2012). سياق الحال في الفعل الكلامي، مقارنة تداولية. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات التداولية. جامعة أحمد بن بلة، وهران.
- ستيوارت ميل، جون. (د.ت). الفلسفة الألمانية الحديثة لروديجر بوبنر. ترجمة فؤاد كامل. القاهرة، مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- بوجادي، خليفة. (2009). في اللسانيات التداولية، محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم. الجزائر: بيت الحكمة للنشر والتوزيع.
- بوحجام، محمد ناصر. (2004). السخرية في الأدب الجزائري 1925-1962. الجزائر: جمعية التراث.

بوخشة، خديجة. (د.ت). محاضرات في اللسانيات التداولية. مستوى السنة الثالثة
LMD.المركز الجامعي أحمد زبانة، غليزان، الجزائر. تم الاسترجاع من
<https://bit.ly/3aPhoBO>

بوزواوي، محمد. (2009). معجم مصطلحات الأدب. الجزائر: الدار الوطنية للكتاب.
بوسحابة، رحمة. (2017). الكفاءة التداولية للمترجم، عبد الوهّاب المسيري نموذجاً.
رسالة دكتوراه. جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر.
بوشنسكي، إ.م. (1992). الفلسفة المعاصرة في أوروبا. ترجمة عزّت قرني. الكويت:
عالم المعرفة.

بوصباط، ماهر. (2015). نقد الحجاج وسيميائيات الأهواء من خلال كتاب البخلاء
للجاحظ. ط1. تونس: الدار التونسية للكتاب.

التجاني، ماهر أحمد محمّد. (2018). الترجمة من منظور فقهاء اللّغة: الإشكاليات
والاستراتيجيات. مجلّة المترجم، 2(18)، 105-123.
التنوشي، محمد. (1999). المعجم المفصل في الأدب. الجزء الأول. ط2. بيروت،
لبنان: دار الكتب العلمية.

تودوروف وآخرون. (2000). الدلالة في الفكر اللّساني الحديث. ترجمة عبد القادر
قنيني. ط2. الدار البيضاء، المغرب: إفريقيا الشرق.

توماس، جيني. (2010). المعنى في لغة الحوار، مدخل إلى البرجماتية (التداولية).
ترجمة نازك إبراهيم عبد الفتاح. ط1. الرياض، المملكة العربية السعودية: دار
الزهراء.

جاب الله، أسامة عبد العزيز. (2008). جماليات المفارقة النصية قراءة بدائية في
ديوان (مجروح قوي) لمحمد صبحي. تم الاسترجاع من
<https://bit.ly/3gfVhFv>

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب. (1998). البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام
محمد هارون. مج1. القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.

- جبر، جميل. (2008). **الجاحظ في حياته وأدبه وفكره**. ط1. القاهرة، مصر: درا الكتاب المصري. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.
- جبور، عبد النور. (1979). **المعجم الأدبي**. بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
- الجرجاني، عبد القاهر. (1413هـ). **دلائل الإعجاز**. تحقيق محمود شاكر. جدة السعودية: دار المدني.
- جريو، خيرة. (2015). **المفارقة في النقد الغربي، إشكالية الترجمة ومفهوم المصطلح**. **مجلة البلاغة والنقد الأدبي**، 4-5، 109-122.
- جلولي، العيد. (2001). **نظرية الحدث الكلامي من أوستن إلى سيرل**. **مجلة الأثر**، 10 (12)، 51-60.
- حشيشي، سهام. (2012). **المفارقة في مقامات الحريري مقارنة بنيوية**، رسالة ماجستير. جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر.
- حمّاد، حسن محمد. (2005). **المفارقة في النصّ الروائي، نجيب محفوظ نموذجاً**. القاهرة، مصر: المجلس الأعلى للثقافة.
- حمادي، مصطفى. (2016). **تداولية الإشارات في الخطاب القرآني، مقارنة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد**. **مجلة الأثر**، 15 (26)، 63-74.
- حمو الحاج، ذهبية. (2013). **البعد التداولي للسخرية في الخطاب القصصي الجزائري**. **مجلة الأثر**، 12 (17)، 17-29.
- حفني، عبد الحليم. (1992). **التصوير الساخر في القرآن الكريم**. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- حمو الحاج، ذهبية. (2013). **من اللسانيات إلى اللسانيات التداولية**. في (حافظ اسماعيل علوي ومنتصر أمين عبد الرحيم)، **التداوليات وتحليل الخطاب**، بحوث محكمة (ص ص 153-182). عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

ختام، جواد. (2016). **التداولية أصولها واتجاهاتها**. ط1. عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

الريدي، سامية. (2011). **الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه**. إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.

دي بوجراند، روبرت؛ دريسلر، ولفغانغ؛ أبو غزالة، إلهام؛ حمد، علي خليل. (1992). **مدخل إلى علم النص**. القاهرة، مصر: مطبعة دار الكتاب.

دي بوجراند، روبرت. (1998). **النص والخطاب والإجراء**. ترجمة تمام حسّان. ط1. القاهرة، مصر: عالم الكتب.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. (1986). **مختار الصحاح**. بيروت، لبنان: مكتبة لبنان.

روبول، آن؛ موشلار، جاك. (2003). **التداولية اليوم علم جديد في التواصل**. ترجمة سيف الدين دغفوس ولطيف زيتوني. بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.

الزيدي، محمد مرتضى الحسيني. (1981). **تاج العروس من جواهر القاموس**. تحقيق عبد السّمار أحمد فراج. ج9. الكويت: مطبعة حكومة الكويت.

الزركشي، بدر الدين. (د.ت). **البرهان في علوم القرآن**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة، مصر: مكتبة دار التراث.

الزّمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد. (1998). **أساس البلاغة**. تحقيق محمد باسل عيون السود. ج1. ط1. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

سبيربر، دان؛ ولسون ديديري. (2016). **نظرية الصّلة أو المناسبة في التواصل والإدراك**. ترجمة هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، مراجعة، فراس عواد معروف. ط1. بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر. (د.ت). **مفتاح العلوم**. تحقيق وتقديم عبد الحميد الهنداوي. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

- سلمي، حيزية. (2009). استراتيجية الإيضاح في الترجمة، رواية "رصيف الأزهار" لمالك حداد أنموذجاً. رسالة ماجستير. جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر.
- سليمان، خالد. (1999). المفارقة والأدب. ط1. عمان، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- سيرل، جون. (2006). العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي. ترجمة سعيد الغانمي. الجزائر: منشورات الاختلاف. المغرب: المركز الثقافي العربي. لبنان: الدار العربية للعلوم.
- شبانة، ناصر. (2002). المفارقة في الشعر العربي الحديث، أمل دنقل وسعيد يوسف وأحمد درويش نموذجاً. ط1. بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع.
- شاكراً، عبد الحميد. (2003). الفكاهاة والضحك رؤية جديدة. الكويت: عالم المعرفة.
- الشايب، أحمد. (2015). مفهوم السخرية. في (فريق البحث الفكاهاة والسخرية في الأدب والثقافة)، أبحاث في الفكاهاة والسخرية. الورشة السادسة (ص ص 9-24). أكادير، المغرب: جامعة ابن الأزهري، كلية الآداب واللغات.
- شباشوب، سهيرة. (2016). السخرية في الخطاب الروائي الواسف رواية "العجب العجاب" لأحمد المديني نموذجاً، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، (01)05، 73-97.
- شحادة علي، عاصم. (2011). المفارقة اللغوية في معهود الخطاب العربي: دراسة في بنية الدلالة. مجلة الأثر، (10)10، 1-22.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (2004). استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية. ط1. بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- صحراوي، مسعود. (2005). التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. ط1. بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.

- صليبا جميل. (1982). المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية. ج1. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.
- صليبا جميل. (1982). المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية. ج2. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.
- طه، نعمان محمد أمين. (1978). السخرية في الأدب العربي. ط1. مصر: دار التوفيقية للطباعة بالأزهر.
- طه، عبد الرحمان. (1998). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- طه، عبد الرحمان. (1993). تحديد المنهج في تقويم التراث. ط2. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.
- عبد الرحيم، منتصر أمين. (2013). التداولية والترجمة. في (حافظ اسماعيل علوي ومنتصر أمين عبد الرحيم)، التداوليات وتحليل الخطاب، بحوث محكمة (ص 527-540). عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- العبد، محمّد. (2005). النص والخطاب والاتصال. القاهرة، مصر: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.
- العبد، محمّد. (1994). المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة. ط1. القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.
- عبيس، رائد. (2016). فلسفة السخرية عند بيتر سلوتردايك. ط1. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- العزاوي، أبو بكر. (2006). اللغة والحجاج. ط1. الدار البيضاء، المغرب: العمدة في الطبع.
- عزمي، إسلام. (1973). فتجنشتين وفلسفة التحليل. مجلة عالم الفكر، 03 (04)، 227-264.

العسكري، أبو هلال. (د.ت). الصناعتين الكتابة والشعر. تحقيق علي محمد البجاوي،
ومحمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت، لبنان: المكتبة العنصرية.

العفيف، فاطمة حسين. (2016). السخرية في الشعر العربي المعاصر. الأردن: عالم
الكتب الحديث للنشر والتوزيع.

علي، نجاة. (2008). مفهوم المفارقة في النقد الغربي. مجلة نزوى، 53، 71-80.
عمر، أحمد مختار. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة. ط1. القاهرة، مصر:
عالم الكتب.

العمرى، محمد. (2012). البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول. ط2. الدار البيضاء،
المغرب: إفريقيا الشرق.

العنزي، قاط حجي. (2015). فن الإضحاك في بخلاء الجاحظ: مقارنة تداولية.
البلاغة والنقد الأدبي، العدد 01، 73-87.

العوبي، رابح محمد. (2013). فن السخرية في أدب الجاحظ. الأردن: دار الكتاب
الثقافي.

الغرايبة، علاء الدين أحمد. (2014). المفارقة في خطاب الأدب الساخر، أحمد حسن
الزعيبي أنموذجاً. المؤتمر الدولي للغة العربية، دبي، الإمارات العربية المتحدة،
10-07 ماي 2014، المجلس الدولي للغة العربية. تم الاسترجاع من
<https://bit.ly/2Byi3dF>

الغزالي، شعيب بن أحمد بن محمد عبد الرحمان. (1414هـ). أساليب السخرية في
البلاغة العربية. رسالة ماجستير. جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

فان دايك، تون أ. (2001). علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات. ترجمة حسن
بحيري. ط1. القاهرة، مصر: دار القاهرة للكتاب.

فتحي، إبراهيم. (1986). معجم المصطلحات الأدبية. صفاقس، تونس: المؤسسة
العربية للناشرين المتحددين.

فرج، حسام أحمد. (2007). نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري. تقديم سليمان العطار ومحمود فهمي الحجازي. ط1. القاهرة، مصر: مكتبة الآداب.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (2008). القاموس المحيط. القاهرة، مصر: دار الحديث.

قطش، مختار. (2007). السخرية عند الجاحظ. مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، 02 (01)، 52-59.

قاسم، سيزا. (1982). المفارقة في القص العربي المعاصر. مجلة فصول، 02، 143-151.

كربرات - أوريكوني، كاثرين. (2008). المضمرة. ترجمة ريتا خاطر. بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.

كروم، أحمد. (2015). مقاصد الترجمة والتأويل التداولي. في (أحمد كروم وعمر حلي)، دراسات في الترجمة وآلياتها المعرفية (ص ص 113-151). عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

كروم، أحمد. (2013). استلزام التخاطب في معاني العطف. في (حافظ اسماعيل علوي ومنتصر أمين عبد الرحيم)، التداوليات وتحليل الخطاب، بحوث محكمة (ص ص 637-661). عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

الكناني، توفيق عبده سعيد محمد؛ السويدي، بلقيس سيف؛ منصور، أروى. (2018). الإيضاح في الترجمة الأدبية من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، قصة حديقة النبي لجبران وترجمتها إلى العربية أنموذجاً. مجلة العلوم العربية للعلوم ونشر الأبحاث، 05(02)، 103-123.

لالاند، أندريه. (2001). موسوعة لالاند الفلسفية. تعريب خليل أحمد خليل. المجلد الأول. ط2. بيروت، لبنان وباريس، فرنسا: منشورات عويدات.

- لاينز، جون. (1987). *اللغة والمعنى والسياق*. ترجمة عباس صادق الوهاب. مراجعة يونيل عزيز. بغداد، العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.
- اللّطيف، محمّد بن عبد الله العبد. (2003). دراسات اللّغة ودراسات الترجمة. *مجلة علامات*، 12(48)، 680-720.
- ليتش، جيوفري. (2013). *مبادئ التداولية*. ترجمة عبد القادر قنيني. الدار البيضاء، المغرب: إفريقيا الشرق.
- المازني، إبراهيم عبد القادر. (1999). *حصاد الهشيم*. القاهرة، مصر: دار المعارف.
- محرز، سامية. (1986). المفارقة عند جيمز جويس وإميل حبيبي. *عيون المقالات*، 02، 103-124.
- المحروقي، سيف محمد سعيد. (2010). *نماذج إنسانية في السرد العربي القديم*. ط1. أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة: دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.
- مختار أم السعد، حياة. (2015). *تداولية الخطاب الروائي من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ*. ط1. عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- مرسي، ثروت. (2018). *في التداوليات الاستدلالية، قراءة تأصيلية في المفهوم والسيرورات التأويلية*. ط1. عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- مهران رشوان، محمّد. (1984). *مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة*. ط2. القاهرة، مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- مولاي، فتيحة؛ بنوي أ مسعودة. (2014). *البُعد التّداولي في البحث البلاغي العربي القديم*. *مجلة الإشعاع*، 01(02)، 223-236.
- الميداني، عبد الرحمان حسن حبنكة. (1997). *البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها*. ج1. ط1. دمشق، سوريا: دار القلم. بيروت، لبنان: دار الشامية.

- الميداني، عبد الرحمان حسن حبنكة. (1997). *البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها*. ج2. ط1. دمشق، سوريا: دار القلم. بيروت، لبنان: دار الشامية.
- ميويك، دي سي. (1993). *المفارقة وصفاتها*. ترجمة عبد الواحد لؤلؤة. بيروت لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- نحلة، محمود أحمد. (2002). *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*. الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- نورد، كريستيانا. (2009). *تحليل النص في الترجمة، النظرية والمنهجية والتطبيق التعليمي لنموذج تحليل نصي هدفه الترجمة*. ترجمة محي الدين علي حميدي. السعودية: دار جامعة الملك سعود للنشر.
- نيذا، يوجين. (1976). *نحو علم الترجمة*. ترجمة ماجد النجار. العراق: مطبوعات وزارة الإعلام، الكتب المترجمة.
- نيوبرت، ألبرت؛ شريف، غريغوري. (2008). *الترجمة وعلوم النص*. ترجمة محي الدين حميدي. المملكة العربية السعودية: النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود.
- نيومارك، بيتر. (2006). *الجامع في الترجمة*. ترجمة وإعداد حسن غزالة. ط1. بيروت، لبنان: دار مكتبة الهلال
- هديم، عائشة. (2018). *نظرية الملاءمة: نظرية ثورية في التواصل، المقولات والامتدادات المفهومية*. مجلة الخطاب، 13 (2)، 57-78.
- الهوال، حامد عبده. (1982). *السخرية في أدب المازني*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- واضح، أحمد. (2012). *الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث هجري إلى القرن السابع الهجري*. رسالة دكتوراه. جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر.

- واقف زاده، شمسي. (1390هـ). الأدب الساخر، أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية. فصيلة دراسات الأدب المعاصر، 03(12)، 101-123.
- وهبة، مجدي؛ المهندس، كامل. (1984). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. بيروت، لبنان: مكتبة لبنان.
- يحي، هلال. (2017). نظرية أفعال الكلام في التداولية المعاصرة، جون روجر سيرل أنموذجا. مجلة أبعاد، 04(01)، 129-138.
- يوسف، ألفة. (2002). تعدد المعاني في القرآن. ط2. تونس: دار سحر للنشر.
- يول، جورج. (2010). التداولية، ترجمة قصي العتابي. ط1. بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- يول، جورج؛ براون ج.ب. (1997). تحليل الخطاب. ترجمة وتعليق محمد لطفي الزليطيو منير التريكي. المملكة العربية السعودية: النشر العلمي والطابع، جامعة الملك سعود.

المراجع باللغات الأجنبية:

Álvarez Lugris, A. (2001). *Hipótesis de explicitación: ¿universal de la traducción o tendencia? Estudio sobre el corpus tectra de traducciones del inglés al gallego*. Salamanca, España: Ediciones Universidad de Salamanca, recuperado de

<https://bit.ly/3bh4NY1>

Armengaud, F. (2007). *La pragmatique*, Collection que sais-je? Paris, France : PUF.

Austin, J.L. (1962). *How to do things with words*. London, Great Britain: Oxford at the Clarendon Press.

Bors, E. (2009). Traduire l'ironie : un point de vue pragmatique et textuel sur la traduction. *Babilónia*, N°6/7, 11-20.

Brown, P; Levinson, S, C. (1987). *Politeness Some universals in language usage*. Great Britain: Cambridge University Press.

Cabanillas González, C. (2003). La traducción de la ironía. En Muñoz Martín Ricardo. *Actas del 1er congreso internacional de la Asociación Ibérica de Estudios de traducción e Interpretación*. Granada 12-14 de Febrero de 2003, N°01, 221-231. Recuperado de <https://bit.ly/3f3vIYC>

Charaudeau, P ; Maingueneau, D. (2002). *Dictionnaire d'analyse du discours*. Paris, France : Edition du seuil.

Delisle, J ; René, A. (2003). *La traduction raisonnée, manuel d'initiation à la traduction professionnelle Anglais- Français*,

méthode par objectifs d'apprentissage. 2ème édition.
Canada : Presse de l'université d'Ottawa.

Delisle, J. (1984). *L'analyse du discours comme méthode de traduction, théorie et pratique*. Canada: Edition de l'université d'Ottawa.

Diccionario de la Real Academia de la Historia. Recuperado de <https://bit.ly/32FMzM4>

Diccionario de la lengua española de la Real academia española. (2019), recuperado de <https://bit.ly/32RBYhk>

Ducrot, O ; Todorov, T. (1972). *Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage*. Paris, France :édition du seuil.

Enríquez- Aranda, M; Mendoza García, I; Ponce Márquez, N. (2014). La interpretación simultánea como actividad pluridisciplinar. *Tradução & Comunicação, Revista Brasileira de tradutores*, 27, 105-120.

Hassan, Bahaa-eddin Abulhassan. (2011). *Literary Translation: Aspects of Pragmatic Meaning*. Great Britain: Cambridge Scholars Publishing.

Hatim, B; Mason, I. (1990). *Discourse and the translator*. New York, United States of America: Longman group.

Kerbrat orecchioni, C. (1984). *La connotation*. Lion, France: Presse universitaire de lion.

Lázaro Carrerter, F. (2008). *Diccionario de términos filológicos*. Madrid: Gredos

Levinson, Stephen C. (1983). *Pragmatics*. United Kingdom: Cambridge University Press.

Leech, G, N. (1983). *Principales of pragmatics*. United States of America: Longman Group.

- Lievois. K ; Schoentjes. P. (2010). *Traduire l'ironie*. Récupéré de <https://bit.ly/2Qfhau3>.
- Llácer, E. (1997). *Introducción a los estudios sobre traducción: historia, teoría y estudios descriptivos*. Universidad de Valencia: Cuadernos de Filología. Recuperado de: <https://bit.ly/3grShGm>.
- Lozano Bachioqui, E. (2010). La interpretación y los actos de habla. *Mutatis Mutandis*, 3, (2), 333-348.
- Maingueneau, D. (2005). *Pragmatique pour le discours littéraire*. Paris, France : Armand Colin.
- Mateo, Marta. (1995). The translation of irony. *Meta Journal des traducteurs*, 40, (1), 171-178.
- Mohamed Abdel Latif, A. (2013). *Aspectos lingüísticos y traductológicos de la traducción de la ironía entre el árabe y el español*. Tesis doctoral. Facultad de Filosofía y Letras. Universidad Autónoma de Madrid, España.
- Moliner, M. (2007). *Diccionario de uso del español*, 3º edición. Madrid: Gredos. Monterroso, A. (1981). *Viaje al centro de la fábula*. México: Martín Casillas Editores.
- Ramírez Bellerín, L. (1999). *Del carácter al contexto: teoría y práctica de la traducción del chino moderno*. Barcelona, España: Servicio de Publicaciones de la universidad Autónoma de Barcelona.
- Raus, R. (2007). L'ironie à l'épreuve des textes : vers une définition empirique de cette notion. *Publifarum : Bouquets pour Héléne*, n°6. Récupéré de <https://bit.ly/2NEOQA7>
- Reyes, G. (2007). *El abecé de la pragmática*. Madrid, Spain: Arco Libros.
- Searle, J. (1994). *Actos de habla, ensayos de filosofía del lenguaje*. Traducción de Luis M. Valdés Villanueva. Madrid, España: Planeta de Agostini.

- Setton, R. (1999). *Simultaneous Interpretation, a cognitive-pragmatic analysis*. Amsterdam, Netherlands & North America: John Benjamins Publishing Company.
- Snell-Hornby. M. (1999). *Estudios de traducción: hacia una perspectiva integradora*. Traducido por Ana Sofía Ramírez. España: Almar
- Valdés Villanueva, L, M. (2005). *La búsqueda del significado, lecturas de filosofía del lenguaje*. 4º edición. Madrid, España: Editorial Tecnos.
- Ventura Ramos. L. (2015). *Ironía Romántica: un principio paradójico de representación literaria*. Universidad Nacional de México, Departamento de Traducción e Interpretación, 34(17), 83-106.
- Vide, Vicente. (1999). *Los lenguajes de Dios, pragmática lingüística y teología*. Bilbao, España: Universidad de Deusto Bilbao. ELUA, 20, 33-35.
- Vinay, J.P; Darbelnet, J. (1972). *Stylistique comparée du français et de l'anglais : méthode de traduction*. Paris, France: Didier.

مسرد المصطلحات

مسرد المصطلحات

عربي - إسباني:

أ

Asertivos	إخباريات (تقريريات)
Inferencia	استدلال
Usoslingüísticos	استعمالات لغوية
Implicaturaconvencional	استلزام عرفي
Implicaturaconversacional	استلزام حوارى
Deícticos	إشاريات
Deícticos personales	إشاريات شخصية
Deícticos temporales	إشاريات زمانية
Deícticos espaciales	إشاريات مكانية
Presuposición	افتراض المسبق
Actos performativos	أفعال إنجازية
Actos de habla	أفعال الكلام
Verbos judicativos	أفعال حكمية
Verbos ejercitativos	أفعال تنفيذية
Verbos compromisorios	أفعال وعدية
VerbosComportativos	أفعالسلوكية
Verbos expositivos	أفعال عرضية
Subyacentes	أقوال مضمرة
Compromisorios	إلتزامات
Modelo ostensivo-inferencial de comunicación	أنموذج التواصل الإظهاري الاستدلالي

Explicitación	إيضاح
Explicitacionopcional	إيضاح إختياري
Explicitacion pragmatica	إيضاح تداولي
Explicitacion especifica de la traduccion	إيضاح خاص بعملية الترجمة

ت

Interpretación pragmática	تأويل تداولي
Análisis top-down "de arriba-abajo" y down-up "de abajo-arriba"	تحليل [من أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى]
Pragmática	تداولية
Explicatura	تصريح
Declarativos	تصريحيات
Implicación (modulación)	تضمين
Expresivos	تعبيريات
Adaptación	تعويض (تكييف)
Equivalencia pragmatica	تكافؤ تداولي
Sarcasmo	تهكم
Directivos	توجيهات

ر

Exorcismo	رقية شرعية
-----------	------------

س

Ironía	سخرية
--------	-------

Contexto	سياق
----------	------

ص

Explícito	صريح
-----------	------

ض

Implícito	ضمني
-----------	------

ع

Performativos explícitos	عبارات إنجازية صريحة
Performativos implícitos	عبارات إنجازية مضمرة

ف

Acto ilocucionario	فعل إنجازي
Acto perlocucionario	فعل تأثيري
Acto locucionario	فعل قولي

ق

Intencionalidad	قصدية
Intencionalidad informativa	قصدية إخبارية
Intencionalidad comunicativa	قصدية تواصلية
Intención irónica	قصد ساخر
Fuerza ilocutiva	قوة إنجازية

م

Lo dicho	ما قيل
Lo implicado	ما هو مستلزم

Principio de la relevancia	مبدأ المناسبة (الصلة)
Principio de cooperación	مبدأ التعاون
Implícitos	متضمنات القول
Contenido proposicional	محتوى قضوي
Máxima de cantidad	مسألة الكمية
Máxima de cualidad	مسألة الكيفية
Máxima de pertinencia o de relación	مسألة الملاءمة (العلاقة)
Máxima de manera	مسألة الطريقة (الجهة)
Paradoja	مفارقة
Pertinente	ملائم
Relevancia / pertinencia	ملاءمة

ن

Tipología	نمذجة
Tiempo relativo	نسبية الزمن

هـ

Sátira	هجاء
--------	------

مسرد المصطلحات

إسباني - عربي:

A

Actos de habla	أفعال الكلام
Acto ilocucionario	فعل إنجازي
Acto locucionario	فعل قولي
Acto perlocucionario	فعل تأثيري
Actos performativos	أفعال إنجازية
Adaptación	تعويض (تكييف)
Análisis top-down "de arriba-abajo" y down-up "de abajo-arriba"	تحليل [من أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى]
Asertivos	إخباريات (تقريريات)

C

Compromisorios	إلتزامات
Contenido proposicional	محتوى قضوي
Contexto	سياق

D

Declarativos	تصريحيات
Deícticos	إشاريات
Deícticos personales	إشاريات شخصية
Deícticos espaciales	إشاريات مكانية
Deícticos temporales	إشاريات زمانية
Directivos	توجيهات

E

Equivalencia pragmática	تكافؤ تداولي
Exorcismo	رقية شرعية
Explicatura	تصريح
Explícito	صریح
Explicitación	إيضاح
Explicitacion opcional	إيضاح إختياري
Explicitacion pragmática	إيضاح تداولي
Explicitacion específica de la traducción	إيضاح خاص بعملية الترجمة
Expresivos	تعبيريات

F

Fuerza ilocutiva	قوة إنجازية
------------------	-------------

I

Implicatura convencional	إستلزام عرفي
Implicatura conversacional	إستلزام حواری
Implicación (modulación)	تضمين
Implícito	ضمني
Implícitos	متضمنات القول
Inferencia	استدلال
Intencionalidad	قصدية
Intencionalidad informativa	قصدية إخبارية
Intencionalidad comunicativa	قصدية تواصلية

intención irónica	قصد ساخر
Interpretación pragmática	تأويل تداولي
Ironía	سخرية

L

Lo dicho	ما قيل
Lo implicado	ما هو مستلزم

M

Máxima de cantidad	مسألة الكمية
Máxima de cualidad	مسألة الكيفية
Máxima de pertinencia o de relación	مسألة الملاءمة (العلاقة)
Máxima de manera	مسألة الطريقة (الجهة)
Modelo ostensivo-inferencial de comunicación	أنموذج التواصل الإظهاري الاستدلالي

P

Paradoja	مفارقة
Performativos explícitos	عبارات إنجازية صريحة
Performativos implícitos	عبارات إنجازية مضمرة
Pertinente	ملائم
Pragmática	تداولية
Presuposición	إفتراض مسبق
Principio de la relevancia	مبدأ المناسبة (الصلة)
principio de cooperación	مبدأ التعاون

R

Relevancia / pertinencia	ملاءمة
--------------------------	--------

S

Sarcasmo	تهكم
Sátira	هجاء
Subyacentes	أقوال مضمرة

T

Tiempo relativo	نسبية الزمن
Tipología	نمذجة

U

Usoslingüísticos	إستعمالات لغوية
------------------	-----------------

V

Verbos compromisorios	أفعال وعدية
Verbos comportativos	أفعال سلوكية
Verbos ejercitativos	أفعال تنفيذية
Verbos expositivos	أفعال عرضية
Verbos judicativos	أفعال حكمية

ملخص:

تلعب الترجمة الأدبية دورا فعالا ورياديا في فهم فكر وثقافة الآخر ذلك لأن الأدب بصفة عامة يعكس ويصور مختلف التجارب الإنسانية، لذا تعددت الدراسات الأدبية لتجسيد ذلك، ومن بين الدراسات الأدبية هذه، نجد السخرية، وهي موضوع يجسد المعاناة والألم والنقد الاجتماعي بلسان فكه يجمع بين الجدّ والهزل. كما أنّ ما يُميّز النصوص الأدبية الساخرة هي تلك المخالفة في التعبير التي تجعل من المعاني والمقاصد التي يريد الكاتب إيصالها ضمنية يستلزم الوصول إليها وفهمها سرعة بديهة ومملكة لغوية. إنّ تضمين المعاني والمقاصد يجعل لغة النصّ الساخر غير مباشرة يحيط بها الغموض، وهذا ما جعلنا نتساءل عن الطرق التي لا بد للمترجم أن يسلكها ليحافظ أولاً على شكل النصّ الساخر وثانياً على المعاني والمقاصد التواصلية التي يحملها دون المساس بالأسلوب الفكاهي الذي يطبعه. وحتّى ينجح المترجم من فك مغاليق النصّ الساخر وتأويله في لغته الأصلية ثم تمثيله في اللّغة الهدف، يجب عليه أن يستفيد من النظريات اللسانية والتداولية، فالأولى تساهم في تفكيك البنى اللغوية، أما الثانية فتساعده، على فهم البنية الضمنية وبالتالي يتمكّن من الوصول إلى مقاصد النصّ ومعانيه الحقيقية لينقلها بعد ذلك بأمانة ودقّة. وبما أنّنا مهتمين بكيفية ترجمة النصوصّ الساخرة من جهة وبالدرس التداولي من جهة أخرى، ارتأينا أن تكون دراستنا هذه موسومة بـ " القصدية التواصلية في النصّ الساخر وترجمتها إلى اللّغة الإسبانية"، محاولةً منّا الاستفادة من مباحث النظرية التداولية والإحاطة بدورها الفعّال في تحليل النصّ المراد ترجمته للكشف عن السياق اللّغوي وغير اللّغوي الذي أنتج فيه، لنصل بذلك إلى المقاصد الخبرية والتواصلية التي يحملها. بالإضافة إلى المساهمة في تسليط الضوء على أهميّة تطبيق استراتيجيات الترجمة التداولية المناسبة التي تساعد المترجم على إخراج نصّ مترجم يتوافق تداولياً مع النصّ الأصلي محقّقاً بذلك التأثير المطلوب في اللّغة الهدف وبهذا يتمكّن من تحقيق عنصر التواصل.

الكلمات المفاتيح: الترجمة، التداولية، القصدية التواصلية، السخرية، التأويل، السياق، المضمّر. استلزام حوارِي.

Abstracto:

La traducción literaria desempeña un papel eficaz y pionero en la comprensión del pensamiento y la cultura del otro, porque la literatura en general refleja y describe diversas experiencias humanas. Por tanto los estudios literarios fueron numerosos para reflejar estas experiencias. Entre estos estudios literarios, encontramos la ironía, un tema que encarna el sufrimiento, el dolor y la crítica social con un lenguaje que aúna seriedad y comedia. Asimismo, lo que distingue a los textos literarios irónicos es la antífrasis, es decir, cuando enunciamos algo para hacer entender lo contrario hace que los significados e intenciones, que el autor quiere transmitir, sean implícitos y requieren competencia lingüística para comprenderlos.

Los significados e intenciones implícitos hacen que el lenguaje de un texto sea irónico, indirecto y ambiguo. Por eso nos preguntamos sobre los mecanismos que deben ser adoptados por traductor para preservar, por un lado, la forma del texto irónico y por otro lado, mantener los significados y las intenciones comunicativas que lleva sin cambiar a su estilo humorístico. Para que el traductor pueda descifrar con éxito el texto irónico e interpretarlo en su idioma original y luego transmitirlo al idioma de destino, debe beneficiarse de las teorías lingüísticas y pragmáticas. Para llegar a los verdaderos significados e intenciones del texto y luego transmitirlos con fidelidad y precisión.

Como nos interesa la traducción de textos irónicos por un lado, y la pragmática por otro, decidimos estudiar "la intencionalidad comunicativa en el texto irónico y su traducción al español", aprovechando de la teoría pragmática y su papel efectivo en el análisis del texto que queremos traducir para revelar el contexto lingüístico y no lingüístico en el que fue producido para que podamos llegar a las intencionalidades informativas y comunicativas que conlleva este texto. Además resaltar la importancia de aplicar las estrategias de traducción pragmática adecuadas que ayuden al traductor a producir un texto correspondiente al texto original, produciendo el mismo efecto en el idioma de destino, logrando así el componente de comunicación.

Palabras claves: traducción, pragmática, intencionalidad comunicativa, ironía, interpretación, contexto, implícito.

Abstract:

Literary translation plays an efficient and leading role in comprehending the culture and vision of others since literature generally reflects and portrays the various human experiences. Thus, literary studies varied to show it, among them we find “irony” which expresses suffering, pain and social criticism in a mocking way associating seriousness and humour. Irony in literary texts is characterized by Antiphrasis (a rhetorical device of saying the opposite of what is actually meant in such a way that it is obvious what the true intention is) which makes the meanings and intentions of the author implicit requiring the quick wit and a good linguistic faculty.

The fact of making meanings and intentions implicit make the language of the ironical text both indirect and mysterious. This made us wonder about the procedures the translator needs to adopt in order to preserve first the ironic text and second its communicative meanings and intentions without affecting its ironic style.

In order for the translator to decrypt irony and interpret it in its original language then in the target language, he must benefit from the linguistic and pragmatics theories. The first will contribute to break up the linguistic structures, while the second will help apprehend the implicit structures to grasp the text’s intentions and real meanings first, then be able to convey them exactly and faithfully.

And given that we are interested in the translation of irony, on the one hand, and in the pragmatics course, on the other hand, we titled our study “*the communicative pragmatic in the ironic text and its translation into Spanish*”. We sought, through this, to profit from the pragmatics theory and its efficient role in the analysis of the text to be translated to identify the linguistic and extralinguistic context in which it was produced. This aims at reaching the communicative and informative intentions the text entails, in addition to highlighting the importance of implementing the suitable pragmatic translation strategies meant to help the translator produce a translated text pragmatically in line with the original text. The utmost goal behind this lies in creating the required impact in the target language and achieving as such the communicative role.

key words: translation, pragmatics, communicative intention, irony, interpretation, context, implicit.